الدكتور محمد جمال صقر
كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

ظَاهِرَةُ التَّوافُقِ الْعَروضيِّ الصَّرْفيِّ

١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م



بِسْمِ اللّٰهِ

– سُبْحانَه ، وَتَعالى ! –

وَبِحَمْدِهِ ، وَصَلاةً عَلى

رَسولِه وَسَلامًا ، وَرِضْوانًا

عَلى صَحابَتِهِ وَتابِعِيهِمْ ،

حَتّى نَلْقاهُمْ !

فهرس

القسم الأول

تأصيل ظاهرة التوافق في علمي العروض والصرف

القسم الآخر

تأصيل ظاهرة التوافق في عملي العروض والصرف

مُقَدِّمَةُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ

[١] بين العروض وعلم العروض والصرف وعلم الصرف ، من الفرق مثل الذي بين الموسيقا وعلم الموسيقا والنحو وعلم النحو ؛ فالأول من هذه الأزواج ، هو الكائن الطبيعي ، والآخر هو كاشفه وضابطه وقانونه ؛ فما علم العروض إلا جملة القواعد التي تحكم بناء البيت المفرد من الشعر ، وما علم الصرف إلا جملة القواعد التي تحكم بناء الكلمة المفردة من اللغة .

فإذا كان قد ثبت أنه ينضاف إلى علم العروض بعض الظواهر التي تتعلق بتتابع الأبيات لا البيت المفرد [١] ، فقد ثبت أنه ينضاف إلى علم الصرف بعض الظواهر التي تتعلق بتتابع الكلم لا الكلمة المفردة [٢] . وإذا كان تَفْعيل البيت والأبيات (تَقْطيعها) ، هو التطبيق المقبول لعلم العروض ، فإن تَصْريف الكلمة والكلم ، هو التطبيق المقبول لعلم الصرف [٣] .

[٢] لا يخفى ما في طريقة العرض السابق ، من إيحاء بأنَّ بين علمي العروض والصرف علاقة ما [٤] ، وهو ما عرض له بعض الباحثين من جهات شتى على حسب منطلقاتهم وآرائهم :

فمنهم من رأى تلك العلاقة لا تجاوز حدود الشكل ، بل يكاد " علم الصرف لا يلتقي به إلا في (الميزان الصرفي) بشكل ظاهري واه " [٥] .

ومنهم من دقق النظر في تلك المشابهة الشكلية ، ونبه على أهميتها ؛ فما الوزن الذي هو أساس في عمل الخليل ، إلا تطوير لمفهوم الميزان الصرفي ، بحيث يتناول البنية السطحية للكلمة لا البنية العميقة ، ويتجاوز الكلمة الواحدة إلى الكلم التي تمتزج فيه معا [٦] .

ومنهم من سما إلى سماء الإنتاج العقلي ، فكشف أنه لا ريب في رسوخ أسس معينة طبعت العقل العربي ، فانبنى عليها واتصف بها كل ما أنتجه من علوم ؛ " فالثقافة الإسلامية القديمة وظفت نفس الأدوات في جميع حقول المعرفة . وهنا يكمن تماسك عميق لم يُكْشَفْ عنه بعد بما فيه الكفاية " [٧] .

[٣] كذلك نجد الإيحاء بتلك العلاقة ، في جمع العلماء والمعلِّمين جميعا - وإن بطرق مختلفة - بين علمي العروض والصرف :

من طائفة العلماء يبرز لنا شيخنا الخليل بن أحمد نفسه ، ثم الأخفش الأوسط ، مثالا واضحا ؛ فأولهما واضع علم العروض الذي لم يصلنا كتابه فيه ، والمفكر المدقق في علم الصرف الذي أثبت تلميذه سيبويه في كتابه كثيرا من آرائه ، والآخر وارث ذلك كله الذي لم يكفَّ عن إعمال رأيه فيه في خلال كتابيه في العروض والقافية ، وتعليمه الذي نثر آراءه في كتب علم الصرف ، بل إنه يُلْزِمُ طالب علم العروض بأن يتعلم أولا شيئا من علم العربية (الصرف والنحو) ؛ " فَإِنَّه أقْوى لَه عَلَيْه " [٨] .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أصحاب معاجم العلوم والفنون العربية ، كانوا يجمعون في قَرَنٍ واحد ما يخص علم العروض ، وما يخص علمي الصرف والنحو ، من ظواهر ومصطلحات ، فهمًا منهم لتلك العلاقة ، يوحي به عملهم [٩] .

وأما طائفة المعلِّمين فقد أدركتنا طريقتهم في الجمع في كتاب تعليمي واحد ، بين علمي العروض والصرف ، مما كان مثار معارضة مُنْكِرِي أصالة تلك العلاقة [١٠] .

وليس أدل على عمل العلماء والمعلمين جميعا ، من أقسام " النحو والصرف والعروض " المنتشرة في جامعاتنا العربية المعاصرة منذ زمن غير قريب .

[٤] إن صنوف الإيحاء بتلك العلاقة التي لم يُكْشَفْ عنها " بما فيه الكفاية " كما سبق من بعض الباحثين ، لجديرة بالاهتمام والبحث ، ولا سيما أن الباحثين وبخاصة قدماؤهم ، كانوا يعجبون من استواء علم العروض للخليل ، حتى إن منهم من قال بقِدَمِه وأن الخليل إنما وَجَدَه فَنَقَلَه [١١] .

إنه إذا ما تجلت وثبتت علاقة علم العروض بعلم الصرف ، وتبددت تلك الشبهة ، وَضَحَ أن المُفَكِّرَ العَروضي كالمُفَكِّرِ الصَّرفي أصالَةً .

[٥] إذا تَتَبَّعنا العلمين تَقعيدًا وتَطْبيقًا ، فوجدنا من الأفكار ما يندرج ضمن واحد أو أكثر من المظاهر الثلاثة التالية :

١ التَّوافُقُ ، وفيه تَتَوَحَّدُ الأفكار وتتردد هي نفسها في كل من العلمين .

٢ التَّوازي ، وفيه تَتَشابَهُ الأفكار ؛ فتَرِدُ في أحد العلمين فكرة مُضارِعَةٌ مُجارِيَةٌ لفكرة في الآخر .

٣ التَّقابُلُ ، وفيه تَنْعَكِسُ الأفكار وتَتَضادُّ ؛ فَتَرِدُ في أحدهما فكرة مُضادَّةٌ مُقابِلَةٌ لفكرة في الآخر .

إذا كان ذلك لم نملك إلا أن نحكم بوجود العلاقة ، وربما حكمنا بوثاقتها . أما دلالة المظهرين الأول والثاني على ذلك فواضحة ، وأما دلالة المظهر الثالث فمن أن الأفكار حين تتقابل تدل على حضور العِلْمين

في ذهن العالم في وقت معا على نحو ما ، فكأنه يضع فكرته هنا بحيث تقابل الفكرة التي هناك ، لسبب ينبغي كشفه ، وسواء أكان هو المفكر هنا وهناك أم كان أمامه غَيْرُه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الفكرة الواحدة ربما كان لتناولها في العلمين عدة أوجه ، منها ما يندرج ضمن مظهر وما يندرج ضمن آخر ، فيجوز للباحث أن يكرر النظر فيها والتعرض لها .

[٦] إن علم الصرف بلاريب أسبق نشأة ، غير أن طريقة التفكير العربية أصلُ من علمي الصرف والعروض جميعا ، وأرْسَخ جذرا وأسْبَق عملا ؛ ومن ثم نستطيع أن نفسر كل مظهر للعلاقة حين يظهر ، بتأثير أحد العلمين في الآخر ، دون ضرورة أن يقتصر التأثير على الأسبق نشأة ، وأن نفسره بخروج العلمين جميعا من عقل واحد طبعهما بطابعه .

[٧] لقد كانت أفكار مظهر التوافق والمسائل التي أثارها ، من الخصب بحيث شَغَلَتْ هذا البحث كله ، ولم يُمَكّني أن أهمل منها ما أضع مكانه أفكار المظهرين الآخرين ومسائلهما .

وإنني لأرجو أن أتمكن أنا أو غيري من الباحثين ، من الوفاء بمظاهر تلك العلاقة ، لما له من خَطَرٍ في الدلالة على تآخذ علوم ثقافتنا الجليلة وأصالتها .

[٨] أعتمد في هذا البحث – والله المستعان ! – على مراجع من علم العروض ، وعلم الصرف ، وعلم الموسيقا ، قديمة وحديثة ، وأستأنس بمراجع من علوم أخرى مختلفة ، قديمة أيضا وحديثة ، غير أن أهم ما أعتمد عليه وأستأنس به ، عِشْقٌ ودُرْبَةٌ مستمران لعلوم العربية وآدابها ، أحْسَنَ الله إلى مَنْ أنْبَتَ في قلبي زَهْرَتَهما !

وأنتهج منهج تتبع علمي العروض والصرف ، تقعيدا وتطبيقا ، لأجمع الأفكار المتوحدة فيهما المَتَرَدِّدَة بينهما ، فأعرضها وأنقدها ، استيضاحا لحقيقة دلالة هذا التوافق .

ثم أرتب ايراد هذه الأفكار ترتيبا منطقيا ، وأجعل مصطلح الفكرة عنوانا ، وسواء أكان متداولا أم وضعته لمّا لم أجد مثله ، ولا أخلي هذا ولا ذاك من ايضاح .

وكتب بروضة مصر العتيقة

محمد جمال صقر
mogasaqr@yahoo.com

قبيل عصر الأربعاء

٢٥ من رجب لسنة ١٤٢٨ الهجرية

٨ من أغسطس لسنة ٢٠٠٧ الميلادية



أولًا : الاستيعابُ الأوّليُّ

[٩] اتسم تأسيس علماء العرب القدماء لعلومهم بمنطقية واضحة ، ربما كانت وسيلة الوصول إلى النتائج القطعية . يظهر ذلك في حرصهم على التمهيد للعلم بافتراض الاحتمالات الممكنة التي تحقق استيعاب مسائله ، مهما يكن نصيب تلك الاحتمالات من الحدوث الحقيقي .

إن العالم حين يبدأ على هذا النحو ، يحقق الطمأنينة لنفسه أولا ، وللمتعلم ثانيا ؛ فيقتنعان جميعا بأن العرض التالي جدير بالثقة ، لن يترك شاردة من مسائل هذا العلم ولا واردة إلا أحصاها . وبعدئذ يستبيح العالم أن يجيز وأن يمنع ، وينبغي للمتعلم أن يخضع .

[١٠] إنني أجد في اعتماد علم العروض على التّقليب وعلم الصرف على القِسْمَةِ العَقْليّة ، ذلك الحرص على الاستيعاب الأولي السابق ذكره .

أما التقليب فالفكرة التي أخرج بها شيخنا الخليل معجمه " العين " كذلك ، ودلت الناس على رياضيّة تفكيره [١٢] . إن للتقليب في علم العروض ثلاثة استعمالات مترابطة :

أما الأول فتقليب الأسباب والأوتاد خارج الدوائر ، لضبط التفاعيل وإيرادها جميعا ؛ فإن (فعولن) التي تتكون من الوتد المجموع (فعو) والسبب الخفيف (لن) ، يقدم فيها السبب فتستحضر (فاعلن = لن فعو) ، وإن (مفاعيلن) التي تتكون من الوتد المجموع (مفا) والسببين الخفيفين (عي ، لن) ، يؤخر فيها الوتد ، فتستحضر (مستفعلن = عيلن مفا) ،

ويقدم فيها أحد السببين على الوتد ، فتستحضر (فاعلاتن = لن مفاعي) ... وهكذا .

أما الاستعمال الثاني فتقليب التفاعيل نفسها في الدوائر ، لضبط بعض الأبحر وإيرادها ؛ فإن بحر السريع الذي يتكون شطره من هذه التفاعيل (مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ) ، تؤخر فيه التفعيلة الأولى ؛ فيستحضر بحر المنسرح (مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن) ، وتقدم فيه التفعيلة الأخيرة ، فيستحضر بحر المقتضب (مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن) ... وهكذا .

ولما الاستعمال الثالث فتقليب الأسباب والأوتاد في الدوائر ، لضبط بعض الأبحر وإيرادها ؛ فإن شطر بحر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) ، المتكون من وتد مجموع فسبب خفيف ثم وتد مجموع فسببين خفيفين ثم وتد مجموع فسبب خفيف ثم وتد مجموع فسببين خفيفين ، يؤخر فيه الوتد المجموع الأول ، فيستحضر شطر بحر المديد (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن = لن مفاعي لن فعو لن مفاعي لن فعو) – ويقدم فيه السببان الخفيفان الأخيران ؛ فيستحضر شطر بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن = عيلن فعو لن مفا عيلن فعو لن مفا) ... وهكذا [١٣] .

أما القسمة العقلية فالفكرة البارزة في مناحي علم الصرف عامة ؛ إذ تجد العالم يتعرض مثلا لصيغة الكلمة المجردة الثلاثية – والثلاثي عنده الأصل – فيقول أولا بترك حركة اللام للنحو إعرابا وبناء ، ثم يترك احتمال سكون الفاء لأن العربية لا يبتدأ فيها بساكن ، ثم يضرب ثلاثة أحوال الفاء المحتملة (من فتح وضم وكسر) ، في أربعة أحوال العين المحتملة (من

فتح وضم وكسر وسكون) ؛ فيستحضر اثنتي عشرة صيغة للكلمة الثلاثية المجردة ، ولا يمكن فيها غيرها : (فَعَل ، فَعْل ، فَعِل ، فَعّل ، فُعَل ، فُعْل ، فُعِل ، فُعّل ، فِعَل ، فِعْل ، فِعِل ، فِعّل) [14] .

[11] لقد كانت نتيجة الاستعمال الأول للتقليب ، أن خرجت التفعيلة (فاعلاتُكَ) ، بتقديم السبب الخفيف من (مُفاعَلَتُنْ) المتكونة من وتد مجموع (مفا) بعده سببان ثقيل فخفيف (عَلَ ، تُـنْ) ، هكذا (فاعلاتُكَ = تُنْ مُفاعَلَ) ، وهي مهملة ، لا وجود لها في عروض الشعر المعتمد عليه [15] .

وكانت نتيجة الاستعمال الثاني للتقليب ، أن خرجت هذه الأبحر الخمسة (بترتيب دوائر شيخنا الخليل) :

١ **المُستَطيل** ، وشطره (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) ، بتأخير أولى تفاعيل شطر الطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) .

٢ **المُمتَدّ** ، وشطره (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) بتأخير أولى تفاعيل شطر المديد (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) .

٣ **المُتّئد** ، وشطره (فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن) ، بتأخير أولى تفاعيل شطر المجتث (مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن) .

٤ **المُنسرِد** ، وشطره (مفاعيلن مفاعيلن فاع لاتن) بتقديم أخرى تفاعيل شطر المضارع (مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن) .

٥ **المُطَّرِد** ، وشطره (فاع لاتن مفاعيلن مفاعيلن) بتأخير أولى تفاعيل المضارع السابق نفسه ، وهي مهملة ، لا وجود لها في عروض الشعر المعتمد عليه كذلك [16] .

وكانت نتيجة الاستعمال الثالث للتقليب ، أن خرج هذان البحران (بترتيب دوائر شيخنا الخلي) :

١ المُتَوَفِّر ، وشطره (فاعلاتكَ فاعلاتكَ فاعلاتكَ) ، بتقديم السبب الخفيف من آخر شطر الوافر هكذا : (تنْ مفاعلَ تنْ مفاعلَ تنْ مفاعلَ) .

٢ المُحْدَث ، وشطره (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن) ، بتأخير الوتد المجموع من أول شطر المتقارب هكذا : (لن فعو لن فعو لن فعو لن فعو) ، وهما مهملان ، لا وجود لهما في عروض الشعر المعتمد عليه [١٧] .

وكانت نتيجة القسمة العقلية ، أن خرجت :

- للاسم الثلاثي المجرد هاتان الصيغتان :

١ فُعِل .

٢ فِعُل .

- وللفعل الثلاثي المجرد هذه الصيغ التسع :

١ فَعْل .	٢ فُعْل .	٣ فُعَل .
٤ فُعِل .	٥ فُعُل .	٦ فَعِل .
٧ فِعُل .	٨ فِعِل .	٩ فِعَل .

وهي إما مهملة لا وجود لها في لغة العرب ، أو كالمهملة لعُروضها أحيانا وعدم أصالتها [١٨] .

[١٢] لقد كانت هذه النتائج بابا إلى نقد منهج أولئك العلماء القدماء ، دخل منه الباحثون الوصفيون قدماء ومحدثين ، حتى لقد قال الدكتور إبراهيم أنيس في ستة من الأبحر المهملة السابق ذكرها : " الذي أرجحه أن هذه الأوزان الستة لم تكن من اختراع المولَّدين من الشعراء ، بل كانت من اختراع المولَّدين من أهل العروض !! " [١٩] .

أما أنها من اختراع العروضيين – وإن أوقعته ضرورة السخرية في مخالفة الحقيقة بنسبة ذلك إلى المولَّدين منهم ، وإنما أحْدَثَه إمامهم شيخنا الخليل نفسه [٢٠] – فحقٌّ لا ريب فيه ولا إنكار منهم له ، بل قد وَصَفوها بالإهمال فصَدَقونا وصَدَقوا أنفسهم .

وأما أن عملهم هذا يضع من قدر علمهم ، فغير مقبول عند من يراعي السياق الثقافي ، وغير مقبول عند من يعرف الأثر الحميد لعملهم هذا ، في عمل الشعراء منذئذ وإلى الآن . لقد كان في (المهمل) مُتَنَفَّسٌ ومندوحة ومجال بكر ، للمجددين من الشعراء ، اغتنموه قليلا قليلا .

إنه إذا كانت مفردات المولَّدين كبيت من استعمل (فاعلاتك) وبحرها المتوفر ، قائلا :

" ما رأيتُ مِن الْجآذِرِ بِالْجزيرةِ إذْ رمَيْن بِأسْهُمٍ جرحتْ فُؤادي " [٢١]

وبيت من استعمل بحر (المستطيل) ، قائلا :

" أمِطْ عَنِّي مَلامًا برى جِسْمي مَداه فَما قَلْبي جليدًا على سَمْعِ الْمَلامْ" [٢٢]

– قد حملته على استنكار ما اقترفه علماء العروض ، فقد كان في شيوعها في الشعر الموشح [٢٣] ، ثم في ظهور البحر السابع المهمل

(المحدث) الذي سمي بعدئذ (المتدارك) ، في الشعر العمودي منذ زمان بعيد ، وغلبته على الشعر الحر في القرن الميلادي العشرين [٢٤] ، ما يكشف عبقرية عملهم ويطرح عنه الاستنكار والسخرية [٢٥] .

وليس أمر (المهمل) من صيغ الكلم في علم الصرف ، عن ذلك ببعيد ؛ فقد استعمل المتكلم العربي للأسماء صيغتي (فُعِل ، فِعُل) جميعا ، في (دُئِل ، رُئِم ، حِبُك) ، وللأفعال صيغتي (فَعُل ، فَعِل) مثلا ، في (علُمَ ، شهِدَ) ؛ فدل على أن له بالمهمل حاجة [٢٦] .

ثانيًا : الوَزْنُ

[١٣] يحتاج الصائغ قبل أن يعالج صنع عقد من الذهب لفتاة يعرفها ، أن يستعين بالوزن دائما ليصنع ما يناسبها ؛ فيزن الذهب من قبل أن يمسه ومن بعد أن يصير بين يديه حبات متلائمة ، بل بعد هذا أيضا ليقدر ثمن العقد !

وما هذا الوزن إلا اختبار ثقل الذهب وخفته ، باستعمال أداة مناسبة تقابله ، ليحكم بنصيبيه من الثقل أو الخفة أو الاعتدال ، بالقياس إليها [٢٧] .

كان ذلك الصائغ يقابل المثقال من الذهب بمقدار من النحاس ، فيعرف هو ومعامله جميعا معا عندئذ ، الوزن ، لأنهما قد تعارفا على كون قطعة من النحاس أداة مناسبة لوزن الذهب ، ثم صار يستعمل جهازا خاصا يقابل ذلك المثقال بعدد حسابي ، فيعرف هو ومعامله جميعا معًا عندئذ ، الوزن ، كما عرفاه من قبل ، بل معرفة أدق .

[١٤] إن من يوشك أن يستعمل الكلمة ، يشبه ذلك الصائغ - بل قد سُمِّي باسمه كثيرا ، وسُمِّيَتْ بنية الكلمة صيغة - يحتاج أن يعرف وزنها ، وسواء في هذا أن يريدها لبيت من الشعر وأن يريدها لعبارة من النثر ؛ إذ ليست الكلمة سوى مقطع من الأصوات أو أكثر ، وعلى حسب نوع هذه المقاطع وعددها وترتيبها ، يكون لتلك الكلمة قيمتها التي إذا عرفها مستعملها ، وضعها موضعها ، قال العقاد في كلمة جامعة : " حسبنا أن نلاحظ في تركيب المفردات من الحروف أن الوزن هو قوام التفرقة بين أقسام الكلم في اللغة العربية ، وأن اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد

الاشتقاق لم تبلغ مبلغها في ضبط المشتقات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع بين مبانيها ومعانيها . فالفرق بين يَنْظُر ، وناظِر ، ومَنْظور ، ونَظير ، ونَظائِر ، ونَظّارَة ، ومُناظَرَة ، ومَنْظَر ، ومِنْظار ، ومُنْتَظِر ، وما يتفرع عليها هو فرق بين أفعال وأسماء وصفات وأفراد وجموع ، وهو كله قائم على الفرق بين وزن ووزن ، أو قياس صوتي وقياس مثله ، يتوقف على اختلاف الحركات والنبرات ، أي على اختلاف النغمة الموسيقية في الأداء . وحكم الأسماء الجامدة كحكم المشتقات في هذه الخصلة ؛ فإنها تجري جميعا على أوزان معلومة تشملها بأقسامها على تفاوت قوتها " [٢٨] .

ولهذا كانت اللغة العربية ، في أصلها ، عنده ، لغة شاعرة ، لانبنائها على نسق الشعر وكونها بنثرها وشعرها ، فنًّا منظوما منسق الأوزان والأصوات [٢٩] .

[١٥] كما ابتكر علماء المادة الطبيعية أدوات وزنها في البدء ، مما يشغل حيزا مثلها - رصد علماء العربية لمقاطع أية كلمة ، مقاطع معينة تناسبها وتصلح مِنْ ثَمَّ لوزنها ، تتجمع لتكون كلمة جُرِّدَتْ من المعنى وأُخْلِصَتْ لتكون مثالا تُحذى عليه الكلم إن لم تكن قد صيغت بعد ، ويكشفها ويبينها إن تكن قد صيغت ، " واستعمل ذلك اللفظ في معرفة أوزان جميع الكلمات ؛ فقيل : (ضَرَبَ) على وزن (فَعَلَ) ، وكذا (نَصَرَ) ، و(خَرَجَ) ، أي هو على صيغة يتصف بها (فَعَلَ) ، وليس قولك (فَعَلَ) ، هي الهيئة المشتركة بين هذه الكلمات ، لأنا نعرف ضرورةً أن نفس الفاء

والعين واللام غير موجودة في شيء من الكلمات المذكورة ؛ فكيف تكون الكلمات مشتركة في (فَعَلَ) ؟ بل هذا اللفظ مصوغ ليكون محلا للهيئة المشتركة فقط ، بخلاف تلك الكلمات ؛ فإنها لم تصغ لتلك الهيئة بل صيغت لمعانيها المعلومة " [٣٠] .

وفضلا عن حاجة العروضي والصرفي جميعا ، إلى وزن الكلمة ، واتفاقهما في فكرة أداته ، لا يكادان يختلفان في الأداة نفسها كذلك ، قال الدماميني : " اختار العروضيون للأجزاء الدائرة بينهم في وزن الشعر ، الفاء والعين واللام ، اقتفاءً لأهل الصرف في عاداتهم وزن الأصول بهذه الحروف ؛ فحذوا حذوهم في مطلق الوزن لما كان على ثلاثة أحرف مع قطع النظر عن الأصالة والزيادة ، وأضافوا إلى ذلك من الحروف الزوائد سبعة وهي الألف والياء والواو والسين والتاء والنون والميم" [٣١] .

وعلى رغم ظهور ذلك الاقتفاء الذي رآه من العروضيين للصرفيين ، لا يمتنع أن يكونوا جميعا مقتفين مقتضى الحاجة الواحدة .

[١٦] وكما صار صائغ الذهب يستعمل في وزنه جهاز الحساب العددي ، صار بعض الدارسين المحدثين لعلمي العروض والصرف ، يستعملون في وزن الكلمة ، أدوات علمي الأصوات والموسيقا الحديثين ، ويدعون إلى ترك الأداة القديمة البالية [٣٢] .

ولم يعد أحد يستطيع أن يطرح عنه منجزات علمي الأصوات والموسيقا الحديثين في دراسته لعلمي العروض والصرف ؛ ففي الأخذ بها كشف كثير من الدقائق الخفية المعضلة التي تعترض طريق الدراسة .

ولكن ينبغي أن نثبت لأداة الوزن القديمة ، صفتها العليا التي لا تنازعها إياها أداة أخرى ، وهي وَظيفيَّتُها ؛ فإن المتعلم متى وعى تلك الأداة وفكرتها ، استطاع دائما أن يميز في التَّوِّ ما يلقى عليه ، بل أقول مع الأستاذ محمد العلمي الذي حَصَرَ قوله في علم العروض - وأنا أضيف إليه علم الصرف - : إن تلك الأداة القديمة نفسها ، بما لها من خصائص كخصائص موزونها ، تبين لنا الوزن سمعيا وبصريا ، أي بالصوت والصورة ، إذا جاز هذا التعبير [٣٣] .

• طَبيعَةُ السّاكنِ وَالْمُتَحَرّكِ وتَواليهما

[١٧] يطلق مصطلح (الساكن) و(المتحرك) ، في علمي العروض والصرف ، على (الحرف) ؛ فكل من اللام والألف والواو والياء في أواسط هذه الكلمات : (عِلْم ، باب ، قَوْل ، دور ، بَيْن ، عيد) ، حرف ساكن ، وكل من اللام والواو والياء في أواسط هذه الكلمات : (طَلَع ، أَوَد ، قِيَم ، حَلُم ، عَلِم ، حَوِر ، أَيِس) ، حرف متحرك .

وقد قام على أساس طبيعة الساكن والمتحرك وطريقة تواليهما أحدهما أو كليهما ، حديث علماء العروض والصرف جميعا ، في الوزن وغيره من مسائل هذين العليمن ، حتى صارت ضرورةَ معرفةُ هذا الأساس ، قال ابن عبد ربه : " اعلم أن أول ما ينبغي لصاحب العروض أن يبتدئ به ، معرفة الساكن والمتحرك ؛ فإن الكلام كله لا يعدو أن يكون ساكنا أو متحركا " [٣٤] ، وليس صاحب الصرف بمَنْأَى ، وتَفَقُّد كُتُبِه دليل لا يُرَدُّ .

[١٨] وبتقدم البحث في علم الأصوات وأدوات القياس ، مَيَّزَ الباحثون المحدثون طائفتين من (الأصوات) ، واضحتي المعالم ، لم يطابقا طائفتي المتحركات والسواكن ، السابقَ بيانُهما تماما :

١ طائفة ما يقبل من الأصوات موقع بِداءَة المقطع ، ولا يصح قمة له .

٢ طائفة ما لا يقبل موقع بِداءَة المقطع ، ويصح قمة له .

ثم رجعوا إلى (المتحرك) ، فشقوه نصفين ، ليجعلوا نصفه الأول من الطائفة الأولى ، ونصفه الآخر من الطائفة الأخرى ، وإلى (الساكن) ، ليخرجوا مما أودعه القدماء فيه ، ألف المد وواوه وياءه ؛ فيجعلوها من

الطائفة الأخرى لديهم ، وواو اللين وياءه ، ليجعلوهما نمطا مزدوجا من أصوات الطائفة الأخرى نفسها ، غير أن بداءَته تنتمي إلى الطائفة الأولى ؛ ومن ثم احتاج هؤلاء الباحثون المحدثون إلى أن يستبدلوا بالساكن والمتحرك ، مصطلحين مقبولين ؛ فكان منهم من أطلق على صوت الطائفة الأولى مصطلح (الصامت) ، وعلى صوت الطائفة الأخرى مصطلح (الصائت) ، وكان منهم من قال بـ(الصامت) و(المصوِّت) ، ولكن كان منهم من أخذ من القدماء وعدل ؛ فقال بـ(الساكن) لصوت الطائفة الأولى ، و(الحركة) لصوت الطائفة الأخرى ، وكل منهم معنيٌّ بالجانب الوظيفي من الأصوات ، لا النُّطقي ولا الفيزيقيّ ، وهو ما أراه بقية من تأثُّرٍ منهج القدماء [٣٥] .

[١٩] لقد انكشف أن علماءنا القدماء كانوا يرون أن الصوائت الطويلة (حروف المد) ، مشكولة بالسكون ، ومسبوقة بحركة من جنسها ، وأنهم راعوا رأيهم هذا في علمي العروض والصرف جميعا ؛ ففي حين ميزوا فتحة ما قبل ألف التّأسيس ، عن الألف ، وسموها (الرّسّ) ، وحركات ما قبل ألف الرّدْف وواوه ويائه ، عنها وسموها (الحَذْوَ) ، وحركات ما قبل ألف الوصل وواوه ويائه ، عنها وسموها (المَجْرى) ، وغير ذلك ، في علم العروض - جعلوا ما يسكن من حروف العلة بعد حركة مناسبة (أي فتحة قبل الألف ، وضمة قبل الواو ، وكسرة قبل الياء) ، مدا ، في حين يجعلون الواو والياء ، متى سكنتا بعد فتحة ، حرفَيْ لينٍ لا مدٍّ ، وكذلك جعلوا تغيير (لَمْ يَخافْ) إلى (لَمْ يَخَفْ) ، تخلصا من التقاء الساكنين بحذف الألف بعد الخاء ، وغير ذلك ، في علم الصرف .

إنما كان ذلك ، عند بعض اللغويين المحدثين ، نتيجة أمرين :

١ " أن الصائت الطويل في التحليل العروضي كما وضعه الخليل ، يحسب صوتا ساكنا مسبوقا بحركة من جنسه ؛ فتحليل كلمة مثل (بي) تحسب على أنها مؤلفة من : متحرك + ساكن ، أي من صوتين ، وهي فونولوجيًا مؤلفة من : باء + كسرة + كسرة ، أي من صامت وحركتين قصيرتين ، وهي تشبه من الناحية العروضية كلمة مثل (لَمْ) التي تحسب على أنها مكونة من : متحرك + ساكن ، وهي فونولوجيًا مؤلفة من : لام + فتحة + ميم ، أي من صامت وحركة قصيرة وصامت . وسَوَّغ ذلك للخليل أن مثل هذه الكلمات من حيث الكَمّ المقطعي متساوية . وهو ما يوضحه تبادلهما في بيت من الشعر ، ودون أن يؤدي ذلك إلى إخلال بالوزن .

٢ المساواة في طريقة الكتابة بين الصامت والصائت الطويل " [٣٦] .

لقد كان من ذكاء هذا اللغوي الفاضل ، أن وازن بين (لمْ) و(بي) ، لأن الهواء والجَهْر كليهما ، يستمران في الميم على رغم سكونها ؛ فيتطابق زمنا المقطعين ، أما إذا وازن بين المقطع (قد) في (قدرة) ، والمقطع (قا) في (قارة) ، فلن نستطيع أن نحكم بتطابقهما زمنا كما كان فيما قبلهما ، لاحتباس الهواء والجهر كليهما في الدال الساكنة ، لكنني لا أنكر أنهما متقاربان زمنا ، وأن الشاعر أولا ثم المنشد من بعده ، يستفيدان من هذا التقارب ، إنابة أحدهما عن الآخر ، مما كان عند أستاذنا الدكتور محمد حماسة ، أحد مقومات مرونة الشعر العربي [٣٧] ، وهو ما راعاه علم العروض

بإطلاقه مصطلح السبب الخفيف عليهما جميعا ؛ فكان موضع نقد بعض الباحثين ؛ إذ رأوا فيه مجافاة للحقيقة ومراعاة للشكل البحت ، وأنه لم يعد مقبولا أن نصبر على هذه التسوية بين ما لا يتساوى ، بعد النتائج المذهلة للقياس الصوتي والزمني المتطور "[٣٨] .

ومازلت أدعو مع الداعين إلى الانتباه إلى مخالفة غاية شيخنا الخليل ومن تبعه ، لغاية علمي الأصوات والموسيقا الحديثين ومن اعتمد عليهما ، في أن الأولى وظيفيّة ، لا ضرر من أن نتغياها مع الأخرى ؛ فننجح عملا وعلما .

أما خداع الكتابة للباحث ، فشائع ذائع ، يظل مانعا من الاعتماد عليها عند التحقيق ، والاستناد إليها . ولقد زاد من التخليط في هذه المسألة ، أن بعض الكاتبين كان يضع فتحة على ما قبل ألف المد ، وضمة على ما قبل واو المد ، وكسرة على ما قبل ياء المد "[٣٩] .

[٢٠] إن الوزن نمط خاص من الإيقاع ؛ فإن الإيقاع عبارة عن التناوب المتوالي لظاهرتين أو حالين متضادتين ، كالمشي والوقف ، والصحو والنوم ، وليس الوزن (الإيقاع اللغوي) بمختلف عن هذا ؛ فهو " يتولد من توالي الأصوات الساكنة والمتحركة على نحو خاص ، بحيث ينشأ عن هذا التوالي وحدة أساسية ، هي التفعيلة التي تتردد على مدى البيت ، ومن ترددها ينشأ الإيقاع ، ومن مجموع مرات التردد في البيت الواحد يتكون ما يسمى بالوزن الشعري "[٤٠] .

إنه إذا كان الوزن العروضي يخرج بترديد هذه الوحدة الأساسية ، فإن الوزن الصرفي يخرج فيها ومن خلالها هي نفسها .

[٢١] ولما كان ذلك كذلك ، كره علماء الصرف والعروض جميعا ، توالي المتحركات ، ومنعوه إذا تجاوز الحد ، لأنه " يلزم أن تكون متحركات حروف الأقاويل الموزونة متحركات محدودة ، وأن تتناهى أبدا إلى ساكن " [٤١] ؛ فالإيقاع في الوزنين العروضي والصرفي جميعا ، معتمد على ذلك التناوب السابق ذكره .

أما علماء العروض فقد وصفوا الزحاف المُزْدَوِج بالقبح ، لشدة ما يحدثه من تغيير ، ومن هذا إخراج أربعة متحركات متوالية ، كما في خَبْلِ (مُسْتَفْعِلُنْ) الذي يحولها إلى (مُتَعِلُنْ) ، واستعملوا للزحاف بعامة ، قوانين المُعاقَبة والمُراقَبة والمُكانَفة ، وهي ضوابط مدى حُرِّيَّتِه ، التي تَمنَعُ منه مَثَلًا ما يؤدي إلى توالي أكثر من أربعة متحركات ، قال الدماميني عن زحاف بحر المنسرح : " المعاقبة فيه واقعة في (مستفعلن) الذي بعد (مفعولات) ، فتعاقب فاؤه سينَه ، وذلك لأنهما لو أسقطا حتى يصير الجزء إلى (فَعَلَتُنْ) وقبلها تاء (مفعولاتُ) لاجتمع خمس حركات ، وذلك لا يتصور وقوعه في شعر عربي أبدا " [٤٢] ، وفي مرة أخرى قال : " وهو لا يُتَصَوَّرُ في شعر عربي أصلا " [٤٣] .

إنه إذا كان خبل (مستفعلن) مكروها ، فخبلها بعد (مفعولات) ممنوع .

أما علماء الصرف فقد منعوا توالي أربعة متحركات في كلمة واحدة أو ما بمثابتها ، لأنها معرضة لأن يسبقها أو يلحقها متحرك أو أكثر ، وعندئذ يقع المحظور ، قال سيبويه : " أحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين ، أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا . ألا ترى أن بنات الخمسة وما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة ، استثقالا للمتحركات مع هذه العدة ، ولابد من ساكن . وقد تتوالى الأربعة متحركةً في مثل (عَلَبِط) ، ولا يكون ذلك في غير المحذوف . ومما يدلك على أن الإدغام فيما ذكرت لك أحسن ، أنه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة " [٤٤] ، وقال ابن عصفور – فزاد بيانا – : " كذلك (جَندِل) ، و(ذَلَذِل) ، ليس فيه دليل على إثبات (فَعلِل) في أبنية الرباعي ، لأنهم قالوا (جَنادِل) و(ذَلاذِل) في معناهما ؛ فهما مخففان منهما . ومما يؤيد ذلك أنه لا يتوالى في كلامهم أربعة أحرف بالتحريك ؛ ولذلك سكن آخر الفعل في (ضربْتَ) ، لأن ضمير الفاعل يتنزلُ من الفعل منزلة جزء من الكلمة ؛ فكرهوا لذلك توالي أربعة أحرف بالتحريك . فإذا كان ممتنعا فيما هو كالكلمة الواحدة ، فامتناعه فيما هو كلمة واحدة أحْرى " [٤٥] .

إن توالي أربعة متحركات في كلمة واحدة أو ما هو بمنزلتها ، غير تواليها في كلمتين ، لأن الأول أصلي قائم أبدا ، والآخر عارض يحتمل ألا يكون ؛ ومن ثم أوجبوا قطع التوالي الأول بساكن ولم يملكوا في الآخر إلا أن

يكرهوه ، ويُزَيِّنوا للمتكلم تسكين الإدغام كلما اجتمع له حرفان متماثلان أو متقاربان .

[٢٢] لاحظ الدكتور أحمد بسام ساعي ، في الشعر الحر الذي يسميه " التَّوقيع " ، توالي خمس حركات ، ورآه ظاهرة شديدة الخطورة ، لما فيها من هدم لقانون التوالي السابق ذِكْرُه وشَرْحُه ، غير أنه توقف في مسألة منع عروض الشعر العربي لها ، قائلا : " توالي الحركات في الشعر العربي لم يمنعه العروض بقدر ما منعته اللغة ؛ فاللغة العربية في طبيعتها تفتقد التراكيب التي يتوالى فيها أكثر من أربع حركات ، وباستطاعتنا أن ننظم بيتا أو أبياتا تتوالى فيها حركات كثيرة قد تتجاوز العشر " ، وهو ما فعله في الحاشية قائلا : " كما في هذا البيت - وأرجو أن ينظر إليه من الناحية العروضية فقط - :

أوَلَمَسَ وَعَرَفَ حَقِيقَةَ أنَّ (م) جِهادَ الْحُبِّ عَلَيْهِ عَزيزْ
فَعَلُ فَعَلُ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعَلانْ

وقد توالى في الشطر الأول إحدى عشرة حركة ، ولكننا نعجز عن إتمام البيت على هذا الأساس ، والأذن العربية لا تنبو عن موسيقاه ، والعائق كما هو واضح ، لغوي لا عروضي أو موسيقي " - ثم يكمل في المتن - " ولكن هذا لن يكون أمرا ميسورا في لغة كاللغة العربية ، وسنعجز عن إتمام البيت أو الأبيات على تلك الصورة من غير تكلف واقتسار ظاهرين " [٤٦] .

إنني أعجب من تمييزه على هذا النحو ، بين الوزن العروضي وهو ما عبر عنه بالعروض ، والوزن الصرفي وهو ما عبر عنه باللغة ؛ إذ ليس الأول إلا تركيبا للآخر ، هذه واحدة .

ثم إن اللغة لم تمنع توالي المتحركات إلا في الكلمة الواحدة أو ما بمثابتها ، أما فيما سواهما فالكراهة فقط ، هذه أخرى .

ثم إن في توالي المتحركات اختلالا إيقاعيا ألصق بالنثر منه بالشعر ، قال الجوهري في خلال تفصيله لعلل العروض المرفوضة : " الثالثة ترك الوزن ، كالجمع بين خمس متحركات ، وتحريك سواكن الأوتاد والأسباب ونحوها ، مما يدرك بالذوق نبو الطبع عنه لفساد النظم . وهذا لا يَسوغ للمحدث ولا للقديم ، لأن فيه تركا للوزن ، وإخراجا للنظم إلى النثر "[٤٧] ؛ ومن ثم كانت ظاهرة توالي خمسة متحركات ، من ظواهر تسرب النثر إلى الشعر الحر التي أغرم بها شعراؤه ، وحرصوا عليها في أوليّته ، هذه ثالثة .

أما الملاحظة الرابعة الأخيرة ، فأن الوزن العروضي يأبى ذلك التوالي الذي يحاول السيد الباحث إقناعنا بقبوله له ، وما زلت منذ أعدت النظر في ذلك البيت الذي صنعه ، أتخيل العربي المدرب وقد اختلس الحركة ؛ فقطع التوالي من أوله (" أولَمْسَ " بتسكين هذه الميم) ، وآخره (" وعرْفَ " ، بتكسين هذه الراء) !

[٢٣] كما كان توالي المتحركات على هذا النحو السابق ، خللا إيقاعيا ، يكون توالي الساكنين المصطلح عليه عند القدماء بالتقاء الساكنين ؛

فإن " السواكن إذا كثرت ثقل مسموع القول وزال بعض بهائه " [٤٨] ، فكيف يكون مسموع القول إذا توالت والتقت !

[٢٤] إن التقاء الساكنين ينشئ هذه المقاطع التي راعيت أن يكون كل منها كلمة مستقلة ، وأن تكون أسماؤها الاصطلاحية قريبة متلائمة :

١ " لامْ " بتسكين الميم = س ح ح س : المقطع المُسْتَطيل المغلق بصامت واحد .

٢ " لـمّْ " بتضعيف الميم وتسكينها : المقطع الذي يجعله طَويلًا مُغْلَقا = س ح س ، من يراعى النطق وحده ، ويجعله مستطيلا مغلقا بصامتين = س ح س س ، من يراعي الوظيفة وحدها .

٣ " لـمْخْ " بتسكين الميم والحاء = س ح س س : المقطع المستطيل المغلق بصامتين .

٤ " لامّْ " بتضعيف الميم وتسكينها : المقطع الذي يجعله مستطيلا مغلقا بصامت واحد = س ح ح س ، من يراعي النطق وحده ، ويجعله مُتطاولا = س ح ح س س ، من يراعي الوظيفة وحدها [٤٩] .

ولقد قسم أستاذنا الدكتور سعد مصلوح ، المقاطع على حسب وقوعها في الكلمة ، على قسمين : حُرّ ، ومُقَيّد . فأما المقطع المقيد فيقع في نهاية الكلمة عند الوقف عليها ، ويشمل من الأنواع السابقة (٢ ، ٣ ، ٤) ، وأما المقطع الحر فيقع في بداءة الكلمة ووسطها ونهايتها ، ويشمل النوع (١) ، الذي مثل له أستاذنا قائلا : " مثاله (رادّك) ، و(تحاضّون) ، و(تقاصّ) . وتتجه العربية المعاصرة إلى التقليل من استعمال هذا النوع من المقاطع . وقد

لاحظ علماء السلف كالمُبَرِّد ، أن هذا الضرب لا يقع في عروض الشعر إلا ما كان من قول القائل :

فَرِمْنا القِصاصَ وكانَ التَّقاصُّ فَرْضًا وَحَتْمًا عَلى المُسْلِمِينا

ويعلق المبرد بقوله : (ولو قال : وكان القصاص ، لكان أجود)" [50].

إن استعمال هذه الأنواع الأربعة جميعا ، يعطل تـدفق الأصـوات ، ويخل بإيقاعها ؛ ولذا حصرته العرب في نهاية الكلمة ، وعند الوقف الذي هو خاتمة ذلك التدفق وهذا الإيقاع ، غير أنهم استعملوا النوع الأول في الوصل (أي غير الوقف) في نثرهم وشعرهم ، وبلسان عربي مبين نـزل القـرآن الكريم ؛ فاحتاج هذا الاستعمال إلى فضل نظر .

أما الشعر فقد شذ فيه هذا البيت الذي اجتمع فيه قَصْر تفعيلة العروض (فعولن) إلى (فعولْ) - وهو ما لا يكون إلا عند التصريع الذي يقف فيه الشاعر ومن بعده المنشد ، على العروض ، مثل وقوفه علـى الضـرب - والتدوير الذي ينبهنا إلى شدة اتصال شطري البيت ، فضلا عما يـوحي بـه سبق كلمة (القصاص) ، من أن فـي مجـيء كلمـة (التقـاص) تعمّـلا واصطناعا [51].

أما النثر فإننا إذا أحصينا ما وقع فيه هذا المقطع في غير النهاية مـن الكلمات ، ثم طرحنا الخاص منها والشاذ ، لم نجده يخرج عمـا فـي مثـل (ضالّ) ، و(تُمودّ) المبني للمجهول من (تَمادّ) ، و(دُوَيْبّـة) مصـغر (دابّة) ، أي يقع كذلك بشرطين : الإدغام وتوحد الكلمة [52].

ثم إن هذا المقطع في مثل : (تُمودّ) ، و(دُوَيبَّة) ، أقل في لغة العرب منه في مثل (ضالّ) ، فضلا عن أن العرب كانت تهمز ألف مثل (ضالّ) ، كما في قول راجزهم :

" خاطمَها زَأَمَّها أنْ تذهبا "

أي زامّها ، ولولا الهمز لانكسر الوزن ، حتى لقد قرأ قراؤهم بالهمز قول الحق - سبحانه ، وتعالى ! - : " ولا الضالّين " ، هكذا : " ولا الضأّلين " ، وقوله : " عَنْ ذَنْبِه إِنسٌ وَلا جانٌّ " ، هكذا : " وَلا جَأَنٌّ " [٥٣] .

لقد شطر هؤلاء الهامِزون ، المقطع المستطيل المغلق بصامت واحد " زامْ ، ضالْ ، جانْ = س ح ح س ، " شطرين ؛ فأخرجوا منه مقطعين : أولهما قصير " زَ ، ضَ ، جَ = س ح " ، والآخر متوسط مغلق " أَمْ ، أَلْ ، أَنْ = س ح س " ، استثقالا منهم لذلك المقطع الطويل الذي يعوق تدفق الأصوات ويخل بإيقاعها شيئا ما [٥٤] .

وإن معالجة النطق لتهديني إلى احتمال أن يختلس العربي المد - إن لم يهمزه - وأن يكتفي بشيء من النبر لا يعطل تدفق الأصوات ولا يخل بإيقاعها ؛ فيعيد ذلك البيت الشاذ إلى جادة الوزن ، هكذا : ... وكانَ التَّقَصُّ فَرْضًا ... !

• نَشْأَةُ الْوَزْنِ وَشُيوعُه وَاسْتِحْداثُه

[٢٥] نظر علماؤنا القدماء في مثل قول الشاعر :

" وَلِلّهِ عَيْنا مَنْ رَأى أَهْلَ قُبَّةٍ أَضَرَّ لِمَنْ عادى وَأَكْثَرَ نافعا
وَأَعْظَمَ أَحْلامًا وَأَكْبرَ سَيِّدًا وَأَفْضَلَ مَشْفوعًا إِلَيْه وَشافِعا "

فوجدوه قد جزأ البيت على حسب مواقف اللسان : (أضر لمن عادى = فعولن مفاعيلن ، وأكثر نافعا = فعولن مفاعلن ، وأعظم أحلاما = فعولن مفاعيلن ، وأكبر سيدا = فعولن مفاعلن ، وأفضل مشفوعا = فعولن مفاعيلن ، إليه وشافعا = فعول (فعولن) مفاعلن) .

ونظروا في مثل قول الآخر :

" أفادَ فَجادَ وَسادَ فَزادَ وَقادَ فَذادَ وَعادَ فَأَفْضَلْ "

فوجدوه قد زاد على مثل ما صنع الأول ، التزامَ سجع الأجزاء : (أفاد = فعولُ ، فجاد = فعولُ ، وساد = فعولُ ، فزاد = فعولُ ، وقاد = فعولُ ، فذاد = فعولُ ، وعاد = فعولُ) .

ولقد جعلوا ذلك كله من بديع التقسيم ، ثم ميزوا عمل الأول ؛ فسموه (التَّقْطيع) [٥٥] ، وعمل الآخر ؛ فسموه (التَّرْصيع) [٥٦] ؛ ففتحوا للمحدثين باب فهم نشأة الوزن العروضي العربي ، حتى قال جويار كلمتَه السديدة : " قد اتضح إذن أصل البحور العربية ؛ فالعرب بدؤوا بالتعبير عن أنفسهم بالنثر خاصة ، ثم استجابة لدافع طبيعي لهذه الحاجة الفنية الجمالية الفطرية عند البشر (...) في إحداث لون من النظام ونوع من الانتظام فيما يأتونه – تَصَوَّروا أن يقطعوا حديثهم إلى جمل من نفس الطول ، ونزعوا إلى جعل هذه

الجمل متشابهة فيما بينها أكبر قدر ممكن من التشابه . والوسيلة الوحيدة التي كانت بإمكانهم ، هي أن يحاكوا في الجملة نفس الصوت الذي سمعوه في الجملة قبلها ، وهكذا نشأ السجع . لكن نتج عن هذا الأمر نفسه ، القائم على محاكاة صيغ الكلمات وترتيبها بين الجمل ، نوع من الإيقاع أطْرَبَ أسماعهم ، وكان عليهم أن يبحثوا عن طريقة لترتيب هذه الكلمات بشكل يحدث لهم التأثير الأكثر إمتاعا ؛ فتوصلوا إلى ذلك بأحد أمرين : إما باستخدام كلمات من نفس الصيغة من كل شطر ، وإما برصف كلمات مختلفة من شأن اجتماعها مع بعضها أن يولد مجموعات إيقاعية متشابهة ، وكانت البحور " [٥٧] ، ثم تلاه غير واحد من الباحثين العرب ، كالدكاترة عبد الله الطيب المجذوب ، وعبد المجيد عابدين ، ومحمد عوني عبد الرؤوف .

[٢٦] لقد تولد وزن البيت إذن ، من وزن الكلمة المكرر ، ووضح أن الوزن العروضي توظيف للوزن الصرفي [٥٨] ، مما كان فيما أحسب ، وراء دعوة أستاذنا الدكتور محمد حماسة إلى كشف التفاعل الكامن في العبارة الشعرية ، بين الوزن العروضي وأبنية المفردات [٥٩] .

إن في هذه العلاقة التي اتضحت ، جوابا وتفسيرا لأسئلة وملاحظات عروضية تتكرر في مختلف الأمكنة والأزمنة ، على اختلاف اللغات ، كملاحظة ابن خلدون : " ليس كل وزن يتفق في الطبع ، استعملته العرب في هذا الفن ، وإنما هي أوزان مخصوصة يسميها أهل تلك الصناعة البحور " [٦٠] ، وكسؤال الباحث الأمريكي : " لماذا هذه الأشكال العروضية

بالذات وليس غيرها ؟ " [٦١] ؛ ففي كل لغة علاقة خاصة بين وزنها العروضي ووزنها الصرفي ، تُحَدِّدُ لها بحور شعرها [٦٢] .

وفي شهادة طريفة لبعض المشغولين بالتجديد من الشعراء ، جواب وتفسير آخران عمليّان خارجان من معاناة الإبداع نفسها ؛ إذ قال الشاعر المصري محمد سليمان : " اكتشفت أن اللغة ليست بريئة نغميا ، وأن الشاعر عليه أن يواجه سلطتها وتسلطها على المستويين : الدلالي والنغمي ؛ فكل مفردة هي في الغالب جزء من تفعيلة أو تفعيلة كاملة (خَيْمَةٌ = فاعلن ، صَباحٌ = فعولن ، جُمَّيْزَةٌ = مستفعلن ، مَطَرٌ = فعلن أو متفا ... إلخ) . العبارة الأولى في القصيدة وأحيانا المفردة الأولى تحدد الإطار النغمي ، ومجرد بروز تفعيلة معينة في مدخل القصيدة يحدث نوعا من الانتقاء اللغوي ، ويضيق بالتالي أُطُر الحرية ، ويقمع كل محاولة للإمساك بكامن إيقاعي خاص بالتجربة " [٦٣] .

إنه يقر بتلك العلاقة ويعترف بخضوعه لها مرغما أسيفا ، ولا فرق في هذا بين الصورة السالمة للوزن العروضي والصورة المغيرة ، في صدورها عن وزن الكلم الصرفي [٦٤] .

[٢٧] تتبع ابن عصفور صيغ الكلمات ، فاستوعبها أولا بالقسمة العقلية السالفة الذكر في الفقرة العاشرة ، ثم مضى يعرض لأوزانها وزنا وزنا ، فأطال جدا ، حتى إنه استفرغ في هذا عُظْمَ كتابه . وقد وجدته في كثير من الأحيان يقف أمام الوزن كالمنكر ، يقطع مرة بأنه مما أخرجه الوزن العروضي ، ويصمت أخرى فتقوم طريقته في التفسير مقام ذلك القطع نفسه .

فمن النمط الأول قوله : " زاد بعض النحويين في أبنية الخماسي (فِعَلِّل) نحو (صِنَّبِر) ، والصحيح أنه لم يجئ في أبنية كلامهم إلا في الشعر ، نحو قوله :

بِجِفانٍ تَعْتَري نادِيَنا مِنْ سَدِيفٍ حينَ هاجَ الصِّنَّبِرْ " [٦٥] .

ومنهم كذلك أنه يرى وزن (يَفْعَلّ) الذي جاء منه (يَهْيَرّ) ، و(فِعْيَلّ) الذي جاء منه (قِشْيَبّ) ، و(قِسْيَنّ) ، و(عِظْيَمّ) - حادثين بتشديد آخر الكلمة الصحيحة الآخر غير المهموزته ولا المسبوق آخرها بساكن ، عند الوقف الذي لا يتورع الشاعر عن استعماله في الوصل ، كما في قول راجزهم :

" مَحْضُ النِّجارِ طَيِّبُ الْعُنْصُرّ " [٦٦] .

ومن النمط الآخر أنه يرى أن وزن (فُعَلِل) الذي جاء منه (عُلَبِط ، وهُدَبِد ، وعُكَمِس ، وعُجَلِط ، وعُكَلِط ، ودُوَدِم) ، ووزن (فَعَلُل) الذي جاء منه (عَرَتُن) ، ووزن (فَعَلِل) الذي جاء منه (جَنَدِل ، ونَلَذِل) - حادثة بحذف الألف تخفيفا ، بدليل أنها رويت أيضا بإثباتها [٦٧] . ومنه كذلك ما رأى فيه عكس ما سبق قائلا : " وكذلك (خَلَفْناة) : (فِعَلْناة) ، إلا أنه ليس ببناء أصلي ، لأنهم قد قالوا : (خِلَفْنَة) ، فيمكن أن يكون هذا مشبعا منه " [٦٨] .

إن لابن عصفور في علم الصرف وضرائر الشعر ، كتابين معدودين في أفضل ما خرج في هذين الشأنين جميعا [٦٩] ؛ ومن ثم تجد آراؤه فيهما دائما العنايةَ الملائمةَ ، ولست إلا واحدا ممن يعبؤون بها . لقد منعه علمه بالصرف من أن يجد تلك الأوزان الصرفية ولا يعرض لها ، ومنعه علمه

بضرائر الشعر من أن يجدها من عمل الشعراء في شعرهم ولا ينبه على هذا فيها ، غير أنه صرّح مرة ولمّح أخرى ، فلم يكن تلميحه بأقل دلالة عندنا من تصريحه ؛ إذ قد علمنا من ملاحظة علاج الشاعر لشعره ، أنه لا يتورع عن تغيير وزن الكلمة الصرفي ، تسليما للوزن العروضي ، دون أن يفسده ، وليس أسهل عليه من مثل ما ذكره ابن عصفور [٧٠] .

لدي تجربة طريفة ذكرها لنفسه الدكتور نجيب البهبيتي - رحمه الله ! - عانى فيها النظر في شعر طرفة بن العبد ، ثم قال : " شعرت شعورا واضحا أنه يُكَيِّف الألفاظ ، ويُطَوِّعها لوزن شعره ، وختام بيته . ومن ذلك قوله في جمع (فَرِح) : (فُرُح) ، و(هاذِر) : (هُذُر) ، و(فاخِر) : (فُخُر) ، و(بِكْر) : (بُكُر) ، و(إزار) : (أُزُر) ، و(وَقور) : (وُقُر) ، و(أشْقر) : (شُقُر) ، وغيرها (...) ومن هذا القبيل أيضا تخفيف الحرف المتحرك في وسط الكلمة ، بإبدال حركته سكونا ، كـ(مَلْك) في (مَلِك) ، وعكس ذلك ، كقوله في (شُقْر) : (شُقُر) ؛ فهذه فيما أظن ، عمليات قد أكسبها الشعر للكلمة " [٧١] .

إن في كون أكثر ضرائر الشعر ، من تغيير الوزن الصرفي [٧٢] ، بيانا لعلاقته بالوزن العروضي ، ثم إنه بالإلحاح على تغييرات بعينها ، تنشأ أوزان صرفية جديدة ، ويتأصل استعمالها عرفا ، فلا يملك علماء الصرف إلا أن يضيفوها إلى مادتهم ويراعوها في عرض علمهم ، وإن كان منهم العالم بالشعر الذي يفطن إلى تلك النشأة ، وغيره الذي يكتفي بالإضافة .

[٢٨] ولقد صار لـــ(الملحق) باب مستقل أصيل في علم الصرف ، يعرض فيه علماؤه لأوزان صرفية نشأت لغرض لفظي (صوتي) ، بتغيير أوزان صرفية أولى ، ربما لم تعد مستعملة ، تغييرا يجعلها بزيادة حـــرف أو حرفين ، على وفق أوزان معينة ، من نوع مقاطعهـــا وعـــددها وترتيبهـــا ، " ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة ، مثل كلمة أخرى فـــي عـــدد الحـــروف وحركاتها المعينة والسكنات ، كل واحد في مثل مكانه الملحق بهـــا ، وفـــي تصاريفها : من الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول – إن كان الملحق به فعلا رباعيا – ومن التصغير والتكسير ، إن كان الملحق بـــه اسما رباعيا لا خماسيا . وفائدة الإلحاق أنه ربما يُحتاج في تلك الكلمة إلـــى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع " [٧٣] .

ما (المُلْحَقُ) فيما أرى ، إلا ظاهرة وزنية صرفية ، من آثار الوزن العروضي ونتائج علاج الشاعر لإبداع شعره ، صارت سنة لغوية اتبعه فيها غيره من مستعملي اللغة . ومن قديم ينهج الشعراء لغيرهم مناهج اللغة .

كذلك أرى أن الإلحاق كان في أوّليّته لفظيا (صوتيا) فقط ، ثم صار وسيلة إلى توسيع المعنى أو تخصيصه أو التعبير عن معنى جديد . إن لـــدينا نماذج باقية من تلك المرحلة السابقة ، تؤكدها وتبينها ، قال ابـــن منظـــور : " جَهَرَ بكلامه ودعائه وصوته وصلاته وقراءته (...) وأَجْهَرَ وجَهْوَرَ : أعلن به وأظهره " [٧٤] ، وقال : " شَمَلَ الرجل وانْشَمَلَ وشَمْلَلَ : أسرع وشمَّر " [٧٥] ، فقدم لنا فيهما (جَهْوَرَ) الذي على وزن (فَعْوَلَ) ، الملحق بـــ(فَعْلَـــلَ) ، بتغيير (جَهَرَ = فَعَلَ) ، و(شَمْلَلَ) الذي على وزن (فَعْلَـــلَ) ، الملحـــق

بـ(فَعّلَ) كذلك ، بتغيير (شَمَلَ = فَعَلَ) - اللذين لم يتغير المعنى فيهما عنه فيما غُيِّرا عنه . ولا نحتاج إلى نماذج للمراحل اللاحقة (كَسَيْطَرَ = فَيْعَلَ ، وشَرْيَفَ ، بمعنى قطع ورق الزرع الجاف = فَعْيَلَ) ، الملحقين كذلك بـ(فَعّلَ) ، بتغيير (سَطَرَ = فَعَلَ ، شَرُفَ = فَعُلَ) ؛ فهي الآن المستولية على الملحق ، حتى لقد صار ملجأ المحدثين كلما احتاجوا إلى التعبير عن معنى جديد ، ولا سيما إذا ترجموا فعجزوا عن مقابلة الكلمة بمثلها من العربية ، فأخرجوا لنا كلما لا أستطيع الآن حصرها - بل لم أعلم أحدا قام بهذا - وفقوا في بعضها وأخفقوا في بعضها (كما في مثل : عَلْمَنَ = فَعْلَنَ ، بتغيير عَلِمَ = فَعِلَ ، وعَمْلَنَ = فَعْلَنَ ، بتغيير عَمِلَ = فَعِلَ ، وجَمْعَنَ = فَعْلَنَ ، بتغيير جَمَعَ = فَعَلَ ، وشَعْرَنَ = فَعْلَنَ ، بتغيير شَعَرَ = فَعَلَ ، وبَنْيَنَ = فَعْلَنَ ، بتغيير بَنى = فَعَلَ ، ومَغْجَنَ = مَفْعَلَ ، بتغيير عَجَنَ = فَعَلَ ، ومَغْجَمَ = مَفْعَلَ ، بتغيير عَجَمَ = فَعَلَ ، ومَفْصَلَ = مَفْعَلَ ، بتغيير فَصَلَ = فَعَلَ ، ومَنْطَقَ = مَفْعَلَ ، بتغيير نَطَقَ = فَعَلَ ، ومَذْهَبَ = مَفْعَلَ ، بتغيير ذَهَبَ = فَعَلَ) ، وبعضها أشبه بالنحت منه بالإلحاق . وكما اضطر علماؤنا القدماء إلى الإقرار بباب الملحق ، قبل مجمع اللغة العربية بعض ما ابتكره المحدثون "[٧٦] .

[٢٩] في خلال دراسته لاستعمال الأوزان الصرفية في اللغة العربية ، استحضر الدكتور الأب هنري فليش الأوزان العروضية ؛ فنم عن اعتقاده أن بينهما العلاقة التي ذكرت . لقد قسم الأوزان الصرفية على قسمين :

١ صيغ ذات إيقاع صاعد ، وهي التي تبدأ بمقطع قصير يليه مقطع طويل ، كما في : (فَعال ، وفِعال ، وفُعال ، وفُعَيْل ، وفَعيل ، وفَعول ، وفُعول) .

٢ صيغ ذات إيقاع عكسي (هابط) ، وهي التي تبدأ بمقطع طويل يليه مقطع قصير ، كما في : (فاعَل ، وفاعِل ، وفَيْعَل ، وفَوْعَل) .

وقد لاحظ إيثار العربية القديمة التي وصفها بالصحراوية ، استعمال القسم الأول ، على استعمال القسم الآخر ، مما أنتج للأول كثيرا من الأوزان ، وأفضى إلى إهمال كثير من إمكانات الآخر .

وهو يسرع ليوضح أن صيغة (فاعَل) من القسم الآخر ، لم يتعد ما جاء منها ثماني كلمات ، كانت أعجمية الأصل ، كـ(خاتَم) ، وأن كثرة كلم صيغة (فاعِل) ، إنما يرجع إلى وَظيفيّتها الصرفية (اسم فاعل) ، لا إلى طبيعتها الإيقاعية .

ثم هو يطلع على ما قام به بعض الباحثين في عروض الشعر العربي ، من إحصاء للأوزان المستعملة ، فيكتشف أن شعر العربية القديمة (الصحراوية) ، كان يؤثر بحر الطويل (وتفاعيل بيته " فعولن مفاعيلن " أربع مرات) ، والكامل (وتفاعيل بيته " متفاعلن " ست مرات) ، والوافر (وتفاعيل بيته " مفاعلتن " ست مرات) ، والبسيط (وتفاعيل بيته " مستفعلن فاعلن " أربع مرات) ، وأغلبها يميل في تفاعيله إلى ذلك الإيقاع الصاعد ، " وعنصر إيقاع الوتد المجموع المذكور ، هو صانع الإيقاع الصاعد : فيبدأ الصوت بمقطع قصير ، ثم يمتد إلى مقطع طويل . إحساس بالاجتذاب إلى

أمام ، وشعور بوثبة واندفاعة ، يحتمل تعزيزها بارتفاع الصوت على هذا المقطع الطويل من أجل النبر الموسيقي ، مع كثير أو قليل من تردد الصوت بحسب الأوزان . ألا يمكن أن يكون هذا هو السبب ، أو أحد أسباب تلك الجاذبية الخفية لوزن الطويل " [٧٧]؟ وكأنما يومئ إلى ملاءمة الإيقاع الصاعد لفضاء الصحراء ، الذي لا يتضح فيه الإيقاع الهابط .

إنه تناول واع جدا لطبيعة اللغة العربية ، غير أنني لا أرى لواحد فقط دون غيره ، من الوزنين العروضي والصرفي كما رأى هو ، فضل تأثير في نسبة استعمال الآخر ، بل كل منهما مؤثر ومتأثر ، بادئ مرة ومبدوء أخرى .

[٣٠] لو استطاع مستعمل اللغة العربية ، أن يعبر عن اسم الفاعل من (ضرب) ، بكلمة مفردة غير (ضارب) ، لاستطاع أن يأتي بشعر عربي ذي وزن عروضي لا علاقة له بأوزان الشعر العربي في تاريخه الطويل . هذا ما أراده ابن عبد ربه ، ببيت أرجوزته :

" وإنّه لَوْ جازَ في الأَبْياتِ خِلافُها لَجازَ في اللُّغاتِ " [٧٨] .

أي لما لم يكن للمتكلم بالعربية أن يعبر عما يريد بأوزان صرفية جديدة ، لم يكن للشاعر أن ينظم على أوزان عروضية جديدة ، لأنه لا يفهم مراد الأول ولا يشعر بوزن الثاني ، متلقٍّ عربي [٧٩] .

من ثم يكون في تفريق الزمخشري بين اللفظ (الأصوات والوزن الصرفي) ، والوزن (العروضي) ، نظر ؛ إذ قال : " حد الشعر (لَفظٌ ، مَوْزونٌ ، مُقَفًّى ، يَدُلُّ على مَعْنًى) ؛ فهذه أربعة أشياء : اللفظ ، المعنى ،

الوزن ، القافية . فاللفظ وحده هو الذي يقع فيه الاختلاف بين العرب والعجم ؛ فإن العربي يأتي به عربيا ، والعجمي يأتي به عجميا . وأما الثلاثة الأخر فالأمر فيها على التساوي بين الأمم قاطبة "[٨٠] .

إن الحقيقة أن مجرد اللفظ (الأصوات) ، هو المشترك بين الأمم غالبا ، وأن موطن الاختلاف ، إنما يكمن في الوزن الصرفي الذي يوظفه الوزن العروضي ، فيخرج هذا مطبوعا بطابع لغته .

ولهذا لا يمكننا أن نسلم بقول بعض الدارسين : إن الأندلسيين حطموا عمود الشعر العربي القديم وأصابوا اللغة القرشية في صميمها [٨١] ؛ فإنهم إنما تصرفوا في الوزن العروضي ، دون أن يخرجوا عن فلكه ، ولو كانوا قد حطموه لكانوا قد حطموا عمود اللغة كذلك . وكل ما لم يكن بهذه المثابة من كلامهم الفني ، كان كغيره في كل زمان ومكان ، ينبغي ألا يدعي له أحد وزنا عروضيا ؛ فما الموشح إلا محاولة من محاولات سابقة ولاحقة ، للتصرف في الوزن العروضي ، وإن كان من أشدها ظهورا ونجاحا .

[٣١] ولقد كان الشاعر حسب الشيخ جعفر – صاحب محاولة تصرف في الوزن العروضي – أكثر إنصافا من نفسه حين قال : " هناك تفعيلة ، متى ما هشمت هذه التفعيلة ، واكتشفنا تفعيلات جديدة ، نكون أمام اجتهاد آخر . ولكننا ما زلنا في التفعيلة نفسها ، وبالطبع فنحن ندور في الشعرية العربية بعامة . ويمكن أن يطرح هذا السؤال عند اللغويين ، وبخاصة في ما يحدث الآن في الكتابات عن البنيوية مثلا : هل هناك في المستقبل تصور عن تهشيم التفعيلة لاكتشاف تفعيلة جديدة ، أم أن هذه التفعيلة الجديدة هي من لفظ اللغة

العربية نفسها ، فإذا ما هشمت هذه التفعيلة ، فينبغي أن تهشم من أسس أخرى في التكوين اللغوي أصلا . وبالطبع فإن هذه المسألة مسألة شائكة "[٨٢] .

إنه يطمح إلى أن يستبدل بالوزن العروضي الموروث ، غيره ، ليقدم اجتهاده الخاص كما قدم السلف اجتهادهم ، ولاسيما أنه يتفقد محاولات التجديد فيجدها تدور في فلك الوزن العروضي الموروث ، غير أنه يشعر بعلاقة هذا الوزن العروضي الذي يفكر في تهشيمه - إذا استعملت تعبيره المتأثر لمنهج تفجير الوزن واللغة - بالوزن الصرفي ، فيستعظم عندئذ هذا الطموح !

إننا حين نقرن تجربة هذا الشاعر ، بتجربة الشاعر محمد سليمان السابق عرضها ومناقشتها في الفقرة السادسة والعشرين ، يتجلى لنا الشعراء أكثر وعيا لهذا الأمر وأدق نظرا ، من بعض النقاد الذين يتجملون باستنفار هممهم إلى استحداث تفعيلات جديدة " تكون قادرة على استيعاب مشاعرهم المتجددة ، ورؤاهم المتغيرة ، وأدواتهم النامية "[٨٣] ، ونتذكر كلمة البحتري في تفضيل أبي نواس على مسلم ، بعدما قيل له : " إِنَّ أبا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبًا لا يُوافِقُكَ عَلَى هذا . فَقالَ : لَيْسَ هذا مِنْ شَأْنِ ثَعْلَبٍ وَذَوِيه ، مِنَ الْمُتَعاطِينَ لِعِلْمِ الشِّعْرِ دونَ عَمَلِه ، إِنَّما يَعْلَمُ ذلِكَ مَنْ دُفِعَ في مَسْلَكِ طَرِيقِ الشِّعْرِ إِلى مَضايِقِه وَانْتَهى إِلى ضَروراتِه "[٨٤] !

• تَغْييرُ الْوَزْنِ وتَعْويضُه

[٣٢] بعدما ذكر المرزوقي سبعة الأبواب التي هي عمود الشعر ، وثانيها جزالة اللفظ واستقامته ، وخامسها التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن – ذكر لكل باب من السبعة معيارا أي ميزانا أو مقياسا ، فكان معيار ذلك الباب الثاني " الطبع والرواية والاستعمال ؛ فما سلم مما يُهَجِّنُه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم " ، وكان معيار ذلك الباب الخامس " الطبع واللسان ؛ فما لم يتعثر الطبع بأبْنِيَتِه وعُقودِه ، ولم يَتَحَبَّسِ اللسان في فُصوله ووُصوله ، بل استمرا فيه واستسهلاه ، بلا ملال ولا كلال – فذاك يوشك أن يكون القصيد منه كالبيت ، والبيت كالكلمة ، تسالما لأجزائه وتقارنا "[٨٥] .

إنه في حين نجد الوزن العروضي يدخل عمود الشعر من الباب الخامس ، نجد الوزن الصرفي يدخله من الباب الثاني ، ثم نجد (الطبع) معيارهما المكرر ، فما (الطبع) ؟

إن للفارابي فيما يمكن أن نسميه (فن السماع) ، كلمة جليلة النفع في بيان معيار الطبع ؛ إذ قال : " أما ارتياض السمع ، وهو الهيئة التي بها يميز بين الألحان المتفاضلة في الجودة والرداءة ، والمتلائمات ، فليست تسمى صناعة أصلا ، وقلما إنسان يعدم هذا ، إما بالفطرة وإما بالعادة "[٨٦] .

إن الهيئة التي هي معيار الألحان عند الفارابي ، لا تكاد تخالف الطبع الذي هو معيار الأوزان عند المرزوقي ، ولا سيما أن الأوزان من وادي الألحان . يولد الطفل بصفحة عقله بيضاء ، بين أسرة ومجتمع وشعب وأمة ،

لهم جميعا طريقة في تمييز الأصوات إلقاء وتلقيا ، خاصة بهم ، فيسمعهم ويراهم ويحس بهم ويعي عنهم ، فتنحفر أصول ذلك في صفحة عقله البيضاء ، ولا يملك إلا أن يخضع لها في بيان ما يقول ويسمع ، فقد صارت له معيارا .

ولقد كان اعتماد العربي على معيار الطبع شديدا ، حتى إنني ما أزال أَعْجَبُ وأُعَجِّبُ غيري مما أحفظه عن الطائيِّ الذي " نَزَلَ بِهِ امْرُؤُ الْقَيسِ بْنِ حُجْرٍ ، فَهَمَّ بِأَنْ يَغْدِرَ بِه ، فَأَتى الْجَبَلَ ، فقالَ : ألا إِنَّ فُلانًا غَدَرَ ، فَأَجابَه الصَّدى بِمِثْلِ ما قالَ ؛ فَقالَ : ما أَقْبَحَ تا ! ثُمَّ قالَ : ألا إِنَّ فُلانًا وَفى ، فَأَجابَه بِمِثْلِ ذلكَ ؛ فَقالَ : ما أَحْسَنَ تا ! ثُمَّ وَفى لِامْرِئِ الْقَيسِ ، ولَمْ يَغْدِرْ بِهِ " [٨٧] .

إنه إذا كان قد خضع صغيرا لطريقة قومه في تمييز الأصوات ، فقد تَرَقَّى كَبيرًا في مَدارِجِ ذَوْقِها والكَلَفِ بِها ، حتى لَيَتَدَيَّنُ بها !

[٣٣] ولقد اصطنع علماء العروض والصرف جميعا ، لحماية طبع تلامذتهم ، وسيلة التمرين بصياغة ما لم يكن ، على وفق ما كان ليتفقهوا في الوزن وتترسخ في عقولهم طبيعته ، في مجتمع غير مُؤْتَمَنٍ !

أما علماء العروض فقد بثوا ذلك في أثناء كتبهم ، ففهمه عنهم المحدثون ، وحرص بعضهم على استعماله في مطلع بيانه لكل بحر ، فنجده يمرن المتلقي على شطر الطويل مثلا بصياغة عابثة أولا ، قائلا : " أكثر ما يجيء الطويل الأول على هذا الوزن :

دَجاجٌ دَجاجاتٌ دَجاجٌ دَجاجَةٌ دَجاجٌ دَجاجاتٌ دَجاجٌ دَجاجاتُ
كِلابٌ كَثيراتٌ كِلابٌ كَثيرَةٌ كِلابٌ كَثيراتٌ كِلابٌ كَثيراتُ

أُســــودٌ وَأَفْيالٌ أُسودٌ وَأَنْمُرٌ أُسودٌ وَأَفْيالٌ أُسودٌ وَأَفيــــــالٌ " [88]

ثم يمثل بعد ذلك بمثال من " النظم " ، يقصد الشعر غير العبث ، ولا الكلمات المصفوفة .

وأما علماء الصرف فقد خصوه بباب سموه (مســائل التمــرين) : " فإذا قيل لك (ابْنِ مِنْ كَذا مِثْلَ كَذا) ، فإنما معناه : فُكَّ صيغة هذه الكلمة ، وصُغْ من حروفها الأمثلة التي قد سئلت أن تبني مثلها ، بأن تضع الأصل في مقابلة الأصل ، والزائد في مقابلة الزائد إن كان في الكلمة التي تبنـــي مثلهـــا زوائد ، والمتحرك في مقابلة المتحرك ، والساكن في مقابلة الساكن ، وتجعل حركات المبنيّ على حسب حركات المبنيّ مثله " [89] ، فتجد ابــن عصـــفور يمرن المتلقي على وزن (فَعَلّول) ، بصياغة عابثة من (سَفَرْجَل) ، على (سَفَرَجول) التي لا معنى لها ، تَوَسُّلا إلى الوعي بمثل (عَضْرَفوط) [90] ، غير أن أهل علم الصرف في هذا الزمان ، معلميهم ومتعلميهم ، يســتقبحون مسائل التمرين ، وربما كانوا هم أنفســـهم يستحســـنون قرينتهـــا فـــي علـــم العروض ، على رغم اتفاق الغايتين ، لما يكون من صعوبة مســـائله حـــين يدخل موادها الإعلال والإبدال والإدغام وما إليها .

[٣٤] ليس سهلا إذن على الناطق والســامع العــربيّيْن المَطْبــوعَيْن (المُدَرَّبَيْن المُمَرَّنَيْن) ، تغيير الوزن عروضيا كان أو صرفيا . أما إذا دعت إليه دواعي التنويع والاسترسال في الوزن العروضي ، والتخفف في الـــوزن الصرفي ، أو غير ذلك ، كان بشرطين متداخلين :

١ وضوح الوزن على رغم التغيير ؛ فإنه إذا تَشَوَّه أو التبس بغيره ، غمض واستغلق على متلقيه .

٢ تعويض الوزن عما لحقه من تغيير ؛ فإنه إذا صاحب التغيير ما يَرْأَبُ صَدْعَه على وجه ما ، صار الوزن المغير كالسالم من التغيير ، وضوحا .

[٣٥] لقد كان علماء العروض والصرف جميعا ، يمنعون أو يستقبحون كل تغيير للوزن يغمضه فلا يسعفه تعويض .

أما علماء العروض فقد ميزوا أولا العلة التي هي تغيير شديد يصيب من التفاعيل أسبابها وأوتادها جميعا ، عن الزحاف الذي لا يصيب غير الأسباب ، ثم ميزوا الزحاف المزدوج عن الزحاف المفرد ؛ إذ الأول لتركبه أشد من الآخر .

لقد منعوا العلة أن تقع في حشو البيت ، حتى لقد أبعدها عنه مُعنْونُها قائلا : " عِلَلُ الأَعارِيضِ والضُّروب " [٩١] ، لأنها لو وقعت فيه لشوهت الوزن فأغمضته ، واستقبحوا الزحاف المزدوج [٩٢] ، لأنه يعطل إدراك الوزن وربما شَوَّهه . وإذا نظرنا في بعض ما أرادوا إخراجه من الشعر لاختلال وزنه ، كقول أمية بن أبي الصلت :

" عَيْنِيَ بَكِّي بِالْمُسْبَلاتِ أَبا الْحارِثِ لا تَذْخَرِي عَلى زَمَعَةْ

ابكي عَقِيلَ بْنَ الأَسْوَدِ أَسَدَ الْبَأْسِ لِيَوْمِ الْهِياجِ وَالدَّفْعَةْ

تِلْكَ بَنو أَسَدٍ إِخْوَةُ الْجَوْزاءِ لا خانَةٌ وَلا خَدَعَةْ " [٩٣]

لم نجده اختل وزنه إلا بإعلال حشوه الذي أكل أكثر التفعيلة الثانية من البيت الثالث ، والزحاف المزدوج الذي قرن بين خمسة متحركات في آخر صدر البيت الثاني ؛ فلولاهما لاستقام هذان البيتان من المنسرح ، كما استقام البيت الأول .

إذا كان ذلك كذلك ، فاجتماع العلة والزحاف المزدوج أو ما أشبهه ، على التفعيلة ، إجحاف بها ، منعه شيخنا الخليل حين كتب على الضرب المقطوع – والقطع علة – في بحر الكامل : " ممنوع إلا من سلامة الثاني أو إضماره " ، والإضمار زحاف مُفْرَد . لقد غير القطع (مُتَفاعلن) إلى (مُتَفاعِلْ) ، ثم يغيرها الإضمار إلى (مُتْفاعِلْ) ، ولو دخلها حذف هذه التاء الساكنة لصارت (مَفاعِلْ) ، فشوهت فغمضت على الإدراك ، وهو ما عبر عنه الدماميني بقوله : " وما سوى ذلك (ما سوى الإضمار) ، لا يُحتَمل مع ما دخله من القطع " [٩٤] .

أما علماء الصرف فقد منعوا الإعلال الذي يؤدي إلى الإلباس بكلمة أخرى ذات وزن آخر غير مراد ، ومنعوا الإدغام الذي يهدم الأوزان المرادة بعينها . لقد كان ابن عصفور يورد نماذج منثورة لما يمتنع فيه الإعلال [٩٥] ، ثم أقبل يضبط الأمر بقوله : " إلا أن يؤدي الإعلال إلى الإلباس ، فإنك تُصَحِّح ، وذلك نحو (قَطَوان) ، و(نَزَوان) ؛ فإنك تُصَحِّح الواو ، لأنك لو أعللتها فقلبتها ألفا لالتقى ساكنان – الألف المبدلة من حرف العلة ، والألف التي من فَعَلان – فيجب حذف أحدهما لالتقاء الساكنين ، فتقول (نَزان) ، و(قَطان) ؛ فيلتبس (فَعَلان) بـ(فَعال) . ومثل ذلك (رَحَيان) ،

و(عَصَوان) ، صَحَّحْتَ لأنك لو أعْلَلْتَ لَحَذَفْتَ لالتقاء الساكنين ؛ فكان يلتبس تثنية المقصور بتثنية المنقوص ، فيصير (رَحان) ، و(عَصان) ، كـ(يَدَيْنِ) ، و(نَمَيْنِ) " [96] . وكان سيبويه يعرض تضعيف اللام في غير ما عينه ولامه من موضع واحد ، فيمنع الإدغام عندئذ متى كان الوزن ملحقا ، قائلا : " إذا ضاعفت اللام وأردت بناء الأربعة لم تسكن الأولى فتدغم . وذلك قولك : قَرْدَد ، لأنك أردت أن تلحقه بـ(جَعْفَر) ، و(سَلْهَب) " [97] ، لأن الإدغام – لو كان – يُغَيِّرُ (قَرْدَدا) إلى (قَرَدّ) ، وهو هدم للوزن ، فـ" لو أدغمت (...) لكنت قد حَرَّكْتَ ما في مُقابلته من بناء المُلْحَق به ساكنٌ ، وسَكَّنْتَ ما في مُقابلته مُتَحَرِّك " [98] .

بل قد بلغ علماؤنا القدماء من ذلك أن منعوا استعمال الإدغام إذا كان يفقد الأصوات أظهر صفاتها ؛ " فلا يدغم شيء من هذه الصفيريّات (أي الزاي والسين والصاد) ، في شيء مما يقاربها من الحروف ، لأن في ذلك إخلالا بها ، لأنها لو أدغمت لقلبت إلى جنس ما تدغم فيه فيذهب الصفير ، وهو فَضْل صوت في الحرف " [100] ، وكذلك أصوات التَّفَشِّي والغُنَّة واللين [101] .

[٣٦] ولقد كان علماء العروض والصرف جميعا ، يستحسنون أو يبيحون كل تغيير للوزن يُسْعِفُه التَّعْويض على أي وجه كان .

أما علماء العروض فإن كثيرا من أنواع الزحاف المفرد حسن لديهم ، كَكَفِّ (مَفاعيلُنْ) في الهزج ، إلى (مَفاعيلُ) [103] ، هذا الذي عَجِبَ منه الدكتور إبراهيم أنيس قائلا : " لسنا ندري لم استقبح أصحاب العروض تغير

(مَفاعيلُنْ) إلى (مفاعيلُ) في مجزوء الوافر ، واستحسنوه في الهزج " [١٠٣] . لقد وجد بين مجزوء الوافر والهزج من الصلة الوثيقة ، ما يغريه بجمعهما معا على طريقته في الاختصار والتسهيل ، غير أنه وجد العروضيين يجعلون القصيدة من الهزج متى صادفوا فيها تفعيلة واحدة أو أكثر على (مفاعيلُ = ددن دن د) وسائر تفاعيلها على (مفاعيلن) ، فصَدَّه عما أراد ، فاستنكره وهو مقبول غير مستنكر ؛ إذ (مَفاعيلُ = ددن دن د) ، إذا كانت من الهزج كانت مغيرة بزحاف الكف المفرد وحده كما سبق ، وهو سهل التعويض بنبر ما يوازي مقطع (لُ) من كلمة البيت ، وسواء أأنْشَأ النبر في السمع مدًّا أم لا [١٠٤] ، في حين أنها إذا كانت من مجزوء الوافر كانت مغيرة بزحاف النَّقْص المزدوِج ، من (مُفاعَلَتُنْ) إلى (مفاعلْتن) – وهذا عصْب – ثم من هذه إلى (مفاعلْتُ) – وهذا كف – وهو ما يُصَعِّب تعويض الوزن عنه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن العروضيين يحكمون بأن القصيدة من مجزوء الوافر لا من الهزج ، متى صادفوا تفعيلة منه سالمة ، فلو كانت القصيدة الطويلة كُلُّ تفاعيلها على (مفاعلْتن = مفاعيلن) ، ثم نَدَّتْ واحدة فجاءت على (مفاعلَتن) ، لوجب عندهم أن يحكم على تلك القصيدة بأنها من مجزوء الوافر [١٠٥] . إن هذا هو ما كان أولى بالعجب والاستنكار ؛ إذ المقبول المعقول أن يحكم عليها بأنها من الهزج ، وأن تلك التفعيلة النادَّة ، اشْتَبَهَتْ على الشاعر ؛ فما أكثر ما يكون مثل هذا من الشعراء صغارا وكبارا ، حديثا وقديما [١٠٦] ، ثم إن دلالة السياق العروضي تقطع بكونها من

الهزج لا مجزوء الوافر [١٠٧] ؛ فعشرات التفاعيل المحيطة بتلك التفعيلة المفردة النادّة ، هي السياق لا العكس ! ومثل هذا ينبغي أن يقال ويعتقد في كثير مما أسميه الصور المترَدِّدة بين الأبحر .

وقد حصر علماء العروض العلة في أوائل الأشطر وأواخرها . أما ما يصيب أوائل الأشطر ، فالخَزم – وهو علة زيادة – والخَرْم – وهـو علـة نقص – قال المبرد راويا عن سيدنا علي – رضي الله عنه ! – :

" اُشْـدُدْ حَيازيمكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لاقيـكا
وَلا تَجْزَعْ مِنَ الْمَوْتِ إِذا حَلَّ بِواديكا "

والشعر إنما يصح بأن تحذف (اشْدُدْ) (...) ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ، ولا يعتدون به في الوزن ، ويحذفون من الوزن ، علما بأن المخاطب يعلم ما يريدونه ، فهو إذا قال : (حيازيمَكَ لِلْمَوْتِ) ، فقد أضمر (اشْدُدْ) ، فَأَظْهَرَه ، ولم يعتد به . قال : وحدثني أبو عثمان المازني ، قال : فصحاء العرب ينشدون كثيرا :

لَسَعْدُ بْنُ الضِّبابِ إِذا غَدا أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْكَ فا فَرَسٍ حَمِرْ

وإنما الشعر :

لَعَمْري لَسَعْدُ بْنُ الضِّبابِ إِذا غَدا " [١٠٨] .

لقد جمع هذا النص التمثيل لما يصيب أوائل الأشطر من علة الزيادة ، ومما يمكن عده علة النقص . وإن قول المبرد : " لا يعتدون به في الوزن " ، ليهدينا إلى تفسير النقص ، كما يهدينا إلى تفسير الزيادة . إن المنشد يستطيع أن ينبر (لَسَعْدُ بْنُ الضِّ) بما يبين أنها (مفاعيلن) ، و(ضِبابِ) بما يبين

أنها (فعولُ) ، كما يستطيع أن يصمت قليلا بين (اشْدُدْ) وبين (حَيازيمَكَ لِلْمَوْتِ) ، ثم يمضي في هذا وذاك ، فعندئذ يتجلى الوزن .

وأما ما يصيب أواخر الأشطر ، فكثير كالترفيل وهو علة زيادة ، والحذف وهو علة نقص ، قال ابن عبد ربه :

" هَتَكَ الْحِجابَ عَنِ الضَّمائِرْ طَرْفٌ بِهِ تُبْلى السَّرائِرْ " [109]

" أيَقْتُلُني دائي وَأَنْتَ طَبيبي قَريبٌ وَهَلْ مَنْ لا يُرى بِقَريبِ " [110]

ولا ريب في أن انحصارها في أواخر الأشطر ، راجع إلى أنها مواضع وقف وصمت [111] ، يستفيد الشاعر فيها منهما إمكان التعويض ، ثم يعتمد المنشد بعدئذ عليهما . ولا تخفى علاقة ما يصيب أوائل الأشطر بما يصيب أواخرها ، في الاعتماد على الوقف والصمت ؛ فإنهما إن اجتمعا كان الصمت قبل أولهما ، صمتا بعد الآخر . ولكن هنا نمطا من التعويض مشهورا مضبوطا ، خاصا بالحذف من تفاعيل الضرب ، يستعمل فيه المد ، ويلتزم عوضا عن الحذف ، صار له باب عروضي يسمى : " باب ما يجوز في القافية من حروف اللين " ، قال فيه ابن عبد ربه : " اعلم أن القوافي التي يدخلها حروف المد وهي حروف اللين ، فهي كل قافية حذف منها حرف ساكن وحركة ، فتقوم المدة مقام ما حذف ، وهو من الطويل (فعولن) المحذوف (...) " [112] ؛ ففي مثل البيت السابق " أيقتلني ... " غيرت تفعيلة الضرب بعلة الحذف ، من (مفاعيلن) إلى (مفاعي = فعولن = قريبِ) ، فعوضت عن هذا التغيير بإرداف القافية بالمد الذي يطيل النطق ، فكأن التزامه هنا يَرُدُّ شيئا مما حذف [113] .

أما علماء الصرف فقد نبهوا أحيانا على أشكال من تغيير الوزن الصرفي ، قُبِلَتْ وعُوِّضَتْ . نجد ذلك منثورا في كتبهم ، كما في إلحاق تاء التأنيث المحركة ، آخر الكلمة عوضا عن المد المحذوف من حشوها ، على النحو التالي :

١ تَلاميذ ← تَلامِذَة

٢ جَحاجيح ← جَحاجِحَة

٣ تَنْكير ← تَنْكِرَة

وقد تعرض الأب هنري فليش لمثل هذا ، وأضاف نماذج من الكلمات المتفقة المعنى ، تقابل تاء التأنيث المتحركة في آخر بعضها ، المد في حشو بعضها الآخر ، كما في :

١ يَفاع ← يَفَعَة

٢ نُباح ← نُبَحَة

٣ رِجال ← رِجَلَة

ورأى في هذا التعويض تعادلا إيقاعيا " إذ وجد في مكان مقطع طويل مقطعان قصيران " [١١٤] . ولكنه يدل على فقهه الدقيق لما يخوض فيه ، فيشير إلى مثل ذلك مما يكون في عَروض الشعر ، قائلا : " يتجلى هذا التعادل الإيقاعي جيدا في قلب الاستعمال العروضي : ففي بعض الأوزان في بحور معينة من الشعر يجوز أن يحل محل مقطع طويل مقطعان قصيران ، يحدث هذا في بحر الكامل ، حيث تحل : (مُسْتَفْعِلُنْ) محل (مُتَفاعِلُنْ) ، وكذلك في الوافر ، حيث تقوم (مَفاعيلن) مقام (مُفاعَلَتُنْ) " [١١٥] .

إن هذا الباحث لا يفتأ يستحضر الوزن العروضي في خلال بحثه في الوزن الصرفي ، فيدهشنا بفهمه لهذه العلاقة الوثيقة بينهما . ومما يزيد دهشتنا هنا أن يستحضر الوزن العروضي دليلا مقلوبا لفكرته ؛ فإنه إذا كان المقطعان القصيران في الوزن الصرفي ، يعادلان المقطع الطويل ، فإن المقطع الطويل في الوزن العروضي ، يعادل المقطعين القصيرين ، وهو دليل لما سبق !

ثالثًا : التَّأْصيلُ وَالتَّفْريعُ

[٣٧] احتاج علماء العرب القدماء عندما أقبلوا يؤسسون قواعد ضبط الاستعمال ، إلى أن يَصْطَفوا من المستعمل ، مادة مستوفية لشروط خاصة ، ليستنبطوا منها أصلا يجعلون ما سواه فرعا عنه . إننا إذا استوضحنا هذا الأصل وجدناه الوضع المنطقي الذي يقضي العقل تساعده المادة المختارة ، بأنه الأسبق حدوثا . وإن لم يكن له وجود من قبل ولا من بعد ، كان عندهم من أعمال عقل الإنسان التي انحصرت فيه ولم تخرج منه .

[٣٨] لم يشذ عن ذلك علماء العروض ولا علماء الصرف :

فمن آثاره في علم العروض قولهم بعشر تفاعيل سالمة أصول ، هي : (فَعولُنْ ، ومَفاعيلُنْ ، ومَفاعَلَتُنْ ، وفاعِ لاتُنْ ، وفاعِلُنْ ، ومُسْتَفْعِلُنْ ، وفاعِلاتُنْ ، ومُتَفاعِلُنْ ، ومَفْعولاتُ ، ومُسْتَفْعِ لُنْ) ، تتفرع عنها ثلاث وسبعون تفعيلة ، منها : (فَعولُ ، وفَعولْ ، وفَعو ، وفَعْ ، وعولُنْ ، وعولُ) ، وهي ستة فروع نشأت عن (فَعولُنْ) "[١١٦] ، بالقَبْضِ في الفرع الأول ، والقَصْرِ في الثاني ، والحَذْفِ في الثالث ، والبَتْرِ في الرابع ، والثَّلْمِ في الخامس ، والثَّرْمِ في السادس الأخير ، أي كان قانون التفريع فيها " الزحاف والعلة " .

ومن آثار التأصيل والتفريع في علم العروض كذلك ، القول بالدوائر العروضية ؛ فقد أخرجت لبحور الشعر جميعا ، صورا خالفها استعمال الشعراء غالبا ، كان شيخنا الخليل يَعُدُّ صورة الدائرة أصلا ، وصورة الاستعمال فرعا ، فتسديس المديد الاستعمالي (استعماله ست تفاعيل في

البيت) ، فرع عن تثمينه الدائري (إخراج الدائرة له ثماني تفاعيل في البيت) ، وتربيع الهزج والمقتضب والمجتث ، الاستعمالي ، فرع عن تسديسها الدائري ، وهي أربعة فروع نشأت بالجزء ، أي كان قانون التفريع فيها " العلة " .

ومن آثار التأصيل والتفريع في علم الصرف ، قولهم بالمصدر والمشتقات ، فما الاشتقاق عندهم إلا " (إنشاء فرع من أصل يدل عليه) ، وأما (المشتق) فيقال للفرع الذي صيغ من الأصل ، لأنك تطلب معنى الأصل في الفرع ، فكأنك تشتق الفرع لتخرج منه الأصل ، وكأن الأصل مدفون فيه . و(المشتق منه) هو الأصل " [١١٢] .

إن المصدر – وهو اسم الحدث ذو المعالم المشهورة – هو الأصل في الرأي المسموع له ، الذي يدل اسمه على الحكم بأصليته ، واسم الفاعل وصيغة المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول واسم التفضيل واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ، كل أولئك فروع عن ذلك الأصل . إن كلمة (ضَرْب) مثلا ، أصل كلمة (ضارِب) ، الأولى مصدر ، والأخرى اسم فاعل خرج بقياس مطرد ، لأنه يكون من الثلاثي (ضرب) على (فاعِل = ضارِب) ، متى كان فعله على (فَعَلَ = ضَرَبَ) .

[٣٩] كان علماء العروض والصرف جميعا ، يشرحون قوانين التفريع وكيفيته ، مما كان يتأتى لهم سهلا ميسور الفهم قوي الإقناع مرة ، وصعبا مكدا للفكر ضعيف الإقناع مرة أخرى ؛ فيعجز عنه كل من لم يحرص على التقعيد حرصهم عليه ، قال الدماميني : " بعض الناس أنكر الدوائر أصلا

ورأسا ، وجعل كل شعر قائما بنفسه ، وأنكر أن تكون العرب قصدت شيئا من ذلك ، وقال : إنا سمعناهم نطقوا بالمديد مسدسا ، وبالبسيط (فَعِلُنْ) في العروض مثلا ، وبالوافر (فَعولُنْ) فيها ، وبالهزج والمقتضب والمجتث مربعات . ومن أين لنا أن ندرك أن أصل عروض الطويل كان مفاعيلن بالياء ؟ وأن المديد كان من ثمانية أجزاء ؟ وأن (فَعِلُنْ) في البسيط كان أصله (فاعِلُنْ) بالألف ؟ وأن عروض الوافر كانت في الأصل (مُفاعَلَتُنْ) ، ثم صارت على (فَعولُنْ) ؟ إلى غير ذلك . والأكثرون على خلاف هذا لأن حصر جميع الشعر في الدوائر المذكورة واطراد جريه فيها ، دَلَّ على ما اختص الله به العرب دون من عداهم ؛ فكان ذلك سرا مُكْتَتَمًا في طباعهم ، أطلع الله عليه الخليل واختصه بإلهام ذلك ، وإن لم يشعروا هم به ، ولا دووه ، كما لم يشعروا بقواعد النحو وأصول التصريف ، وإنما ذلك مما فطرهم الله عليه ؛ فالتثمين في المديد والتسديس في الهزج والمضارع وغيره من المجوزات ، أصل رفضه العرب كما رفضوا أصولا كثيرة من كلامهم على ما تقرر في علم النحو . وإذا تطرق الشك في ذلك إلى الشعر تطرق إلى الكلام حينئذ ؛ فيَتَعَذَّر باب كبير من أصول العربية ، ولا خَفاءَ بفساده "[118] .

لا ريب في أنه كانت من الباحثين قديما وحديثا ، طائفةٌ ترى من تضييع الوقت والجهد ، النظرَ فيما سوى الشكل ومظاهره ؛ فبَيَّنَ الدماميني أن لهذا الرأي عواقبه الوخيمة في علوم الثقافة العربية بعامة ؛ إذ التأصيل والتفريع أساس في التقعيد لها . لقد كان هؤلاء الرافضون ، إذا أقبلوا

يعرضون علمهم وآراءهم ، يستفيدون من نتائج التأصيل والتفريع عَفْـوًا أوْ قَصْدًا ، مما يدل على سداد الاعتماد عليهما "[119] .

ثم نشأ حديثا جيل من الباحثين ، شـعروا بـأن فـي مـنهج أولئـك " الوصفيين الشكليين " نفسه ، تضييعا وإهمالا للعقل الذي هو نعمة الإنسـان الكبرى ، ووسيلته إلى المعرفة ، وأثره الذي يخلفه في كل ما يصدر عنـه ؛ فرجعوا إلى آثار علمائنا القدماء ، واعترفوا بسداد منهجهم ، وأنهـم كـانوا أقرب إلى الإنسان وأعلم به من معارضيهم ورافضي فكرتهم ، غيـر أنهـم أضافوا إلى منجزات القدماء منجزات العلم الحديث "[120] .

[٤٠] ومن الجدير بالذكر أخيرا ، أن بعض الباحثين المحدثين يفـرق بين التأصيل والتفريع في علم العروض وبينهما في علم الصرف ، من جهـة أنهما في الأول من باب المجاز ، وفي الآخر من باب الحقيقـة ؛ إذِ الفـرع الصرفي ظاهر التولد من أصله ، في حين الفرع العروضي أصل آخر جُعِلَ فرعا لضرورة إجرائية ؛ فإن شيخنا الخليل كان محتاجا إلى أن يختار أحـد هذين الأصلين ليبدأ منه ، ولو كان قد عكس الاختيار لانعكس القول بالأصل والفرع "[121] .

وهو رأي مقبول تشهد على صحته شواهد كثيرة ليس أقواها في علم العروض تساوي التفاعيل المزاحفة والتفاعيل السالمة في نظر من بحث عن تبادل المقاطع كما بينت في الفقرة السادسة والثلاثين ، وأقوى شـواهد ذلـك الرأي في علم الصرف ، أن التصريف الذي هو تطبيق قواعده ، ما هـو إلا تحويل وتغيير للأصل إلى فرعه ، وسواء أكـان تَصْـريفَ تَوْصِـيلٍ ، أي

صياغة الكلمة من أصلها القريب بتغيير أصـــواته الصـــامتة أو الصـــائتة أو كلتيهما ، إبدالا أو نقصا أو زيادة أو كل ذلك أو بعضه ، صـــياغة مطـــردة مقيسة أو عارضة مسموعة ، لتوصيل معنى ما - أو كان تَصْرِيفَ تَخْفِيفٍ ، أي تغيير صيغة الكلمة بتغيير أصواتها الصـــامتة أو الصـــائتة أو كلتيهمـــا ، ترتيبا أو إبدالا أو نقصا أو كل ذلك أو بعضه ، تغييـــرا مطـــردا مقيســـا أو عارضا مسموعا ، لتخفيف ثقل النطق "[١٢٢] .

ولا ينقض قبول رأي ذلك الباحث الفاضل ، شيئا من دلالـــة توافـــق علمي العروض والصرف في التأصيل والتفريع ، على علاقتهما .

رابعًا : الاصْطِلاحُ

[٤١] إن الاصطلاح أساس مهم جدا من الأسس العلمية ؛ فهو وسيلة دائمة إلى تحديد المقاصد واختصار المعالم ، يفتقر إليها بناء العلم نفسه ودراسات العلماء المتصلة بهذا العلم جميعا [١٢٣] . وعلى رغم أنه لا مُشاحّة في الاصطلاح ، يستحسن أن يكون المصطلح ظاهر الدلالة على مفهومه ، ويلزم أن يتقدم بيانه قبل عرض العلم أو دراسات العلماء ، ليستطيع المتلقي استيعابه .

[٤٢] ولقد كان علماء العرب القدماء ، يرجعون في وضع مصطلحات علومهم المنتوجة عن تفكيرهم وتحصيلهم ، إلى لغتهم هم ومعالم حياتهم ، فيستنبطون من هذه وتلك جميعا معا ، المصطلح المناسب . ثم إننا نجدهم لذلك يعاملون هذه المصطلحات معاملة الوالد ولده ؛ فيصرفونها كيف شاؤوا على حسب جهات نظرهم ؛ فربما استعملوا المصطلح الواحد في مواضع مختلفة من العلم الواحد ، بمفاهيم مختلفة ، وربما استعملوه في علوم مختلفة بمفاهيم متقاربة أو متباعدة ، وعندئذ تتجلى للمتلقي علاقة هذه العلوم في نظرهم .

[٤٣] استعمل علماء العروض والصرف في العِلْمَيْنِ مصطلحات واحدة [١٢٤] ؛ فرأى الدكتور أنيس في بعضها أن شيخنا الخليل وأصحابه " قد تأثروا إلى حد كبير بمقاييس علم الصرف ، فاتَّخَذَ رُموزَ الصَّرْفِ رُموزًا للعروض ، مع فارق تافه يدركه كل منا ويدرك سره " [١٢٥] .

لقد أراد رموز الوزن التي بينت في الفقرة الخامسة عشرة أن ظهور اقتفاء علماء العروض فيها لعلماء الصرف ، لا يمنع أن يكونوا جميعا مقتفين مقتضى الحاجة الواحدة إلى الوزن ، والأصل الفكري الواحد الذي أنشأ هذه الحاجة . ولكنني أستطيع أن أصنف المصطلحات المشتركة إلى نمطين :

١ مصطلحات متفقة المفاهيم على وجه العموم ، ومنها (الزيادة) ، و(الحذف) ، و(الوقف) .

٢ مصطلحات مختلفة المفاهيم على وجه العموم كذلك ، ومنها (الصحة) ، و(السلامة) ، و(الاعتلال) .

أما استعمال النمط الأول فراجع فيما أرى إلى تلك العلاقة التي صدر علماء العروض والصرف عن الوعي لها :

كيف لا يستعملون مصطلح (الزيادة) في العلمين ، وهي في العروض إضافة بعض الأصوات إلى أصوات التفعيلة الأصول ، كإضافة (تُنْ) المقطع الطويل المغلق ذي الأصوات الثلاثة ، إلى (مُتَفاعِلُنْ) ، لتصير بالترفيل (مُتَفاعِلاتُنْ) – وهي في الصرف إضافة بعض الأصوات كذلك إلى أصوات الكلمة الأصول ، كإضافة فتحة أخرى إلى فتحة قاف (قَتَلَ) ، لتصير (قاتَلَ) بمقطع طويل في أولها ، بدل القصير السابق !

أم كيف لا يستعملون مصطلح (الحذف) في العلمين ، وهو في العروض نقص المقطع الطويل المغلق ، كنقص (لُنْ) من (فَعولُنْ) لتصير بالحذف (فَعو) – وهو في الصرف مطلق نقص بعض الأصوات من

الكلمة ، كنقص المقطع القصير (وُ) من (مَقْوول) اسم المفعول من الثلاثي المجرد ، ليصير بالحذف إلى (مَقول) !

أم كيف لا يستعملون مصطلح (الوقف) في العلمين ، وهو في علم العروض نقص حركة المقطع القصير لينضاف ساكنه إلى ما قبله ؛ فيكون في آخر (مفعولات) بالوقف ، مقطعا مستطيلا مغلقا بصامت واحد ، هكذا (مَفْعولاتْ) – وهو في الصرف " قطع الكلمة عما بعدها ، وفيه وجوه مختلفة في الحسن والمحل ؛ فالْإِسكانُ المُجَرَّدُ في المتحرك (...) " [١٢٦] ، فالذي أصاب (مفعولات) في العروض ، يسمى في الصرف وقفا بالإسكان !

كيف لا يُوَحِّدون مصطلحات ما هو واحد أو كالواحد !

أما استعمال مصطلحات النمط الآخر فراجع إلى تَوَسُّعِهم في دلالات كلم لغتهم تَوَسُّعَ المالِك :

كيف لا يستعملون مصطلح (الصحة) في العلمين ، وهي في العروض براءة التفعيلة من التغيير بالعلة ، وهي في الصرف براءة أصل الكلمة من الاشتمال على حرف من حروف العلة !

أم كيف لا يستعملون مصطلح (السلامة) في العلمين ، وهي في العروض براءة التفعيلة من التغيير بالزحاف ، وهي في الصرف براءة أصل الكلمة من الاشتمال على الهمزة والتضعيف كليهما !

أم كيف لا يستعملون مصطلح (الاعتلال) في العلمين ، وهو في العروض اشتمال التفعيلة على التغيير بالعلة الذي سبق التعرض له وللزحاف

ونكر بعض أمثلتهما ، في الفقرتين الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثـين ، وهو في الصرف اشتمال أصل الكلمة على حرف من حروف العلة أو أكثر !

كيف لا يُوَحِّدون مصطلحات ما يشمله التَّوَسُّع في دلالة الكلمة !

إنني لا أستطيع أن أغفل ما في منهج علماء العروض والصرف فـي الاصطلاح ، من دلالة على علاقة كل من العلمين بـالآخر ، التـي أرى أن أولئك العلماء كانوا يفهمونها حـق الفهـم ويصـدرون عنهـا فـي توافـق الاصطلاح .

خاتِمَةُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ

[٤٤] أدى تتبع علمي العروض والصرف تقعيدا وتطبيقا ، إلى الحصول على أربع أفكار كبرى ، توحدت فيهما وترددت بينهما :

١ الِاسْتِيعابُ الْأَوَّلِيُّ

وهو التمهيد للعلم بافتراض الاحتمالات الممكنة ، استيعابا لمسائله . وهو ما كان في علم العروض باعتماده على التَّقْليب ، وفي علم الصرف باعتماده على القِسْمة العَقْلِيَّة .

٢ الْوَزْنُ

وهو مقابلة مقاطع الكلمة نوعا وعددا وترتيبا ، بمقاطع معينة تُناسبها وتُمثلها وتَكشفها . وقد احتاج إليه العلمان جميعا واستعملاه . وفي خلال ذلك تميزت بعض الأفكار الصغرى :

- طَبيعَةُ السّاكِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَتَواليهِما

فمفهوم الساكن والمتحرك في العلمين واحد ، ثم إنهما جميعا يحكمان توالي السواكن والمتحركات ، بقانونين معينين غير مختلفين بينهما .

- نَشْأَةُ الْوَزْنِ وَشُيوعُه وَاسْتِحْداثُه

فنشأة كل من الوزنين العروضي والصرفي ، وشيوعه ، متعلقان بنشأة الآخر وشيوعه ، وصعوبة استحداث جديد في أحدهما ، متعلقة بصعوبة استحداث جديد في الآخر .

- **تَغْييرُ الْوَزْنِ وَتَعْويضُه**

فتغيير كل من الوزنين العروضي والصرفي ، مشروط بوضوحه على رغم التغيير ، وتعويضه عما لحقه منه .

٣ **التَّأصيلُ وَالتَّفْريعُ**

وهو استنباط وضع منطقي يقضي العقل بأنه الأول والأسبق حدوثا ، وما سواه فرع عنه ، بالاعتماد على مادة مصطفاة من المستعمل ، مستوفية لشروط خاصة . وقد احتاج علماء العروض والصرف جميعا ، إلى ذلك في تأسيس العلمين .

٤ **الِاصْطِلاحُ**

وهو تعارف أهل العلم وتواضعهم على كلمات معينة ، إشارة إلى مقاصد معينة ، تحديدا واختصارا . ولقد توحدت بين علمي العروض والصرف بعض المصطلحات ، بنمطين من التوحد ؛ فمنها ما اتفقت بينهما فيه المفاهيم على وجه العموم ، ومنها ما اختلفت .

لقد دلني توافق علمي العروض والصرف فيما سبق ، على وثاقة علاقتهما وأصالة عمل المفكر العربي في كل منهما .

حَواشي القِسْمِ الْأَوَّلِ

١ ينظر علماء العروض في بيت الشعر من جهة مشابهته لأبيات قصيدته ؛ نكر الدمنهوري - ١٣٢ - أن القصيدة في الاصطلاح " مَجْموعُ أَبْياتٍ مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ ، مُسْتَوِيَةٍ في عَدَدِ الْأَجْزاءِ ، وَفي جَوازِ ما يَجوزُ فيها ، وَلُزومِ ما يَلْزَمُ ، وَامْتِناعِ ما يَمْتَنِعُ " .

٢ ينظر علماء الصرف في الكلمة من جهة ما يصيبها من تخفيف أو إعلال أو إبدال أو إدغام ، لمجاورة بعض الكلمات لها ؛ راجع الرضي : الجزأين الثاني والثالث .

٣ من الطريف أنه قد حدث قديما وحديثا أن صار بيت الشعر إلى تفعيلة واحدة ، كما فيما روي من تَوْحيد الرجز في عصر بني العباس ، وكما فيما صنعه شعراء الحر في القرن الميلادي العشرين ؛ فإن الغالب على هذه التفعيلة عندئذ أن تكون كلمة واحدة ، فيتّحِد فيها مجالا العلمين !

٤ أما علاقة العروض الكائن الطبيعي في الشعر ، بالصرف والنحو الكائنين الطبيعيين في اللغة - فقد كانت مجال بحث لي سابق (عَلاقَةُ عَروضِ الشِّعْرِ بِبِنائِهِ النَّحْوِيِّ) ، ثم يكون فيها القسم الثاني من هذا الكتاب .

٥ خلوصي : ٤٧٥ .

٦ أبو ديب : ٥٢٦ .

٧ ابن الشيخ : ٣٥ . ومن هذا المنطلق نفسه أنني سألت عن ذلك أستاذي محمود محمد شاكر - رحمه الله ! - فأثبته ، ثم أبعد النجعة قائلا : " لَنْ تَعْدَمَ عَلاقَةً ما ، بَيْنَ جَميعِ ما أَنْتَجَهُ عَقْلُ الْإِنْسانِ ، حَتّى إِنَّها لَتَكونُ بَيْنَ الشِّعْرِ وَاسْتِنْباطِ الْماءِ مِنْ باطِنِ الْأَرْضِ " ! كذلك قال عيد - ٤٨-٤٩ - : " لقد تحركت كلمات الإنسان عبر هذه الآلاف المتطاولة نفس حركة الكون المنتظمة الدقيقة الأبدية ، إلى الدرجة التي يمكن أن نصل فيها إلى أن هذا النظام النبضي الدقيق دقة

رياضية بالغة بين الشطرين في شعر الشرق وشعر الغرب ، يتحقق فيه العدد الكوني الثابت المستخرج من أيام مصر القديمة من الحركة الدائرية الخالدة ، وهذا العدد هو خارج قسمة محيط أية دائرة كبرت أم صغرت ، على نصف قطرها . وهذا العدد هو ٢ × ٣,١٤ ، سواء قسمت محيط فنجان الشاي على نصف قطره ، أو قسمت محيط دوران أحد الكواكب على نصف قطره ! إنه عدد واحد دائما ثابت دائما ، لا يتغير ولا يتبدل لجميع دوائر هذا الكون صغارها وكبارها على حد سواء " ؛ فعلق حركات الأشياء كلها بعضها ببعض ، وردها إلى حركة كونية واحدة ، وإن خرج عن حدود الإنسان .

٨ الأخفش : ١٣٦ .

٩ الرمالي : ١٧ .

١٠ خلوصي : ٤٧٥ .

١١ الرمالي : ٨ .

١٢ خليل : ١٢ ، وأبو ديب : ٥٥ ، والعلمي : ١٣٣ .

١٣ ابن عبد ربه : ٢٧٦/٦ ، والدماميني : ٢٦ .

١٤ الرضي : ٣٥/١ . إنما مَثَّلْتُ ، ومراجعة كتب علم الصرف تبين أن علماءه كأنهم التزموا التمهيد لعرضهم مسائل العلم ، بهذه القسمة العقلية ، وسواء أكانوا في حديث الجانب الأول الذي يشرحون فيه صياغة الكلمة ، كالذي مثلت به ، أم كانوا في حديث الجانب الآخر الذي يشرحون فيه تغيير صياغة الكلمة للتخفيف ، كإعلال الكلمة المعتلة أو المهموزة ، بقلب ألف المد أو الواو أو الياء أو الهمزة ، بعضها إلى بعض ؛ فإنهم يمهدون بمثل ما فعلوا فيما سبق ، لا يخرمون من منهجهم حرفا !

١٥ الدماميني : ٢٧ .

١٦ السابق : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ .

١٧ السابق : ٥١-٥٢ ، ٥٩ ، وابن عبد ربه : ٢٨٩/٦ .

١٨ ابن عصفور : ٢=٦١/١ .

١٩ أنيس : ٢١٠ ، وراجع الدماميني : ٤٤ .

٢٠ إن حدوث تسمية المهمل بعد شيخنا الخليل ، لا أثر له ؛ فما هي إلا أسماء لما وضعه هو .

٢١ الدماميني : ٥١ .

٢٢ السابق : ٤٨ .

٢٣ غازي : ٦٥ ، ٦٦ .

٢٤ صقر : ٣٥ .

٢٥ العقاد : ٨٩-٩٠ وغيرها ؛ فقد ألح في هذا الكتاب على خصب أشكال الموازين الشعرية العربية ، وألّا حاجة بالشاعر إلى اطراحها ، واستعارة غيرها من الأمم الأخرى .

٢٦ ابن عصفور : ٢=٦١/١ ، والرضي : ٢٦/١ ، ٤٠ ، ٤١ .

٢٧ الفراهيدي ، وابن منظور ، مادة (وزن) فيهما جميعا .

٢٨ العقاد : ١٢ ، وعلى رغم أن هذه الفكرة التي عرضها ، وجدتها بعينها عند فليش : ١٩٣ - آثرت نص العقاد الذي كان أحسن عرضا وأعمق فهما وأدق شعورا ، بما له في الفن من نصيب .

٢٩ العقاد : ٨ . ولأمر ما قال خشبة ، في تلحين الكلمة العربية - ٢٠ - : " يتوفر لها في الصياغة والألحان حسن السبيكة بين مقاطع الأصوات من طبع الأصل في اللغة " .

٣٠ الرضي : ١٢/١ .

٣١ الدماميني : ٢٦ .

٣٢ البحراوي : ٢=١٢٨ .

٣٣ العلمي : ١٠٦-١٠٧ ، وراجع الرمالي : ١٢٧ ، وياقوت : ١٤-١٦ .

٣٤ ابن عبد ربه : ٦/٢٧٠ -٢٧١ .

٣٥ مصلوح : ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٤٧ .

٣٦ خليل : ٩٤-٩٥ .

٣٧ عبد اللطيف : ٢=٤٤٢ .

٣٨ الجيار : ٢٠٧ ، والرمالي : ٥٠-٥١ .

٣٩ بشر : ٢٠٢ . ومن العجيب أن نجد علماءنا القدماء واعين لعلاقة المد بالحركة ، ثم هم يراعون الكتابة في ضبط مسائل العلم ، وكأنهم يَنْخَدِعونَ لها عن رِضًا ، رغبةً في تعليم تلامذتهم ، في وقت كانت هذه هي أدواته كلها .

٤٠ أحمد : ٤٤ .

٤١ الفارابي : ١٠٨٥ .

٤٢ الدماميني : ٩٢ .

٤٣ السابق : ٢٠٢ .

٤٤ سيبويه : ٢/٤٣٧ .

٤٥ ابن عصفور : ٢=١/٦٩ .

٤٦ ساعي : ٥٩-٦٠ .

٤٧ الجوهري : ٥٤ .

٤٨ الفارابي : ١٠٩٠ .

٤٩ فليش : ٤٤-٤٥ ، ومصلوح : ٢=٢٧٥-٢٧٦ ، وخليل : ٨٥-٨٩ .

٥٠ مصلوح : ٢=٢٧٧ .

٥١ الأخفش : ١٦٤-١٦٥ ، والتبريزي : ١٨ ، والزمخشري : ١٢٥-١٢٦ .

٥٢ الرضي : ٢/٢١٠ .

٥٣ السابق : ٢/٢٤٨-٢٥٠ .

٥٤ فليش : ٤٤-٤٥ . لقد أثبت هذا الأمر وشرحه مستفيدا من صاحب المفصل ، غير أنه جعل المقطعين الخارجين بالهمز ، قصيرين ، يطول ثانيهما بالوقف ، فتجاوز الصواب ؛ إذ ليسا جميعا قصيرين في الوصل .

٥٥ ابن رشيق : ٢٥/٢ .

٥٦ السابق : ٢٦/٢ ، ٣١ .

٥٧ جويار : ٨٩ .

٥٨ فضل : ٧١ ، وبورا : ٢٩٣-٢٩٤ ، وريتشاردز : ٤٧-٤٩ ، وأحمد : ٤٤-٤٥ .

٥٩ عبد اللطيف : ١=١٨ .

٦٠ ابن خلدون : ١٣٠٠/٣ .

٦١ جيروم : ١٢١ .

٦٢ عياد : ٣٤ .

٦٣ سليمان : ٢٦٣ .

٦٤ أنيس : ١٥٧ .

٦٥ ابن عصفور : ٢=٧١/١ .

٦٦ السابق : ١١١/١ ، ١١٩ .

٦٧ السابق : ١/ ٦٧-٦٩ .

٦٨ السابق : ١٢٦/١ ، وراجع ٧٣/١-٧٤ ، ٤٧١/٢-٤٧٢ .

٦٩ الأندلسي : ٤٦-٤٧ ؛ فقد قال : " لما كان كتاب (الممتع) أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيبا ، وألخصه تهذيبا ، وأجمعه تقسيما ، وأقربه تفهيما - قصدنا في هذه الأوراق نكر ما تضمنه من الأحكام بألخص عبارة ، وأبدع إشارة ، ليشرف الناظر فيه على معظمه في أقرب زمان ، ويَسْرَحَ بَصيرَتَه في عقائل حِسان " ، وابن عصفور : ١=٧ من مقدمة المحقق ؛ فقد قال : " يعتبر هذا

الكتاب من أهم ما ألف في هذا الموضوع لاحتوائه على كثير من الضـــرورات الشعرية ، ولاستقصاء مؤلفه لعدد كبير من المصادر في الحصـــول علـــى مـــادة الكتاب ، ولغزارة الشواهد النحوية التي يحتوي عليها " .

٧٠ القرطاجني : ص٢٠٤ ، وياقوت : ١٩-٢٢ ، ٦٢ .

٧١ البهبيتي : ٩٤ ، وستنكيفيتش : ٧٨-٧٩ ، وفاضل ؛ ففيهمـــا مـــن شـــعر رواد الشعر الحر مثل ما وجده الدكتور البهبيتي في شعر طرفة ، وســـاعي : ٢١١-٢١٢ ؛ فقد ذكر أن أهم ما قدمه الشعر الحديث للغة العربية ، أمـــران : أولهمـــا بحث الشعراء في لهجاتهم العامية عن ألفاظ فصحى أو اشـــتقاقات أو تعبيـــرات مهجورة ، ليحققوا بهذا وذاك عنصر المفاجأة ؛ فهم في الوقـــت نفســـه يُحْيـــون مَوات اللغة .

٧٢ ابن جني : ٢٦/٢ ، وكشك : ٢٧٠ .

٧٣ الرضي : ٥٢/١ .

٧٤ ابن منظور : مادة (جهر) .

٧٥ السابق : مادة (شمل) .

٧٦ شاهين ، فصل الإلحاق من الكتاب .

٧٧ فليش : ٩٢ .

٧٨ ابن عبد ربه : ٢٨٨/٦ .

٧٩ فليش : ١٩٣ ؛ فقد لاحظ حفاظ العربية الشديد على الوزن الصرفي ، على مدى الزمن مقارنة بغيرها من اللغات حتى السامية منها ؛ فكادت تستولي على نظـــره شُبْهَةُ سَلْبِيَّةِ هذا الحفاظ ، غير أنه لم يملك إلا أن يعجب من " الخصوصية الشـــديدة التي توفرت للوزن بوساطة القياس ، من أجل إنتاج مفردات بالغة الكثرة " .

٨٠ الزمخشري : ٢١-٢٢ .

٨١ عوض : ١١ .

٨٢ فاضل : ٦٦ .

٨٣ الجبار : ١٤٩ .

٨٤ الجرجاني : ٢٥٢-٢٥٣ .

٨٥ المزوقي : ١/٩ ، ١٠ .

٨٦ الفارابي : ٤٩-٥٠ .

٨٧ الميداني : ٣/٥١٤ .

٨٨ المجنوب : ١/٤٣٦ . وراجع في هذا الجـزء : ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، وغيرها ، تجد هذا العبث فاشيا ، حتى إنه يصرح به قـائلا مـثلا فـي ١٠٨ : " هاك عبثا في وزنه (...) ومثاله من الكلام الفارغ " ! ، وفـي ١٠٩ : " مثاله من العبث " ، وفي ٢١٥ : " مثاله من الكلمـات " ، وراجـع فـارمر : ١٧٨ ؛ ففيه بيان طريقة زرياب الموسيقار ، في تعليم تلامذته أصول الغنـاء ، بثلاث مراحل ، تعنينا منها أولاها ؛ إذ يعلمه فيها الإيقاع والعروض بما سـماه (كلمات الصوت) ، التي يَذْهَبُ في تَخَيُّلِها العَقْلُ كُلَّ مَذْهَبٍ ، غير أنـه يتوقـع أن تكون مختارة بحيث تشتمل من الأصوات على ما يتفقه به التلميذ في الإيقـاع والعروض ، وتترسخ بتكراره في عقله طبيعتهما المتحدةُ الأصلِ كما سبق فـي الفقرة العشرين .

٨٩ ابن عصفور : ٢=٢/٧٣١ ، والرضـي : ٣/٢٩٤ .

٩٠ السابق : ٢/٧٣٤ .

٩١ ابن عبد ربه : ٦/٢٧٣ .

٩٢ القرطاجني : ٢٦٣ ، والدماميني : ٨٦ .

٩٣ الدماميني : ٢٣٥ .

٩٤ السابق : ١٧٢ .

٩٥ ابن عصفور : ٢=٢/٤٨٣-٤٨٤ .

٩٦ السابق : ٥٥٢/٢ .

٩٧ سيبويه : ٤٢٤/٢ .

٩٨ ابن عصفور : ٢=٦٣٥/٢

٩٩ السابق : ٧١٤/٢-٧١٥ .

١٠٠ السابق : ٧٠٨/٢ .

١٠١ السابق : ٧٠٩/٢ .

١٠٢ الدماميني : ١٧٨ .

١٠٣ أنيس : ١١١ .

١٠٤ جويار : ٨٥ وما بعدها ، وعياد : ٥٣ ، وقد أنكر بعض الباحثين أن يكون للشعر نبر مخالف لنبر النثر ، راجع فليش : ٤٩-٥٠ ، ومصلوح : ١=١٧٥ ، والبحراوي : ١=١٢٦ ، وأنا لا أخالفهم إلا في هذا النبر التَّعويضيّ ، وفي نبر القافية التَّشبيهيّ ؛ فإنه فيهما لا يرتبط بمواضع نبر النثر ، بل بمواضع حاجة الوزن العروضي .

١٠٥ الدماميني : ١٦٧-١٦٨ .

١٠٦ حازم : ٢٠٨-٢١٠ ؛ ففي حديثه عن تقصير القوة الناظمة عن إحكام الوزن بيان جلي .

١٠٧ أبو ديب : ٣٨٩ .

١٠٨ المبرد : ٢٠١/٣ .

١٠٩ ابن عبد ربه : ٣٠٢/٦ .

١١٠ السابق : ٢٩١/٦ .

١١١ ابن جني : ٧١/١ ، والدماميني : ١٣١ ، ولا تخلو تسمية العروضيين تفعيلة العروض (فَصلًا) ، وتفعيلة الضرب (غايَةً) عندما تتميزان عن الحشو بالتَغيير ، من دلالة على الوقف عليهما ، والصمت عندهما .

١١٢ ابن عبد ربه : ٦/٣٥٥ .

١١٣ المختار : ١١٤-١١٥ ، وياقوت : ٦٢-٦٣ .

١١٤ فليش : ١٢٠ .

١١٥ السابق : ١٢٠ بالحاشية .

١١٦ الدماميني : ٢٢٥ .

١١٧ ابن عصفور : ٢=١/٤٤ .

١١٨ الدماميني : ٤٤ ، وراجع الأخفش : ١٥٥ ، والبحراوي : ٢=١٣٣ ، وأنيس : ٥٣ .

١١٩ راجع أعمال من استدركوا على الخليل قديما وحديثا ، في كتاب الأستاذ محمد العلمي .

١٢٠ الموسى : ٧١ ، والراجحي : ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٦٠ .

١٢١ العلمي : ١٣٧ .

١٢٢ ابن عصفور : ٢=١/٣١-٣٢ .

١٢٣ وهبة : ٩١ ، ٥٦٥ .

١٢٤ الرمالي : ١٦ .

١٢٥ أنيس : ٥٣ .

١٢٦ الرضي : ٢/٢٧١ من نص المتن .

كُتُبُ القِسْمِ الأَوّل

- ابن جني (أبو الفتح عثمان) : " الخصائص " ، بتحقيق محمد علي النجار ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الثالثة سنة ١٩٨٧م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن) : " المقدمة " ، بتحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وطبعة دار نهضة مصر بالقاهرة ، الثالثة .
- ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني) : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وطبعة دار الجيل ببيروت ، الخامسة سنة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م .
- ابن الشيخ (جمال الدين) : " الشعرية العربية " ، بترجمة مبارك حنون وآخرين ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م ، نشر دار توبقال بالدار البيضاء .
- ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن أحمد) : " العقد الفريد " ، بتحقيق الدكتور عبد المجيد الترحيني ، وطبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، الأولى سنة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٣م .
- ابن عصفور (علي بن عبد المؤمن) :
  1. " ضرائر الشعر " ، بتحقيق السيد ابراهيم محمد ، طبعة دار الأندلس ببيروت ، الثانية سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م .
  2. " الممتع في التصريف " ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والطبعة الخامسة سنة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م ، ونشر الدار العربية للكتاب بطرابلس ليبيا .
- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري) : " لسان العرب " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .
- أبو ديب (الدكتور كمال) : " في البنية الإيقاعية للشعر العربي " ، طبعة دار العلم للملايين ببيروت ، الثانية ، سنة ١٩٨١م .
- أحمد (الدكتور محمد فتوح) : " واقع القصيدة العربية " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الأولى سنة ١٩٨٤م .

- الأخفش (أبو الحسن) : " كتاب العروض " ، بتحقيق الدكتور أحمد عبد الدايم ، وطبعة سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م ، ونشر مكتبة الزهراء بالقاهرة .
- الأندلسي (أبو حيان) : " المبدع في التصريف " ، بتحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب ، والطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م ، ونشر مكتبة دار العروبة بالكويت .
- أنيس (الدكتور إبراهيم) : " موسيقى الشعر " ، الطبعة السابعة سنة ١٩٩٧م ، ونشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
- البحراوي (الدكتور سيد) :
  ١ " العروض وإيقاع الشعر " ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣م .
  ٢ " كتاب العروض للأخفش : تحقيق ودراسة " ، بحث بمجلة فصول القاهرية ، العدد الثاني سنة ١٩٨٦م ، من المجلد السادس .
- بشر (الدكتور كمال محمد) : " دراسات في علم اللغة : القسم الأول " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٩م .
- البهبيتي (الدكتور نجيب) : " تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري " ، طبعة دار النجاح الجديدة بالدار البيضاء ، سنة ١٩٨٢م ، ونشر دار الثقافة بالدار البيضاء .
- بورا (ك . موريس) : " الغناء والشعر عند الشعوب البدائية " ، بترجمة يوسف شلب الشام ، والطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م ، ونشر دار طلاس بدمشق .
- التبريزي (الخطيب) : " الكافي في العروض والقوافي " ، بتحقيق الحساني حسن عبد الله ، طبعة المدني بالقاهرة ، سنة ١٩٦٩م ، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي) : " دلائل الإعجاز " ، قرأه وعلق عليه الأستاذ محمود محمد شاكر ، وطبعته مطبعة المدني بالقاهرة ، ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد) : " عروض الورقة " ، بتحقيق الدكتور صالح جمال بدوي ، طبعة سنة ١٤٠٦هـ= ١٩٨٥م ، ونشر نادي مكة الثقافي .
- جويار (م . ستانسيلاس) : " نظرية جديدة في العروض العربي " ، بترجمة منجي الكعبي ، ومراجعة عبد الحميد الدواخلي ، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٦م .
- جيروم (جدسون) : " الشاعر والشكل - دليل الشاعر " ، بتعريب الدكتور صبري محمد حسن وعبد الرحيم القعود ، وطبعة سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م ، ونشر دار المريخ بالرياض .
- الجيّار (الدكتور مدحت) : " موسيقى الشعر العربي : قضايا ومشكلات " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الثالثة سنة ١٩٩٥م .
- خشبة (غطاس عبد الملك) : " مقدمة تحقيق كتاب الموسيقى الكبير " ، الذي حققه هو ، وراجعه وصدر له الدكتور محمود الحفني ، طبعة دار الكاتب العربي بالقاهرة .
- خلوصي (الدكتور صفاء) : " فن التقطيع الشعري والقافية " ، طبعة دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد ، السادسة سنة ١٩٨٧م .
- خليل (الدكتور حلمي) : " التفكير الصوتي عند الخليل " ، طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية .
- الدماميني (أبو عبد الله محمد بدر الدين بن أبي بكر) : " العيون الغامزة على خبايا الرامزة " ، بتحقيق الحساني حسن عبد الله ، والطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م ، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .

- الدمنهوري (السيد محمد) – حاشيته " الإرشاد الشافي على متن الكافي للقنائي " ، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الثانية سنة ١٣٧٧هـ= ١٩٥٧م .
- الراجحي (الدكتور عبده) : " النحو العربي والدرس الحديث : بحث في المنهج " ، طبعة سنة ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م ، ونشر دار النهضة العربية ببيروت .
- الرضي (محمد بن الحسن) : " شرح شافية ابن الحاجب " ، بتحقيق محمد نور الحسن وآخرين ، وطبعة دار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م .
- الرمالي (الدكتور ممدوح عبد الرحمن) : " العربية والتطبيقات العروضية " ، طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، سنة ١٩٩٦م .
- ريتشاردز (أ . أ) : " العلم والشعر " ، بترجمة الدكتور مصطفى بدوي ، ومراجعة الدكتورة سهير القلماوي ، طبعة الأنجلو بالقاهرة .
- الزمخشري (جار الله) : " القسطاس في علم العروض " ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م ، نشر المكتبة العربية بحلب .
- ساعي (الدكتور أحمد بسام) : " حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه " ، طبعة دار المأمون للتراث بدمشق ، الأولى سنة ١٣٩٨هـ= ١٩٨٧م
- ستتكيفيتش (الدكتور ياروسلاف) : " العربية الفصحى الحديثة : بحوث في تطور الألفاظ والأساليب " ، بترجمة الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، وطبعة دار النسر بالقاهرة ، سنة ١٩٨٥م .
- سليمان (محمد) : " الهامش والمتن ودوائر الاستبدال " ، مقال بالعدد الثالث من مجلة فصول القاهرية ، بالمجلد الحادي عشر ، خريف سنة ١٩٩٢م .

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر) : " الكتـــاب " ، بتحقيـــق عبــد الســلام هارون ، وطبعة المدني بالقاهرة ، الثالثة سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- شاهين (الدكتور عبد الصبور) : " المنهج الصوتي للبنية العربيـــة : رؤيـــة جديدة في الصرف العربي " ، طبعة جامعة القاهرة ، الأولى ســنة ١٩٧٧م ، ونشر مكتبة دار العلوم بالقاهرة .
- صقر (الدكتور محمد جمال) : " علاقة عروض الشعر ببنائه النحـــوي " ، طبعة المدني بالقاهرة ، الأولى سنة ٢٠٠٠م .
- عبد اللطيف (الدكتور محمد حماسة) :
  ١ " الجملة في الشعر العربي " ، طبعة المدني بالقاهرة ، الأولى ســنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م ، ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
  ٢ " في بناء الجملة العربية " ، الطبعـــة الأولـــى ســنة ١٤٠٢هـــ = ١٩٨٢م ، ونشر دار القلم بالكويت .
- العقاد (الأستاذ عباس محمود) : " اللغة الشاعرة : مزايا الفن والتعبير فـــي اللغة العربية " ، طبعة المكتبة العصرية ببيروت .
- العلمي (محمد) : " العروض والقافية : دراسة في التأسيس والاستدراك " ، طبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ، الأولى ســنة ١٤٠٤هـــ = ١٩٨٣م ، ونشر دار الثقافة بالدار البيضاء .
- عوض (الدكتور لويس) : " بلوتولند وقصائد أخرى من شعر الخاصـــة " ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الثانية سنة ١٩٨٩م .
- عيد (الدكتور صلاح) : " الشعر العالمي والثابت العالمي " . مقال في العدد ٧٧ ليناير ١٩٩٥م ، من مجلة الشعر المصرية الصادرة عن اتحاد الإذاعـــة والتليفزيون .

- عيّاد (الدكتور شكري محمد) : " موسيقى الشعر العربي : مشروع دراسة علمية " ، طبعة دار الأمل بالقاهرة ، الثانية سنة ١٩٧٨ ، ونشر دار المعرفة بالقاهرة .
- غازي (الدكتور سيد) : " في أصول التوشيح " ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الثانية سنة ١٩٧٩م .
- الفارابي (أبي نصر محمد بن طرخان) : " كتاب الموسيقى الكبير " ، الذي راجعه وصدر له الدكتور محمود الحفني ، طبعة دار الكاتب العربي بالقاهرة .
- فارمر (هنري جورج) : " تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي " ، بتعريب جرجيس فتح الله المحامي ، ونشر دار مكتبة الحياة ببيروت .
- فاضل (جهاد) : " أسئلة الشعر " ، نشر الدار العربية للكتاب بليبيا .
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد) : " كتاب العين " ، بتحقيق الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م ، ونشر الأعلمي ببيروت .
- فضل (الدكتور صلاح) : " نظرية البنائية في النقد الأدبي " ، طبعة سنة ١٩٩٢م ، ونشر مؤسسة مختار بالقاهرة .
- فليش (الدكتور الأب هنري) : " العربية الفصحى : نحو بناء لغوي جديد " ، بتعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ، والطبعة الثانية ١٩٨٣م ، ونشر دار المشرق ببيروت .
- القرطاجني (أبو الحسن حازم) : " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " ، بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، وطبعة دار الكتب الشرقية بتونس ، سنة ١٩٦٦م .

- كشك (الدكتور أحمد محمد عبد العزيز) : " الفكر الإيقاعي في الخصائص لابن جني " ، بحث بالكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم ، طبعة عبير سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م .
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) : " الكامل في اللغة والأدب " ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وطبعة دار الفكر العربي بالقاهرة .
- المجذوب (الدكتور عبد الله الطيب) : " المرشد إلى فهم أشعار العربي وصناعتها " ، طبعة جامعة الخرطوم ، الرابعة سنة ١٩٩١م ، ونشرها .
- المختار (عبد الصاحب) : " دائرة الوحدة في أوزان الشعر العربي " ، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس ، سنة ١٩٨٥م .
- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) : " شرح ديوان الحماسة " ، بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، طبعة دار الجيل ببيروت ، الأولى ١٤١١هـ=١٩٩١م .
- مصلوح (الدكتور سعد) :
  ١ " دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة " ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م ، ونشر عالم الكتب بالقاهرة .
  ٢ " دراسة السمع والكلام " ، طبعة سنة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م ، ونشر مكتبة عالم الكتب بالقاهرة .
- الموسى (الدكتور نهاد) : " نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث " ، الطبعة الثانية ، ونشر دار البشير ومكتبة وسام بالأردن .
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد) : " مجمع الأمثال " ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
- وهبة (الدكتور مجدي) : " معجم مصطلحات الأدب : انكليزي ، فرنسي ، عربي " ، نشر مكتبة لبنان بيروت .
- ياقوت (الدكتور أحمد سليمان) : " عروض الخليل : ما لها وما عليها " ، طبعة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ، الأولى سنة ١٩٨٩م .

مُقَدِّمَةُ الْقِسْمِ الآخرِ

لِراشد النَّوْفَليّ

بتكميليّة الْماجستير مِنْ قسْم اللُّغَة الْعَرَبيَّة

بِكُلِّيَّة الْآداب مِنْ جامعَة السُّلْطان قابوس

نَنْدَنَةُ الْعَروض وَأَحْسَنُ الْعُروضِ

وَأَجْمَلُ وَأَسْعَدُ الْأَوْقات وَاللَّحظاتِ

مَعَ أُسْتاذنا الْفاضل

شُــتوا الــتَّســاتينَ يا شُتوا التَّساتينا   شُتوا لِنَعْــزِفَ أَنْغــامَ الْمُحبّيــنــا

تَنْ تَنْ تَنَنْ تَنَنَنْ تَنْ تَنْ تَنَنْ تَنَنَنْ تَنْ تَنْ تَنَنْ تَنَنَنْ تَنْ تَنْ تَنَنْ ديــنـــا

تَنْدِنْ لِــتَــفْــرَحَ مــا الــدُّنْــيا بباقِيَة كَلّــا أَخَــيَّ وَلا الْأَحْيــاءُ باقونـــا

تَنْدِنْ لِــتَــضْــحَــكَ فَالْأَحْزانُ قاتِلَةٌ وَالْهَمُّ يُقَطِّــعُ أَوْصــالَ الْهَنــا فينـــا

تَنْدِنْ لِــتَــحْــيا فَهذا الْعَيْشُ نَنْدَنَةٌ مَنْ لَمْ يُنَنْدِنْــهُ منّــا عــاشَ مَحْزونـــا

إِنّــي لَأَقْــطَــعُ بُــلْــدانــا وَأَوْدِيَــةً لِــكَــيْ أُنَنْدِنَ حينًــا فــي نَواديـنــا

نَــعــيــشُ فــي أُسْــرَةٍ جَــذْلى مُنَنْدِنَةٍ كُلٌّ يُنَنْــدِنُ وَالْأُسْــتاذُ حاديــنـــا

لا يَــنْــتَــهي الشَّرْحُ إِلّا قالَ في شَغَفٍ هَيّا تَلامِــذَتي شُــتوا التَّســاتينا

مَــنْ لَــمْ يَــجِــدْ قَلَمًا لا بَأْسَ مِنْ قَدَمٍ ما دامَ يُحْــدِثُ تَرْنيمًــا وَتَلْحينـــا

فَــنَــسْــتَــعِدُّ فَنَمْضي في تَنَنْ تَنَنَنْ لا يَقْرَبُ الْهَــمُّ وَالْــأَحْزانُ ناديـنـــا

نَــظَــلُّ نَــشْدو وَنَشْدو في تَنَنْ تَنَنَنْ حَتّى لَيَحْسَــبُنا الرّائـــي مَجانيـنـــا

نَــعَــمْ مَــجــانــينُ عِلْمٍ بَلْ وَنَنْدَنَةٍ قُلْ ما بَدا لَكَ قُــلْ عَنّــا مُصــابونا

إِنَّ الْــحَــيــاةَ تَــغاريدٌ وَنَنْدَنَةٌ مَــنْ لَمْ يُنَنْدِنْ بِها قَدْ عـــاشَ مَسْــجونا

بَحْرُ الطَّويل

اعلم – يا بُنَيّ – أن شاعرنا يَمَلُّ تَوقيعَـةَ " نَدَنْ دَنْ " ذات النَّطْقتـين فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة ، في تفعيلة " فَعولُنْ " ذات الوتَد المجموع (فعـو) فالسبب الخفيف (لن) ، في صيغة " فَعالٌ " ، في كلمة " سَماءٌ " مثلا الاسـم المفرد المؤنث الممدود غير المصـغر ولا المنسـوب – وبحـرَ المتقـارب المستخرج بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

ندن دن	ندن دن	ندن دن	ندن دن	ندن دن	ندن دن	ندن دن	ندن دن
فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن
سَماءٌ	سَماءٌ	سَماءٌ	سَماء	سَماءٌ	سَماءٌ	سَماء	سَماء

كما يمل تَوقيعَةَ " نَدَنْ دَنْ دَنْ " ذات النَّطْقتين فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة ، في تفعيلة " مَفاعيلُنْ " ذات الوتَد المجموع (مفا) فالسببين الخفيفين (عي ، لن) ، في صيغة " فَعالاتٌ " ، في كلمة " سماوات " مـثلا الاسم الجمع غير المقصور ولا الممدود – وبحرَ الهزج المستخرج بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

ندن دن دن	ندن دن دن	ندن دن دن	ندن دن دن	ندن دن دن	ندن دن دن
مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن	مفاعيلن
سَماواتٌ	سَماواتٌ	سَماوات	سَماواتٌ	سَماواتٌ	سَماوات

فيدخل التَوقيعة الثانية على التَوقيعة الأولى ، ويستخرج بحر الطويـل بتكرارهما هكذا ، مثلا من الهزل :

ندن دن	ندن دن دن	ندن دن	ندن دن دن	ندن دن	ندن دن دن	ندن دن	ندن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سَماءٌ	سَماواتٌ	سَماءٌ	سَماوات	سَماءٌ	سَماواتٌ	سَماءٌ	سَماوات

حتى إذا حَزَبَه الأمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة الأولى :

" ألا لا أري الأحداث حمدا ولا ذما فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى ويكري كما أرمى لك الله

من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما أحن إلى الكأس التي

شربت بها وأهوى لمثواها التراب وما ضما بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق

كلانا ثكل صاحبه قدما ولو قتل الهجر المحبين كلهم مضى بلد باق أجدت لـه

صرما منافعها ما ضر في نفع غيرها تغذى وتروى أن تجـوع وأن تظمـا

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما أتاها كتـابي

بعد يأس وترحة فماتت سرورا بي فمت بها غما حرام على قلبـي السـرور

فإنني أعد الذي ماتت به بعدها سما تعجب من خطي ولفظـي كأنهـا تـرى

بحروف السطر أغربة عصما وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينيها وأنيابها

سحما رقا دمعها الجاري وجفت جفونها وفارق حبي قلبها بعد ما أدمى ولـم

يسلها إلا المنايا وإنما أشد من السقم الذي أذهب السقما طلبت لها حظا ففاتت

وفاتني وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما فأصبحت أستسقي الغمام لقبرهـا

وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصما وكنت قبيل الموت أستعظم النوى فقـد

صارت الصغرى التي كانت العظمى هبيني أخذت الثأر فيك من العدا فكيـف

بأخذ الثأر فيك من الحمى وما انسدت الدنيا علي لضيقها ولكن طرفا لا أراك

به أعمى فوا أسفا ألا أكب مقبلا لرأسك والصدر اللذي ملئا حزما وألا ألاقي

روحك الطيب الذي كأن ذكي المسك كان له جسما ولو لم تكوني بنت أكـرم

والد لكان أباك الضخم كونك لي أما لئن لذ يوم الشامتين بيومها فقد ولدت مني

لآنافهم رغما تغرب لا مستعظما غير نفسه ولا قابلا إلا لخالقــه حكمـــا ولا سالكا إلا فؤاد عجاجة ولا واجدا إلا لمكرمة طعما يقولون لي ما أنت في كل بلدة وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى كأن بنيهم عالمون بأنني جلوب إلــيهم من معادنه اليتما وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمـــع الجد والفهما ولكنني مستنصر بذبابه ومرتكب في كل حال به الغشما وجاعله يوم اللقاء تحيتي وإلا فلست السيد البطل القرما إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما وإني لمن قوم كأن نفوسنا بها أنــف أن تسكن اللحم والعظما كذا أنا يا دنيا إذا شئت فاذهبي ويا نفــس زيــدي فـــي كرائهها قدما فلا عبرت بي ساعة لا تعزنـــي ولا صـــحبتني مهجـــة تقبـــل الظلما " .

فأقبلتَ تَستَنْطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصْمِتُ نَواطِقَه ؛ فتستعين بما تعرف من اللغة على ما تجهل من العروض ؛ حتى تُخَرِّجَ قصيدته في علم العروض :

- **ببيان خصائصها الوَزْنيَّة :**

١ بتَقْطيع أبياتها وأجزاء أبياتها (تفاعيلها) .

٢ ثم بتَوْقيع الأجزاء (نكر رموزها الموسيقية) .

٣ ثم بتَفْعيلها (نكر رموزها العروضية) .

٤ ثم بتَوْصيف أحوال التفاعيل (التنبيه على سلامتها أو تَغَيُّرها العروضيَّيْن) .

* **وبيان خصائصها القافوِيَّة :**

١ بنسبتها إلى أبرز أصوات أواخر أبياتها (للرّوي) .

٢ ثم بوصف حال هذا الصوت .

٣ ثم بتحديد أبرز أصوات أواخر أبياتها (آخر ساكنين مع ما بينهما من متحركات والمتحرك الذي قبلهما) .

٤ ثم بتوصيف أحوال الأصوات .

على النحو الآتي :

ألا لا	أري للأخلا	ثَ حَمدْنا	وَلا نَمّا	فَما بَطـــ	شُها جَهلًا	وَلا كَفّـــ	فُها حلما
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
إلى ميْثْ	لِ ما كانَ لْ	فَتى مَرْ	جعُ الْفَتى	يَعوذ	كَما أَبْدى	وَيَكْري	كَما أَرْمى
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
لَكِ الل	هُ مَنْ مَفْجو	عَةٍ بِ	حَبيبِها	قَتيلَ	ةِ شَوقٍ غيْ	رِمُلْعِ	قِها وَصْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
أحِنُّ	إلى الْكَأْسِ لْ	لَتي شَ	رِبَتْ بِها	وَأَهْوى	لِمَثْواها التْ	تُرابَ	وَما ضَمّا
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
بَكَيْتُ	عَلَيْها خي	فَةً في	حَياتِها	وَذاقَ	كِلانا ثُكْ	لَ صاحِ	بِهِ قِدْما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن

مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
ولو قـــ	تل الهجر ال	محبي	ن كلهم	مضى ب	لذ باق	أجنت	له صرما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
مناف	عها ما ضر	ر في نف	ع غيرها	تغذى	وتروى أن	تجوع	وأن تظما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
عرفت ال	ليالي قب	ل ما صن	نعت بنا	قلما	دفتني لم	ترتني	بها علما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
أتاها	كتابي بع	د يأس	وترحة	فماتت	سرورا بي	فمت	بها غما
دن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
حرام	على قلبي السر	سرور	فإنني	أعد ال	لذي ماتت	به بع	دها سما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن ددن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
تعج	ب من خطي	ولفظي	كأنها	ترى ب	حروف السط	ر أغر	بة عصما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعول	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وتلث	مه حتى	أصار	مدادُه	محاج	ر عينيها	وأنيا	بها سحما
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعول	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
رقا نم	عها الجاري	وجفت	جفونها	وقار	ق حتى قل	بها بع	د ما ألمى

ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
وَلَمْ يَسْ	لِها إِلّا الْ	مَنايا	وَإِنّما	أَشُدُّ	مِنَ السُّقْمِ الْ	لَذي لَذْ	هَبَ السُّقْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
طَلَبْتُ	لَها حَظًّا	فَفاتَتْ	وَفاتَني	وَقَدْ رَ	ضيتُ بي لَوْ	رَضيتُ	بِها قِسْما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
فَأَصْبَحْ	تُ أَسْتَسْقي الْ	غَمامَ	لِقَبْرِها	وَقَدْ كُنْ	تُ أَسْتَسْقي الْ	وَغى وَالْ	ـقَنا الصُّمّا
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
وَكُنْتُ	قُبَيْلَ الْمَوْ	تِ أَسْتَعْ	ظِمُ النَّوى	فَقَدْ صا	رَتِ الصُّغْرى الْ	لَتي كا	نَتِ الْعُظْمى
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
هَبيني	أَخَذْتُ الثَّأْ	رَ فيكِ	مِنَ الْعِدا	فَكَيْفَ	بِأَخْذِ الثَّأْ	رِ فيكِ	مِنَ الْحُمّى
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وَما انْسَدْ	دَتِ الدُّنْيا	عَلَيَّ	لِضيقِها	وَلَكِنْ	نَ طَرْفًا لا	أَراكِ	بِهِ أَعْمى
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
فَوا أَ	سَفا أَلّا	أُكِبَّ	مُقَبِّلًا	لِرَأْسِ	كِ وَالصَّدْرِ الْ	لَذَيْ مُ	لِئا حَزْما
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن

مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وَلَمّا	ألاقي رو	حكِ الطّيْ	يبَ الّذي	كَأنْ	ذَكيُّ لْمِسْ	كِ كانَ	لَه جِسْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وَلَوْ لَمْ	تَكوني بِنْ	تَ أكْرَ	مِ والِدٍ	لَكانَ	أباكِ الضَّخْ	مَ كَوْنُ	كِ لي أُمّا
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
لَئِنْ لَذْ	ذَ يَوْمُ الشّا	مِتينَ	بِيَوْمِها	لَقَدْ وَ	لَدَتْ مِنّي	لِأَنْ	فِهِمْ رَغْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
تَغَرْ	بَ لا مُسْتَعْ	ظِمًا غَيْ	رَ نَفْسِهِ	وَلا قا	بِلًا إلّا	لِخالِ	قِهِ حُكْما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وَلا سا	لِكًا إلّا	فُؤادَ	عَجاجَةٍ	وَلا وا	جِدًا إلّا	لِمَكْرُ	مَةٍ طَعْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
يَقولو	نَ لي ما أنْ	تَ في كُلْ	لِ بَلْدَةٍ	وَما تَبْ	تَغي ما أبْ	تَغي جَلْ	لَ أنْ يُسْمى
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
كَأنْ	بَنيهِمْ عا	لِمونَ	بِأنَّني	جَلوبٌ	إلَيْهِمْ مِنْ	مَعادِ	نِهِ الْيُتْما
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
وَما الْجَمْ	عُ بَيْنَ الْما	ءِ وَالنّا	رِ في يَدي	بِأصْعَ	بَ مِنْ أنْ أجْ	مَعَ الْجَدْ	دَ وَالْفَهْما

ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
ولكنْ	تَني مُسكَن	صبرٍ بِ	نُبابِه	وَمُرَتَ	كِبٌ في كُلْ	لِ حالِ	بِهِ الْغَشْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
وَجاعِ	لُه يَوْمَ الْ	لِقاءِ	تَحيَّتي	وَإلّا	فَلَسْتُ للسَّيْ	يِدَ اللُبَ	طَلَ الْقَرْما
ددن د	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	صحيحة
إذا قَلْ	لَ عَزْمي عَنْ	مَدى خَوْ	فَ بُعْدِهِ	فَأَبْعَ	دُ شَيْءٍ مُمْ	كِنٌ لَمْ	يَجِدْ عَزْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
وَإنّي	لَمِنْ قَوْمٍ	كَأَنَّ	نُفوسَنا	بِها أَ	نَفٌ أنْ تَسْ	كُنَ اللَّحْ	مَ وَالْعَظْما
ددن دن	ددن دن دن	ددن د	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولن	مفاعيلن	فعولُ	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة
كَذا أَ	نا يا دُنْيا	إذا شِئْ	تِ فَاذْهَبي	وَيا نَفْ	سُ زيدي في	كَرائِ	هِها قُدْما
ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	سالمة	سالمة	سالمة	صحيحة
فَلا عَ	بَرَتْ بي سا	عَةٌ لا	تُعِزُّني	وَلا صَ	حِبَتْني مُهْ	جَةٌ تَقْ	بَلُ الظُّلْما
ددن د	ددن دن دن	ددن ددن	ددن ددن	ددن د	ددن دن دن	ددن دن	ددن دن دن
فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولُ	مفاعيلن	فعولن	مفاعيلن
مقبوضة	سالمة	سالمة	مقبوضة	مقبوضة	سالمة	سالمة	صحيحة

فاستبنتَ أن القصيدة طَويلَيّة الأبياتِ (التي من بحر الطويل) الوافيَةِ (التي استوفت أعداد تفاعيلها) المَقْبوضةِ الأعاريض (التـــي يـــاء تفعيلـــة

" مفاعيلن " الرابعة ، محذوفة من كل بيت منها) الصحيحةِ الأضربِ (التي التفعيلة الثامنة من كل بيت منها ، غير مُغَيَّرة عما ضبطت عليه في مدخل البحر) - ميميّة القوافي (التي أبرز أصواتها الميم) المفتوحةِ (مفتوحة الميم) المُجَرَّدةِ (الخالية أصواتها من العلل السواكن قبل الميم وقبل ما قبل الميم) المَوْصولةِ بالألف (التي بعد ميمها ألف) .

وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَ نصَّه في علم اللغة :

- **ببيان رسالته الثقافية المستولية على :**

١ قضايا فقره .

٢ وأفكار جمل كل فقرة .

٣ ومعاني كلم كل جملة .

- **ورعاية مكوناته :**

١ أصواته .

٢ وصيغه .

٣ وتراكيبه .

على النحو الآتي :

١ " ألا لا أري الأحداثَ حَمْدًا وَلا ذَمّا فما بَطْشُها جَهْلًا وَلا كَفُّها حِلْما

٢ إلى مِثْلِ ما كانَ الفَتى مَرْجِعُ الفَتى يَعودُ كَما أَبْدى وَيُكْري كَما أَرْمى

٣ لَكِ اللّهُ مِنْ مَفْجوعَةٍ بِحَبيبِها قَتيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِها وَصْما

٤ أحِنُّ إلى الكَأْسِ الَّتي شَرِبَتْ بِها وَأَهْوى لِمَثْواها التُّرابَ وَما ضَمّا

٥ بَكَيتُ عَلَيها خيفَةً في حَياتِها وَذاقَ كِلانا ثُكلَ صاحبِهِ قِدْما

٦ وَلَوْ قَتَلَ الهَجرُ المُحِبّينَ كُلَّهُمْ مَضى بَلَدٌ باقٍ أجَدَّتْ لَهُ صَرْما

٧ مَنافِعُها ما ضَرَّ في نَفعِ غَيرِها تَغَذّى وَتَرْوى أنْ تَجوعَ وَأنْ تَظْما

٨ عَرَفْتُ اللّيالي قَبلَ ما صَنَعَتْ بِنا فَلَمّا دَهَتْني لَمْ تَزِدْني بِها عِلْما

٩ أتاها كِتابي بَعدَ يَأسٍ وَتَرْحَةٍ فَماتَتْ سُرُورًا بي فَمُتُّ بِها غَمّا

١٠ حَرامٌ عَلى قَلبي السُّرورُ فإنّني أعُدُّ الّذي ماتَتْ بهِ بَعدَها سَمّا

١١ تَعَجَّبُ مِنْ خَطّي وَلَفظي كَأنّها تَرى بِحُروفِ السَّطْرِ أغْرِبَةً عُصْما

١٢ وَتَلْثَمُهُ حَتّى أصارَ مِدادُهُ مَحاجِرَ عَيْنَيها وَأنْيابَها سُحْما

١٣ رَقَا دَمعُها الجاري وَجَفّتْ جُفونُها وَفارَقَ حُبّي قَلبَها بَعدَ ما أدْمى

١٤ وَلَمْ يُسْلِها إلّا المَنايا وَإنّما أشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الّذي أذهَبَ السُّقْما

١٥ طَلَبْتُ لَها حَظًّا فَفاتَتْ وَفاتَني وَقَدْ رَضِيَتْ بي لَوْ رَضيتُ بِها قِسْما

١٦ فَأصْبَحْتُ أستَسقي الغَمامَ لِقَبرِها وَقَدْ كُنْتُ أستَسقي الوَغى وَالقَنا الصُّمّا

١٧ وَكُنتُ قُبَيلَ المَوتِ أستَعظِمُ النّوى فَقَدْ صارَتِ الصُّغْرى الّتي كانتِ العُظْمى

١٨ هَبيني أخَذْتُ الثّأرَ فيكِ مِنَ العِدا فَكَيفَ بِأخْذِ الثّأرِ فيكِ مِنَ الحُمّى

١٩ وَما انسَدّتِ الدّنْيا عَلَيّ لِضيقِها وَلَكِنّ طَرْفًا لا أراكِ بهِ أعمى

٢٠ فَوا أسَفا ألّا أكِبَّ مُقَبِّلًا لِرَأسِكِ وَالصّدْرِ اللّذَيْ مُلِئا حَزْما

٢١ وَألّا ألاقي رُوحَكِ الطّيّبَ الّذي كَأنّ ذَكِيَّ المِسكِ كانَ لَهُ جِسْما

٢٢ وَلَوْ لَمْ تَكُوني بِنْتَ أكْرَمِ والِدٍ لَكانَ أباكِ الضّخْمَ كَوْنُكِ لي أُمّا

٢٣ لَئِنْ لَذّ يَوْمُ الشّامِتِينَ بيَوْمِها فَقَدْ وَلَدَتْ مِنّي لأنْفِهِمِ رَغْما

٢٤ تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظِمًا غَيرَ نَفْسِهِ وَلا قابِلًا إلّا لِخالِقِهِ حُكْما

٢٥ وَلا سالِكًا إلّا فُؤادَ عَجاجَةٍ وَلا واجِدًا إلّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْما

٢٦ يَقولونَ لي ما أنتَ في كُلِّ بَلْدَةٍ وَما تَبْتَغي ما أبْتَغي جَلَّ أن يُسْمى

٢٧ كَأنَّ بَنيهِمْ عالِمونَ بِأنّني جَلوبٌ إلَيْهِمْ مِنْ مَعادِنِهِ اليُتْما

٢٨ وَما الجَمْعُ بَيْنَ الماءِ وَالنّارِ في يَدي بِأصْعَبَ مِنْ أنْ أجْمَعَ الجَدَّ وَالفَهْما

٢٩ وَلكِنّني مُسْتَنْصِرٌ بِذُبابِهِ وَمُرْتَكِبٌ في كُلِّ حالٍ بِهِ الغَشْما

٣٠ وَجاعِلُهُ يَوْمَ اللّقاءِ تَحِيّتي وَإلّا فَلَسْتُ السّيّدَ البَطَلَ القَرْما

٣١ إذا قَلَّ عَزْمي عَنْ مَدًى خَوْفَ بُعْدِهِ فَأبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْما

٣٢ وَإنّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأنَّ نُفوسَنا بِها أنَفٌ أنْ تَسْكُنَ اللّحْمَ وَالعَظْما

٣٣ كَذا أنا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فَاذْهَبي وَيا نَفْسُ زيدي في كَرائِهِها قُدْما

٣٤ فَلا عَبَرَتْ بي ساعَةٌ لا تُعِزُّني وَلا صَحِبَتْني مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْما " .

فاستبنت أنه زَأْرَةُ أسَدٍ مَوْتور ، وَتَرَتْه الدنيا بتَعسير آماله ، ثم وَتَـره المَوْتُ بهَدْمِ الركن الشديد الذي كان يأوي إليه مِنْ جدّته ؛ فهـو يُهـدِّدُ كـلَّ شيء ، ويتوعّده ، وكأنّ عنده ثأره ، فليس يشتفي إلا بأن يترِه مثلما وَتَرَه .

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالقصيدة الأولى ؛ فهلا عملـت لي أنا بالتمرين الأول ، مثلما عملت لك !

التمرين الأول :

" ملام النوى في ظلمها غاية الظلم لعل بها مثل الذي بي من السقم فلو لم تغر لم تزو عني لقاءكم ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي أمنعمة بالعودة الظبية التي بغير ولي كان نائلها الوسمي ترشفت فاها سحرة فكأنني ترشـفت حر الوجد من بارد الظلم فتاة تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الـدري فـي

الحسن والنظم ونكهتها والمندلي وقرقف معتقة صهباء فـــي الـــريح والطعـــم جفنتي كأني لست أنطق قومها وأطعنهم والشهب في صورة الدهم يحـــاذرني حتفي كأني حتفه وتنكزني الأفعى فيقتلها سمي طوال الردينيات يقصفها دمي وبيض السريجيات يقطعها لحمي براني السرى بري المدى فردنني أخـــف على المركوب من نفسي جرمي وأبصر من زرقاء جو لأنني إذا نظـــرت عيناي شاءهما علمي كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الإسكندر السد من عزمي لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمه فأبدع حتى جل عن دقة الفهم وأسمع من ألفاظه اللغة التي يلذ بها سمعي ولو ضمنت شـــتمي يمـــين بنـــي قحطان رأس قضاعة وعرنينها بدر النجوم بني فهم إذا بيت الأعـــداء كـــان استماعهم صرير العوالي قبل قعقعة اللجم مذل الأعزاء المعز وإن يـــئن بـــه يتمهم فالموتم الجابر اليتم وإن تمس داء في القلوب قناته فممسكها منه الشفاء من العدم مقلد طاغي الشفرتين محكم على الهام إلا أنه جائر الحكم تحرج عن حقن الدماء كأنه يرى قتل نفس ترك رأس على جسم وجـــدنا ابـــن إســـحاق الحسين كجده على كثرة القتلى بريئا من الإثم مع الحزم حتى لو تعمد تركـــه لألحقه تضييعه الحزم بالحزم وفي الحرب حتى لو أراد تأخرا لأخره الطبـــع الكريم إلى القدم له رحمة تحيي العظام وغضبة بها فضلة للجرم عن صاحب الجرم ورقة وجه لو ختمت بنظرة على وجنتيه ما انمحى أثـــر الخـــتم أذاق الغواني حسنه ما أذقنني وعف فجازاهن عني على الصرم فدى مـــن علـــى الغبراء أولهم أنا لهذا الأبي الماجد الجائد القرم لقد حال بين الجـــن والأمـــن سيفه فما الظن بعد الجن بالعرب والعجم وأرهب حتى لو تأمل درعه جـــرت

جزعا من غير نار ولا فحم وجاد فلولا جوده غير شارب لقيل كريم هيجتـــه ابنة الكرم أطعناك طوع الدهر يا ابن ابن يوسف لشهوتنا والحاسدو لك بالرغم وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنا لخلناك قد أعطيت من قـــوة الـــوهم دعيــت بتقريظيك في كل مجلس وظن الذي يدعو ثنائي عليك اسمي وأطمعتني فـــي نيل ما لا أناله بما نلت حتى صرت أطمع في النجم إذا ما ضربت القرن ثـــم أجزتني فكل ذهبا لي مرة منه بالكلم أبت لك نمي نخوة يمنية ونفس بها فـــي مأزق أبدا ترمي فكم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قراه مكمن العســكر الدهم وقائلة والأرض أعني تعجبا علي لمرؤ يمشي بوقري من الحلم عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظما عن العظم " .

التَّأْنيثُ

اعلم – يا بني – أن التأنيث غير الأنوثة ؛ فأما الأنوثة فعكس الذكورة ، وكلتاهما طبيعتان حيويتان متضادتان متكاملتان ، وأما التأنيث فعكس التذكير ، وكلاهما ظاهرتان لغويتان عرفيتان ؛ ولذلك اتفق الناس فيما عَبّروا به عن الذكر والأنثى ، واختلفوا فيما عبروا به عن المذكر والمؤنث !

إن في طبيعة كل من الذكر والأنثى عنصرين : ماديًا ومعنويًا – فكما يختلف جسماهما مثلا ، تختلف أخلاقهما – يَسَّرا للشاعر أن يميز في كَلِمِهِ ما يدل على الإناث مما يدل على الذكور ، تصديقًا لقول الحق – سبحانه ، وتعالى ! – : " مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ " ، ثم أن يُشَبِّهَ بالإناث ما يُؤَنِّثه من غير ذوات الطبيعة الأنوثية .

لقد استطاع الشاعر أن يميز الاسم المؤنث بإضافة أي من هذه العلامات الزوائد اللواحق الثلاث :

التاء المتحركة : " وَسيمَة = فَعيلَة " .

الألف المقصورة : " أسْمى = فَعْلى " .

الألف الممدودة : " أسْماء = فَعْلاء " .

فدل من حيث أراد أو لم يرد ، على خروج الأنثى والمؤنث : " وَسيمة " ، من الذكر والمذكر : " وَسيم " !

وبينها للمتأمل عَلاقَة من التطور غير مذكورة ربما أعانت عليها قوافي الشعر ؛ إذ ربما أفضى مَطْل الهاء الساكنة المنقلبة عند الوقف عن التاء : " أسْمَة = دن دن " – وإن لم تُعْرَف هذه بعينها – إلى الألف المقصورة :

" أسمى = دن دن " ، التي يَقضي مَطْلها إلى الممدودة الموقوف عليها كذلك : " أسماء = دن دنّ " ، والعكس جائز في قــانون التطــور بــاختزال الألــف الممدودة : " أسماء = دن دنّ " ، إلى المقصورة : " أسمى = دن دن " ، ثــم اختزال هذه المقصورة إلى الهاء المنقلبة عند الوقف عن التاء : " أسْمَهْ = دن دن " ، وإن لم تُعرف هذه بعينها !

تعليقات على التأنيث بالتاء المتحركة :

١ لقد استطاع الشاعر كثيرا أن يؤنث بلا أية علامة من تلك العلامــات بعض الأسماء ؛ فيقدر فيها علماء العربية التاء مُسْــتدِلّين بالضــمير العائد عليها : " النارُ وكلاليبُها " ، وبالإشارة إليها : " هذهِ النّــارُ " ، وبثبوتها في تصغيرها : " نُوَيْرَة " ، وأفعالها : " اشــتعلتِ النــارُ " ، وبسقوطها من أعدادها : " ثلاثُ نيرانٍ " .

٢ واستطاع الشاعر دائما أن يمَيِّز بالتاء صفةَ المؤنث (اسم الفاعــل : " عالِمَة " ، أو الصفة المشبهة به : " كَريمَة " ، أو صــيغة المبالغــة فيه : " عَليمَة " ، أو اسم المفعول : " مَعلومَة " ، الدالّ كل منها على الشيء وصفته) ، مِنْ صفَةِ المنكر (" عــالِم " ، أو " كَــريم " ، أو " عَليم " أو " معلوم ") - إلا صفات على وزن فَعول بمعنى فاعِل : " صَبور " ، وفَعيل بمعنى مَفْعول : " قَتيل " ، ومِفعال : " مِقْــدام " ، ومِفْعيل : " مِعْطير " ، ومِفْعَل : " مِغْشَــم " (راكــب رأســه غيــر المبالي) ؛ فإنه يميز مؤنثها غالبًا بدلالة العُــرْف وسِــياقِي المَقــال

والمَقام ، إلا ما على وزن " فَعيل " ، إذا خاف التباسه بالمنكر : " عَثَرْتُ عَلى قتيلة " .

٣ واستطاع الشاعر أن يميز بالتاء ، الواحد من جنسه كثيرا : " تَمْرَة " (اسم جنسها تَمْر) ، والجنس من الواحد " فَقْعَة " (مفرده فَقْع = نبات بري) ، نادرا .

٤ واستطاع الشاعر أحيانا أن يعوّض التاء من فاء بعض المصادر : " عِدَة " (أصلها وِعْد) ، ومن لام بعض الأسماء : " سَنَة " (أصلها سَنَوٌ أو سَنَهٌ) ، ومن زيادة نسب بعض جموع المنسوبات : " أزارِقَة " (جمع أزرَقيّ = خارجي) ، ومن زيادة صياغة بعض جموع المزيدات : " جَحاجِحَة " (جمع جَحْجاح = سيد كريم) .

٥ واستطاع الشاعر أن يضيف التاء كثيرا للتعريب إلى جموع الأعجمي : " مَوازِجَة " (جمع مَوْزَج الفارسي الأصل = خُفّ) .

٦ واستطاع الشاعر أحيانا أن يضيف التاء للمبالغة : " مَقْتَلَة ، راوِيَة " ، ولتأكيد المبالغة : " عَلّامة " (مُنَكَّران) - ولتأكيد التأنيث : " نَعْجة " (مُنَكَّرها خَروف لا نَعْج) !

تعليقات على التأنيث بالألف المقصورة :

استطاع الشاعر أن يستعمل للتأنيث بالألف المقصورة ، أوزانا كثيرة ، ولكنه آثر على سائرها ، ما يلي مجدولا جدولة صوتية :

م	الوزن	مادته			
		اسم عين	اسم معنى	صفة	جمع تكسير
١	فُعَّالى	خبازى	سوارى	x	x
٢	فُعَّيلى	قبيطى	خليطى	x	x
٣	فِعّيلى	x	حثيثى	x	x
٤	فُعَّلى	سمهى	x	x	x
٥	فُعالى	حبارى	x	x	سكارى
٦	فُعَّلى	كفرى	حذرى	x	x
٧	فِعَّلى	x	سبطرى	x	x
٨	فَعَلى	بردى	مرطى	حيدى	x
٩	فُعَلى	شعبى	x	x	x
١٠	فَعْلى	x	دعوى	سكرى	قتلى
١١	فُعْلى	بهمى	رجعى	طولى	x
١٢	فِعْلى	x	ذكرى	x	حجلى

(الخُبّازى نبات ، والسُّوّارى فَوْرة الشـعور ، والقُبَّيْطـى حلـوى ، والخُلَّيطى الاختلاط ، والحِثّيثى الإسراع ، والسُّـمَّهى الباطـل ، والحُبـارى طائر ، والكُفُرّى الكفر ، والحُذُرّى الحذر ، والسِّبَطْرى مِشْية ، وبَرَدى نهر ، والمَرَطى مِشْية ، والحَيَدى الحائدة المائلة ، وشُعَبى مكان ، والبُهْمى نبـات ، والحِجْلى جمع الحَجَل وهو طائر) .

إذا تحرينا تصنيف تلك الأوزان تصنيفا صوتيا ، انسلكت على حسب مقاطعها ، في خمسة الأصناف الآتية :

١ طويل فطويل فطويل مفتوح (دن دن دن) : ١ ، ٢ ، ٣ .

٢ طويل فقصير فطويل مفتوح (دن ددن) : ٤ .

٣ قصير فطويل فطويل مفتوح (ددن دن) : ٥ ، ٦ ، ٧ .

٤ قصير فقصير فطويل مفتوح (دددن) : ٨ ، ٩ .

٥ طويل فطويل مفتوح (دن دن) : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

لا ريب في أن بعض هذه الأصناف من بعض :

فحركة الصنف الأول الإيقاعية ، إلى الصنف الثاني بحذف ساكنه الثاني (تقصير مقطعه الطويل الثاني) ، سهلة مفهومة شبيهة بطي " مَفْعولا " في ضرب بيت السريع ، إلى " مَفْعُلا " .

وحركة الصنف الأول نفسه إلى الصنف الثالث بحذف ساكنه الأول (تقصير مقطعه الطويل الأول) ، سهلة كذلك مفهومة شبيهة بخبن " مُسْتَفْعِلْ " في ضرب بيت الرجز ، إلى " مُتَفْعِلْ " .

وحركة الصنف الرابع إلى الصنف الخامس بتسكين متحركه الثاني (تحويل مقطعيه القصيرين إلى مقطع طويل) ، سهلة كذلك مفهومة شبيهة بإضمار " مُتَفا " في ضرب بيت الكامل ، إلى " مُتْفا " .

ولقد اتضح أن الشاعر الذي لان لقانون التطور ، كان أميل إلى ما استحدثه ولا سيما الصنف الخامس ذو الأوزان المختومة بمقطعين طويلين ،

ألف التأنيث المقصورة هي آخرهما ، وكأن في قبول الوزن الانقسام على قسمين مُستَوِيَيْنِ ، مَعْنًى من التأنيث ليس في رفضه !

تَعليقاتٌ على التَّأنيث بِالألِفِ المَمْدودَة :

استطاع الشاعر أن يستعمل للتأنيث بالألف الممدودة ، أوزانا كثيرة ، ولكنه آثر على سائرها ما يلي مجدولا جدولة صوتية ، في حال الوقف على أواخره ؛ إذ الوصل وآثاره من عمل النحو ، وإنما أردت أن أُخلِصَ العمل للصرف المحض ؛ عسى أن أستبين الرأي :

م	الوزن	مادته			
		اسم عين	اسم معنى	صفة	جمع تكسير
١	فاعولاء	عاشوراء	×	×	×
٢	مَفْعولاء	×	×	×	مشيوخاء
٣	فاعِلاء	نافقاء	×	×	×
٤	فَعْلَلاء	عقرباء	×	×	×
٥	فُعْلُلاء	×	قرفصاء	×	×
٦	فِعْلِياء	×	كبرياء	×	×
٧	أفْعَلاء	أربعاء	أجفلاء	×	×
٨	أفْعُلاء	أربعاء	×	×	×
٩	أفْعِلاء	أربعاء	×	×	أصدقاء
١٠	فَعالاء	براساء	براكاء	×	×
١١	فِعالاء	×	قصاصاء	×	×

١٢	فَعولاء	حروراء	×	×	×
١٣	فَعيلاء	قريثاء	×	×	×
١٤	فَعَلاء	قرماء	×	×	×
١٥	فِعَلاء	سيراء	×	×	×
١٦	فُعَلاء	×	غلواء	نفساء	علماء
١٧	فَعْلاء	صحراء	رغباء	حمراء	طرفاء

(المَشْيوخاء الشيوخ ، والنّافِقاء جحر اليربوع ، وعَقْرَباء مكان ، والقُرْفُصاء قِعْدة ، والأَجْفَلاء الدعوة العامة ، والبَراساء الناس ، والبَراكاء البروك ، والقِصاصاء القصاص ، وحَروراء موضع ، والقَريثاء تمر ، وقَرَماء مكان ، والسِّيَراء قماش ، والغُلَواء الغلوّ ، والرُّغْباء الرَّغْبة ، والطَّرْفاء شَجر) .

إذا تحرينا تصنيف تلك الأوزان تصنيفا صوتيا ، انسلكت على حسب مقاطعها ، في خمسة الأصناف الآتية :

١ طويل فطويل فمستطيل (دن دن دنّ) : ١ ، ٢ .

٢ طويل فقصير فمستطيل (دن ددنّ) : ٣ – ٩ .

٣ قصير فطويل فمستطيل (ددن دنّ) : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

٤ قصير فقصير فمستطيل (دددنّ) : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

٥ طويل فمستطيل (دن دنّ) : ١٧ .

لا ريب كذلك في أن بعض هذه الأصناف من بعض :

فحركة الصنف الأول إلى الصنف الثاني بحذف ساكنه الثاني (تقصير مقطعه الطويل الثاني) ، سهلة مفهومة شبيهة بطي " مَفعولاتْ " في ضـــرب بيت السريع ، إلى " مَفعُلاتْ " .

وحركة الصنف الأول نفسه إلى الصنف الثالث بحذف ســاكنه الأول (تقصير مقطعه الطويل الأول) ، ســهلة كــذلك مفهومــة شــبيهة بخــبن " مَفعولاتْ " نفسها إلى " مَعولاتْ " .

وحركة الصنف الرابع إلى الصنف الخامس بتسكين متحركه الثـــاني (تحويل مقطعيه القصيرين إلى مقطع طويل) ، ســهلة كــذلك مفهومــة ؛ فكلاهما من صور " فاعلاتْ " ، في ضرب بيت الرمل .

ولقد اتضح كذلك أن الشاعر الذي لان لقانون التطور ، كان أميل إلى ما استحدثه ولا سيما الصنف الخامس ذو الوزن المختوم بعد مقطـــع طويـــل بمقطع مستطيل بألف التأنيث الممدودة ، الذي يستمر فيه ما سبق في خـــامس أصناف أوزان التأنيث بالألف المقصورة ، من اشتمال قبول الوزن الانقســـام على قسمين مُستَويين ، على معنى من التأنيث ليس في رفضه !

ثم لقد اتضحت وحدة منهج الشاعر في أصناف ما آثره على غيره من أوزان التأنيث بالألفين المقصورة والممدودة ؛ فقوي في إنصاف المتأمل مـــا قدمتُه من علاقة بينهما غير منكورة !

تَعليقاتٌ على النَّصِّ الأول :

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق - يا بني - ولطافتـــه ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغـــا ؛

حتى إذا حَزَبَه الْأَمرُ وجَدَّ به الجدُّ ، فقال نصه الأول ، وعثــرت فيــه مــن المؤنث على الستة والعشرين اسما التالية بترتيب ورودها :

" الأحداث ، الْكَأس ، مَفْجوعَة ، قَتيلَة ، خيفَــة ، حَيــاة ، الليــالي ، تَرْحَة ، أغْربة ، عُصَم ، جُفون ، النَّوى ، الصُّغْرى ، الْعُظْمــى ، الحُمَــى ، الدُّنيا ، بِنت ، أُمّ ، عَجاجَة ، مَكْرُمَة ، بَلْدَة ، تَحيّة ، نفوس ، دُنْيا ، ســاعَة ، مُهْجَة " .

أقبلتَ تَستَنطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصْمِتُ نَواطِقَه ، وتستعين بما تعــرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَها في علــم الصَّــرْف ، فاستبنت أنها تنقسم على ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى (الأسماء المؤنَّثة بلا علامات) :

وهي هذه التسعة : " الأحداث ، الْكَأس ، الليالي ، عُصَم ، جُفــون ، النَّوى ، بِنْت ، أُمّ ، نفوس " .

لا ريب في تعارف الناس على تأنيث أكثر هذه الطائفة ، ولكن ينبغي ألا نَضْطَرَّ الشاعر إلى ذلك ، حتى يكون هو الذي يقبله ويَعْتَمِد عليه ؛ فربما خالف الناس لحاجة في نفسه ، بل ربما أعجبهم أسلوبه فتابعوه عليه !

مِنْ ثَمّ ينبغي أولا الانتباه من هذه الطائفة إلى أدلة تأنيث الشاعر لها ، على النحو المجدول التالي :

م	الاسم المؤنث	وزنه	دليل تأنيثه			
			العائد	المطابَق	المطابِق	الفعل
١	الأحداث	الأفْعال	بطشها	×	×	×

٢	الكَأس	الفَعْل	x	x	التي	x
٣	الليالي	الفَعالي	صنعت	x	x	x
٤	عصم	فُعَل	x	أغربة	x	x
٥	جفون	فُعول	x	x	x	جفّت
٦	النوى	الفَعَل	x	x	التي	x
٧	بنت	فِعْل	x	تكوني	x	x
٨	أم	فُعْل	x	كونكِ	x	x
٩	نفوس	فُعول	بها	x	x	x

إن التّعويل في ضبط مسألة التّأنيث إنما هو على الاسم المفرد وحده ؛ ومن ثمّ ينبغي ثانيا الانتباه من هذه الطائفة ، إلى طُروء التّأنيث على خمسة الأسماء (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩) ، بطروء جمعها ، من غير أن يلزم كون مفرد كلّ منها مؤنثا ؛ فإن الشاعر ينظر في الجمع إذا ترابطت أفراده ، إلى معنى كتلة الجماعة المتداخلة ؛ حتى لقد قال مرةً مُغيرًا على مصطلحات علماء العربية :

قُلْتُ لَمّا تَجمّعوا وَبِقَتْلي تَحدّثوا

لا أبالي بِجَمْعِهِمْ كُلُّ جَمْعٍ مُؤنّث !

وكلمة " جماعة " نفسها المؤنثة في صياغتها بالتاء ، تعامل معاملة المؤنث ، ولا يمتنع أن تكون من المصادر المضافة إليها التاء لإتمام الصياغة ، لإيراد العلماء لها بمعنى " جَمْع " ، مَصْدَرِ " جَمَعَ يَجْمَعُ اجْمَعْ " .

الطائفة الثانية (الأسماء المؤنثة بالتاء) :

وهي هذه الاثنا عشر : " مَفْجوعَة ، قَتيلَة ، خيفَة ، حَيـاة ، تَرْحَــة ، أُغْرِبَة ، عَجاجَة ، مَكْرُمَة ، بَلَدَة ، تحية ، ساعَة ، مُهْجَة " .

وعلى رغم اتفاق هذه الطائفة في معاملتها معاملة المؤنث رعاية لمكان تاء التأنيث ، تختلف فيما عَمَلَتهُ بكل منها على النحو الآتي مجدولا :

تمييز صفة المؤنث	تأمين التباس صفة المؤنث	تمييز صياغة المصدر	المبالغة في معنى المصدر	حفظ صياغة المصدر في الاسم	تمييز صياغة الجمع	تعويض المصدر عن مده	تمييز المفرد من جنسه
مفْجوعَة مفْعولَة	قَتيلَة فَعيلَة	خيفَة فعْلَة	مكْرُمَة مَفْعُلَة	بَلَدَة فَعَلَة	أغْرِبَة أفْعِلَة	تحية تَفْعلَة	عَجاجَة فَعالَة
		حَياة فَعَلَة		مُهْجَة فُعْلَة			ساعَة فَعلَة
		تَرْحَة فَعْلَة					

الطائفة الثالثة (الأسماء المؤنثة بالألف المقصورة) :

وهي هذه الخمسة : " الصُّغْرى ، الْعُظْمى ، الحُمّى ، الدُّنْيا ، دُنْيا " .

وعلى رغم اتفاق أسماء هذه الطائفة في وزن واحد من أوزان المؤنث بالألف المقصورة ، سبق عده في أكثـر الأوزان " الكثيـرة الاسـتعمال " ، استعمالا - تختلف فيما كانت له على النحو المجدول الآتي :

م	الوزن	صفة	اسم معنى	اسم عين
١١	فُعلى	الصُّغرى ، الْعُظمى	الحُمّى	الدُّنيا ، ثُنيا

لقد ينبغي أن ينتبه المتلقي إلى ميل شاعرنا في التأنيـث إلـى ذوات العلامات ولا سيما التاء ؛ فاقتصار العمل فيها على إضافة التاء منونة مـرة (مقطعا طويلا) ، وغير منونة مرة (مقطعا قصيرا) - أسهل فـي إبـان فَوْرَة تَعْبيره عما في نفسه ، من اصطناع صيغ كاملة يحتاج إلى تَحَرّيها .

ثم ينبغي أن ينتبه المتلقي إلى إعراض شاعرنا في التأنيث بالعلامـات عن الألف الممدودة ؛ وكأنما استغني بالمقصورة عنها ، ولا سيما أنها طابقت دائما سببي مفاعيلن الخفيفين : (فُعلى = دن دن = ... عيلن) !

أما زيادة الأسماء المؤنثـة بـلا علامـات علـى المؤنثـة بـالألف المقصورة ، فمن إطلاقها بلا حدود إلا ما يصطنعه العرف الذي يقبله الشاعر ويعتمد عليه ، أو ما يستحدثه في إبان فَوْرَة تَعْبيره عما في نفسه ، ولا ريب في أن هذا المؤنث العديم العلامة ، أصلح لاحتمال خطرات خيالات الشاعر ؛ فإنه يَتَنَسَّمُ فيه طبائع الإناث وأخلاقهن مرة ؛ فيؤنِّثه ، ويَتَنَسَّـمُ فيـه طبـائع الذكور وأخلاقهم مرة ؛ فيذكره ، وإن من البيان لسحرا !

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالنص الأول ؛ فهلا عملت لـي أنا بالتمرين الأول ، مثلما عملت لك !

بَحْرُ الْبَسيط

ثم اعلم – يا بُنَيّ – أن شاعرنا يَملّ كذلك تَوقيعَة " دَنْ دَنْ دَدَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة ، في تفعيلة " مُسْـتَفْعِلُنْ " ، ذات السببين الخفيفين (مس ، تف) فالوتد المجموع (علن) ، في صـيغة " مُستَفْعِلّ " ، في كلمة " مُستَقبِلّ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصـور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب – وبحرَ الرجز المستخرج بتكرارهـا هكذا ، مثلا من الهزل:

دن دن ددن دن دن ددن دن دن ددن دن دن ددن دن دن ددن دن دن ددن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن
مُستَقبِلّ مُستَقبِلّ مُستَقبِلّ مُستَقبِل مُستَقبِلّ مُستَقبِل

كما يمل تَوقيعَة " دَنْ دَدَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّـكْتة ، في تفعيلة " فاعِلُنْ " ذات السبب الخفيف (فا) فالوتد المجموع (علن) ، في صيغة " فاعِلّ " ، في كلمة " قابِلّ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصـور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب – وبحرَ المتدارك المستخرج بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن دن ددن
فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
قابلّ قابلّ قابلّ قابل قابلّ قابلّ قابلّ قابل

فيدخل كذلك التوقيعة الثانية على التوقيعة الأولى ، ويسـتخرج بحـر البسيط بتكرارهما هكذا ، مثلا من الهزل :

دن دن ددن دن ددن دن دن ددن دن ددن دن دن ددن دن ددن دن دن ددن دن ددن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن
مُستَقبِلّ قابلّ مُستَقبِلّ قابل مُستَقبِلّ قابلّ مُستَقبِلّ قابل

حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة الثانية :

" بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن أريـد مـن زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن لا تلـق دهـرك إلا غيـر مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن فما يدوم سرور ما سررت بـه ولا يرد عليك الفائت الحزن مما أضر بأهل العشق أنهم هووا وما عرفوا الـدنيا وما فطنوا تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم في إثر كل قبيح وجهه حسـن تحملـوا حملتكم كل ناجية فكل بين علي اليوم مؤتمن ما في هـوادجكم مـن مهجتـي عوض إن مت شوقا ولا فيها لها ثمن يا من نعيت على بعد بمجلسه كل بمـا زعم الناعون مرتهن كم قد قتلت وكم قد مت عندكم ثم انتفضت فزال القبـر والكفن قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة ثم ماتوا قبل من دفنوا ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السـفن رأيـتكم لا يصـون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللبن جزاء كل قريب منكم ملل وحـظ كل محب منكم ضغن وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبـه التنغـيص والمنن فغادر الهجر ما بيني وبينكم يهماء تكذب فيهـا العـين والأذن تحبـو الرواسم من بعد الرسيم بها وتسأل الأرض عن أخفافها الثفن إني أصـاحب حلمي وهو بي كرم ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن ولا أقيم على مال أذل به ولا ألذ بما عرضي به درن سهرت بعد رحيلي وحشة لكـم ثـم اسـتمر مريري وارعوى الوسن وإن بليت بود مثل ودكم فإنني بفراق مثله قمن أبلى الأجلة مهري عند غيركم وبدل العذر بالفسطاط والرسن عنـد الهمـام أبـي

المسك الذي غرقت في جوده مضر الحمراء واليمن وإن تأخر عني بعض موعده فما تأخر آمالي ولا تهن هو الوفي ولكني ذكرت له مودة فهو يبلوها ويمتحن " .

فأقبلت تَستَنطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصمِتُ نَواطقَه ؛ فتستعين بما تعرف من اللغة على ما تجهل من العروض ؛ حتى تُخَرِّجَ قصيدته في علم العروض ، على النحو الآتي :

بِمَ التَّعَلْ	لُلْ لا	أمَلٌ وَلا	وَطَن	وَلا نَدي	مُ وَلا	كَأسٌ وَلا	سَكَن
تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
أريدُ مِنْ	زَمَني	ذا أنْ يُبَلْ	لِغَني	ما لَيْسَ يَبْ	لُغُه	مِنْ نَفْسِهِ الزْ	زَمَن
تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
لا تَلْقَ دَهْ	رَكَ إلْ	لا غَيْرَ مُكْ	تَرِثٍ	مادامَ يَصْ	حَبُ في	هِ روحَكَ الْ	بَدَن
تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
فَما يَدو	مُ سُرو	رُ ما سُرِرْ	تَ بِهِ	وَلا يَرُدْ	دُ عَلَيْ	كَ الْفائِتَ الْ	حَزَن
تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
مِمّا أضَرْ	رَ بِأهْ	لِ الْعِشْقِ أنْ	نَهُم	هَوُوا وَما	عَرَفوا الدْ	دُنْيا وما	فَطِنوا
تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تتن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
تَفْنى عُيو	نُهُم	دَمْعًا وَأنْ	فُسُهُمْ	في إثْرِ كُلْ	لِ قَبي	حِ وَجْهُه	حَسَن

ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
تَحَمَّلوا	حَمَلَتْ	كُمْ كُلُّ نا	جِيَةٍ	فَكُلُّ بَنِيْ	نِ عَلَيْ	يَ ألْيَومَ مَوْ	تَمَن
نن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
ما في هَوا	بِحِكُمْ	مِنْ مُهْجَتي	عِوَضٌ	إنْ مُتُّ شَوْ	قَا وَلا	فيها لَها	ثَمَن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
يا مَنْ نُعي	تُ على	بُعْدِ بِمَجْ	لِسِهِ	كُلٌّ بِما	زَعَمَ ألنْ	ناعونَ مَرْ	تَهَن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
كَمْ قَدْ قُتِلْ	تُ وكَمْ	قَدْ مُتُّ عنْ	نُكُم	ثُمَّ لِتَنْقَضْ	تُ فَزا	لَ ألْقَبرُ وَلْ	كَفَن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
قَدْ كانَ شا	هد نفُ	ني قَبْلَ قَوْ	لِهِمِ	جَماعَةً	ثُمَّ ما	توا قَبْلَ مَنْ	تَفَنوا
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
ما كُلُّ ما	بتَمَنْ	نى ألْمَرْءُ يُدْ	رِكُه	تَجْري ألرِّيا	حُ بِما	لا تَشْتَهي لِسَنْ	سُفُن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
رَأَيْتُكُمْ	لا يصو	نَ ألْعِرضَ جا	رُكُم	وَلا يَدِرْ	رُ على	مَرْعاكُمُ لْ	لَبَن
نن نن	ن نن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن

مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
جَزاءُ كُلْ	لِ قِرِي	بِ مِنْكُم	مَلّ	وَحَظُّ كُلْ	لِ مُحِبْ	بِ مِنْكُم	ضَنَن
نن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
وَتَغْضَبو	نَ عَلى	مَنْ نالَ رِفْ	تكُم	حَتّى يُعا	قِبَهُ التْ	تَنْغيصُ وَالْ	مِنَن
نن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
فَغادَرَ الْ	هَجْرُ ما	بَيْنِي وَبَيْ	نَكُم	يَهْماءَ تَكْ	نِبُ في	ها لْعَيْنَ وَالْ	أُذُن
نن نن	ن نن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
تَحْبو الرُّوا	سِمِ مِنْ	بَعْدِ الرَّسي	مِ بِها	وَتَسْأَلُ الْ	أَرْضَ عَنْ	أَخْفافِها الثْ	ثَفِن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ن نن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة
إِنّي أُصا	حِبُ حِلْ	مي وَهْوَ بي	كَرَمٌ	وَلا أُصا	حِبُ حِلْ	مي وَهْوَ بي	جُبُن
ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
وَلا أُقي	مُ عَلى	مالٍ أُذَلْ	لُ بِهِ	وَلا أَلَذْ	ذُ بِما	عِرْضي بِهِ	دَرِن
نن نن	ننن	ن ن نن	ننن	نن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
سَهِرْتُ بَعْ	دَ رَحي	لي وَحْشَةً	لَكُم	ثُمَّ اسْتَمَرْ	رَ مَري	ري وَارْعَوى الْ	وَسَن
نن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن	ن ن نن	ننن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
وَإِنْ بُلي	تُ بِوُدْ	دِ مِثْلِ وُدْ	دِكُم	فَإِنَّني	بِفِرا	قِ مِثْلِهِ	قَمِن

ددن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	ددن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
لَيْلى لْلَأَجَلْ	لَةَ مُهْ	ري عِنْدَ غَيْ	رِكُم	وَتَبْكِ لْ	عُذْرُ بالْ	فُسْطاطِ وَللرْ	رَسَن
دن دن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	ددن ددن	دن ددن	دن دن ددن	ددن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة
عِنْدَ لْلَهُما	م لَبي لْ	مِنْكَ لْلَذي	غَرِقَتْ	في جَوْبِهِ	مُضَرُ لْ	حَمْراءِ وَلْ	يَمَن
دن دن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة
وَإِنْ تَأَخْ	خَرَ عَنْ	ني بَعْضُ مَوْ	عِدِهِ	فَما تَأَخْ	خَرَ أَ	مالي وَلا	تَهِن
ددن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	ددن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
هُوَ لْلَوَفي	يُ وَلْ	كِنّي نَكِرْ	تُ لَهُ	مَوَدَّةً	فَهُوَ يَبْ	لوها وَيَمْ	تَحِن
ددن ددن	ددن	دن دن ددن	ددن	ددن ددن	دن ددن	دن دن ددن	ددن
متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن
مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة

فاستبنتَ أنها بَسيطيّةِ الأبياتِ الوافيَةِ المخبونةِ الأعاريضِ والأضربِ (التي ألف تفعيلتي " فاعلن " الرابعة والثامنة ، محذوفة من كل بيت منها) - نونيةِ القوافي المضمومةِ المُجَرَّدةِ المَوْصولةِ بالواو .

وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ؛ حتى تُخَرِّجَ نَصَّه في علم اللغة ، على النحو التالي :

١ بِمَ التَّعَلُّلُ لا أَهْلٌ وَلا وَطَنٌ   وَلا نَديمٌ وَلا كَأْسٌ وَلا سَكَنُ

٢ أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أَنْ يُبَلِّغَني   ما لَيْسَ يَبْلُغُه مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ

٣ لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلّا غيرَ مُكْترِثٍ مادامَ يَصْحَبُ فيه روحَكَ الْبَدَن

٤ فَما يَدومُ سُرورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ وَلا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفائِتَ الْحَزَن

٥ مِمّا أضَرَّ بِأهْلِ الْعِشْقِ أنَّهُم هَووا وَما عَرَفوا الدُّنيا وَما فَطِنوا

٦ تَفْنى عُيونُهُم دَمْعًا وَأنْفُسُهُمْ في إثْرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجْهُه حَسَن

٧ تَحَمَّلوا حَمَلَتْكُمْ كُلُّ ناجيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيومَ مُؤْتَمَن

٨ ما في هَوادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتي عِوَضٌ إنْ مُتُّ شَوْقًا وَلا فيها لَها ثَمَن

٩ يا مَنْ نُعيتُ عَلى بُعْدٍ بِمَجْلِسِه كُلٌّ بِما زَعَمَ النّاعونَ مُرْتَهَن

١٠ كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُم ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزالَ الْقَبرُ وَالْكَفَن

١١ قَدْ كانَ شاهَدَ دَفْني قَبْلَ قَوْلِهِم جَماعَةٌ ثُمَّ ماتوا قَبْلَ مَنْ دَفَنوا

١٢ ما كُلُّ ما يَتَمَنّى الْمَرْءُ يُدْرِكُه تَجْري الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي السُّفُن

١٣ رَأيْتُكُمْ لا يَصونُ الْعِرضَ جارُكُم وَلا يَدِرُّ عَلى مَرْعاكُمُ اللَّبَن

١٤ جَزاءُ كُلِّ قَريبٍ مِنْكُم مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُم ضَغَن

١٥ وَتَغْضَبونَ عَلى مَنْ نالَ رِفْدَكُم حَتّى يُعاقِبَهُ التَّنْغيصُ وَالْمِنَن

١٦ فَغادَرَ الْهَجْرُ ما بَيْني وَبَيْنَكُم يَهْماءَ تَكْذِبُ فيها الْعَيْنُ وَالْأُذُن

١٧ تَحْبو الرَّواسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسيمِ بِها وَتَسْألُ الْأرْضَ عَنْ أخْفافِها الثَّفِن

١٨ إنّي أُصاحِبُ حِلْمي وَهْوَ بي كَرَمٌ وَلا أُصاحِبُ حِلْمي وَهْوَ بي جُبُن

١٩ وَلا أُقيمُ عَلى مالٍ أُذَلُّ بِه وَلا ألَذُّ بِما عِرْضي بِه دَرِن

٢٠ سَهِرْتُ بَعْدَ رَحيلي وَحْشَةً لَكُم ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَريري وَارْعَوى الْوَسَن

٢١ وَإنْ بُليتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُم فَإنَّني بِفِراقٍ مِثْلِه قَمِن

٢٢ أبْلى الْأجِلَّةَ مُهْري عِنْدَ غَيْرِكُم وَبُدِّلَ الْعُذْرُ بِالْفُسْطاطِ وَالرَّسَن

٢٣ عِنْدَ الْهُمامِ أبي الْمِسكِ الّذي غَرِقَتْ في جودِهِ مُضَرُ الْحَمْراءِ وَالْيَمَن

٢٤ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَما تَأَخَّرُ آمالي وَلا تَهِنِ

٢٥ هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلوها وَيَمْتَحِنِ " .

فاستبنت أنه غُصّةُ مُغْتابٍ عِنْدَ صَفيِّه ، مُتَحَرِّقٌ كَمَدًا على عجزه عن الدفع عن نفسه ، وعلى افتقاده من يدفع عنه ، فهو يطّرح العلائق ، بل يدعو إلى اطراحها ، والتداوي من آثارها بكل دواء مهما كان .

ذاك عمل عملته لك أنت – يا بني – بالقصيدة الثانية ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الثاني ، مثلما عملت لك !

التمرين الثاني :

" واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم ما لي أكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأمم إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما في الأحسن الشيم فوت العدو الذي يممته ظفر في طيه أسف في طيه نعم قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا تصنع البهم ألزمت نفسك شيئا ليس يلزمها أن لا يواريهم أرض ولا علم أكلما رمت جيشا فانثنى هربا تصرفت بك في آثاره الهمم عليك هزمهم في كل معترك وما عليك بهم عار إذا انهزموا أما ترى ظفرا حلوا سوى ظفر تصافحت فيه بيض الهند واللمم يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبــي وأســمعت
كلماتي من به صمم أنام ملء جفوني عن شواردها ويســهر الخلــق جراهــا
ويختصم وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفــم إذا نظــرت
نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث مبتسم ومهجة مهجتي من هم صــاحبها
أدركتها بجواد ظهره حرم رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله ما تريد
الكف والقدم ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت ومــوج المــوت
يلتطم فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والــرمح والقرطــاس والقلــم
صحبت في الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب مني القور والأكم يا من يعز
علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لــو
أن أمركم من أمرنا أمم إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضــاكم
ألم وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إن المعارف في أهل النهى ذمم كم تطلبون لنا
عيبا فيعجزكم ويكره اللــه ما تأتون والكرم ما أبعد العيب والنقصــان عــن
شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن
إلى من عنده الديم أرى النوى تقتضيني كل مرحلة لا تســتقل بهــا الوخــادة
الرسم لئن تركن ضميرا عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم إذا ترحلت عــن
قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هم شر البلاد مكان لا صديق به وشر
ما يكسب الإنسان ما يصم وشر ما قنصته راحتي قنص شهب البزاة سواء فيه
والرخم بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم هذا عتابك
إلا أنه مقة قد ضمن الدر إلا أنه كلم " .

الْقَصْرُ وَالْمَدُّ

ثم اعلم – يا بني – أن القصر والمد في هذه المسألة غيرهما في تلك ؛ فلقد كانا هناك زيادة ألف مقصورة : " أسْمى = فَعْلى " ، أو ألف ممدودة : " أسْماء = فَعْلاء " ، على الاسم من آخره : " أسْم = ا ، اء (هذه الهوزة منقلبة عن ألف) " – علامة على تأنيثه ؛ فالمقصور هنا وصف لبنية الكلمة حين تكون لامها في النطق ألفًا :" هَوى = فَعَل " ، والممدود هنا وصف لبنية الكلمة حين تكون لامها في النطق ألفًا منقلبة همزة بعد ألف زائدة : " هَواءْ = فَعالْ " ؛ فمن ثم لا يكون من الممدود ما همزة آخره وألف ما قبله ، منقلبتين عن أصلين : " ماء (مَوَه) ، شاء (شَوَه) ، بل هذان الاسمان من الصحيح الآخر ، لا الممدود .

وكما ادعيت في المسألة السابقة أن بين المؤنث بالألف المقصورة والمؤنث بالألف الممدودة ، علاقة من التطور وثيقة تؤكدها بداهة الانتقال من أحدهما إلى الآخر – أدعي في هذه المسألة أن بين المقصور والممدود مثل تلك العلاقة تماما ، ولا سيما أنْ قد جاءت في موادّ من اللغة كثيرة ، الكلمة المقصورة وأختها الممدودة ، كما في " فَتى " ، و" فَتاء " ، و" فِدى " ، و" فِداء " ... ؛ حتى وضعت فيما بينهما مِنْ قديمِ الكتبُ ؛ فكان مِن العلماء مَن يسوّي بينهما ومن يفرّق .

وعلى رغم انتفاعنا بتفريق المفرقين في باب عبقرية اللغة التي تنفرد كل كلمة منها بدقيقة من التعبير ، ننتفع بتسوية المسوّين في باب تطور اللغة الحية التي تلين لمقتضيات الأحوال !

تَعليقات على المَقصور :

لم يخرج الشاعر في أوزان ما قَصَره من صيَغِ الكَلِمِ المعتلة الآخر ، عما جرى عليه في صيَغِ الكَلِمِ الصحيحة الآخر ، من حيث ما اطَّرَدَ له فاتُّبِعَ فيه ، وما شَذَّ منه فحُكِي وحده عنه ، على النحو الآتي :

مُطَّرِدِ المقصور (كل ما له نظير من الصحيح يجب فتح ما قبل آخره) ، على النحو المُجَدْوَلِ بَعْضُه فيما يأتي :

الوزن	فَعَل	فُعَل	فِعَل	صيغ اسم المفعول من الزائد على ثلاثة
وظيفته	مصدر فَعِل يَفْعَل اللازم	جمع فُعْلة	جمع فِعْلة	اسم المفعول
مثاله الصحيح	فَرَح	حُجَج	حِصَص	مُحْضَر ، ومُحْتَضَر ، ...
مثاله المقصور	جَوى	مُدى	لِحى	مُصتقى ، مُصْطَفى ، ...

شاذُّ المقصور (كل ما لم يكن له نظير من الصحيح يجب فتح ما قبل آخره) ، على النحو المُجَدْوَلِ بَعْضُه فما يأتي :

الوزن	فَعَل	فُعَل	فِعَل
الوظيفة	مصدر فَعَل يَفْعُل اللازم	جمع فِعْلة	مصدر فَعِل يَفْعَل المتعدي
مثاله المقصور	سَنا	لُحى	رِضا

فمن فتش في صحيح كلم الشاعر ، عن " مصدر فَعَل يَفْعُل اللازم " ، و" جمع فِعْلة " ، و" مصدر فَعِل يَفْعَل المتعدي " - لم يجدها دائما على مثل أوزان الأمثلة المقصورة المجدولة ، بل لم يكد يعثر لفِعْلة على جمعٍ على فُعَل ، وعثر للآخرين مُرَتَّبَيْنِ ، على وزنين آخرين : " خُروج = فُعول " ، و" كَرْه " !

تَعليقاتٌ عَلى الْمَمْدودِ :

ولم يخرج الشاعر في أوزان ما مده ، عما جرى عليه في الصحيحة الآخر ، من حيث ما اطَّرَدَ له فاتُّبِعَ فيه ، وما شَذَّ منه فحُكِيِ وحده عنه ، على النحو الآتي :

مُطَّرِدُ الْمَمْدودِ (كل ما له نظير من الصحيح قبل آخر ألف زائدة) ، على النحو المجدول بعضه فيما يأتي :

الوزن	المزيد الهمزة في أوله من صيغ المصادر	فُعال	فِـعال
وظيفته	المصدر	مصدر فَعَل لصوت أو داء	مُفْرَدُ أَفْعِلَة
مثاله الصحيح	إضْراب ، اضْطِراب ، ...	هُتاف ، صُداع ، ...	سلاح
مثاله الممدود	إنْماء ، انْتِماء ، ...	رُغاء ، مُشاء ، ...	كساء

شاذُّ الْمَمْدودِ (كل ما لم يكن له نظير من الصحيح قبل آخر ألف زائدة) ، على النحو المَجْدولِ بَعْضُه فما يأتي :

الوزن	فَعال		فُعال	فِعال	
الوظيفة	مصدر فَعَل يفْعُل اللازم	مصدر فَعُل يَفْعُل اللازم	مصدر فَعَل لغير صوت وداء	مصدر فَعَل يَفْعِل المتعدي	مفرد فُعول
مثاله المقصور	سَناء	سَناء	دُعاء	شِفاء	لِحاء

فمن فتش في صحيح كلم الشاعر ، عن مصدري " فَعَل يفْعُل " و" فَعُل يفْعُل" اللازمين ، ومصدر " فَعَل " لغير الصوت والداء ، ومصدر " فَعِل يَفْعِل " المتعدي ، ومفرد " فُعول" مثلا – لم يجدها دائما على مثل أوزان الأمثلة الممدودة المجدولة ، بل عثر لها مُرَتَّبَة على : " عِثار " ، و" فَصاحة " ، و" صَبْر " ، و" قَفْز " ، و" سَيْف " مثلا .

تعليقات على النص الثاني :

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق – يا بني – ولطافته ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغا ؛ حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، فقال نصه الثاني ، وعثرت فيه من المقصور والممدود على هذين الاسمين :

" مَرْعى ، جَزاء " .

أقبلتَ تَسْتَنْطِقُ صَوامِتَه ، وتَسْتَصْمِتُ نَواطِقَه ، وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَهما في علم الصَّرْف ، فاستبنت أنهما نوعان لا نوع واحد :

١ مقصور : " مَرْعى " .

٢ وممدود : " جَزاء " .

ثم استبنت أن الاسم الأول من مطرد المقصور ؛ فهو على " مَفْعَل " ، بين أن يكون مصدرا ميميا بمعنى رعي شديد (كأنما أراد شاعرنا : سائلكم مقهور ، وإن ألحّ وألحف) ، وأن يكون اسم مكان بمعنى مكان الرعي (كأنما أراد شاعرنا : بلدكم قحط ، وإن أخصبت البلاد) .

وكلا المصدر الميمي واسم المكان مقيسان بـ" مَفْعَل " فيما أفعاله من باب الفتح ، على النحو المجدول الآتي :

الوزن	فَعْل	فَعَل	يَفْعَل	مَفْعَل
وظيفته	المصدر	الماضي	المضارع	المصدر أو اسم المكان
مثاله الصحيح	فَتْح	فَتَح	يَفْتَح	مَفْتَح
مثاله المقصور	رَعْي	رَعَى	يَرْعَى	مَرْعَى

ثم استبنت أن الاسم الآخر من شاذ الممدود ؛ فهو مصدر على " فعال " ، غير مقيس فيما أفعاله متعدية من باب الضَّرْب :

الوزن	فَعال	فَعَل	يَفْعِل
وظيفته	المصدر	الماضي	المضارع
مثاله الممدود	جَزاء	جَزى	يَجْزي

فمن مصادرها من الصحيح : " فَعْل = ضَرْب ، خَلْط " ؛ فلم تَطَّرِدْ ؛ حتى يطرد الممدود !

وفضلا عما في مثل المقصور والممدود من مطل صوت نُواحيٍّ لا يلائم كثيرا جبروت شاعرنا في النص الثاني - يتجلى في مَدّيْهِما ثِقَلٌ لا يلائم

حركته السريعة فيه ، التي توحي بانتقاله سريعا عما لا يلائمه ومن لا يلائمه .

ثم لا أحب أن أدع الكلمتين حتى أنبه على ما بينهما من تلاق في سخرية شاعرنا ؛ فإن سوء الجزاء في رأيه إنما يكون عن المرعى عَمًّا كان أو مكانا ؛ فمن انتجعهم (رغب فيهم) لم يَحُلَ منهم بطائل ، ولم يظفرْ بنائل !

ثمت لا أحب أن أُخْلِيَ المصطلحين على الكلمتين من فائدة - وقديما كانت في هذه الطائفة من الشعراء الإغارةُ على مصطلحات علماء العربية كما سبق - فإن القَصْر حبس وتقييد ، والمقصور محبوس مقيد ، وإن مرعاهم المَرْجوّ لكذلك ! وإن المد إطلاق وإطالة ، والممدود مطلق مُطال غير محبوس ولا مقيد ، وإن جزاءهم السيئ لكذلك !

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالنص الثاني ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الثاني ، مثلما عملت لك !

بَحْرُ الْمَدِيد

ثم اعلم – يا بُنَيَّ – أن شاعرنا يَملُّ كذلك تَوقيعَةَ " دَنْ دَدَنْ دَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة ، في تفعيلة " فاعِلاتُنْ " ذات السبب الخفيف (فا) فالوتد المجموع (علا) فالسبب الخفيف (تن) ، في صيغة " فاعِلاتّ " في كلمة " قابِلاتّ " مثلا الاسم الجمع غير المقصور ولا الممدود – وبحرَ الرمل المستخرج بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

دن ددن دن	دن ددن دن	دن ددن دن	دن ددن دن	دن ددن دن	دن ددن دن
فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن
قابلاتّ	قابلاتّ	قابلات	قابلاتّ	قابلاتّ	قابلات

فيدخل عليها توقيعة " دَنْ دَدَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة ، في تفعيلة " فاعِلُنْ " ذات السبب الخفيف (فا) فالوتد المجموع (علن) ، في صيغة " فاعِلّ " ، في كلمة " قابِلّ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب ، التي ملها من قبل ومل بحرها المتدارك المستخرج بتكرارها – ويستخرج بحر المديد بتكرارهما هكذا ، مثلا من الهزل :

دن ددن دن	دن ددن	دن ددن دن	دن ددن	دن ددن دن	دن ددن	دن ددن دن	دن ددن
فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن	فاعلن
قابلاتّ	قابلّ	قابلاتّ	قابل	قابلاتّ	قابلّ	قابلاتّ	قابل

حتى إذا حَزَبَه الأمرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة الثالثة :

" المشيدات التي رفعت أربع من أهلها درس قام للأيام في أنني واعظ من شأنه الخرس أخلقت جسم الفتى جدد ذات خلق لينه شرس فشتاء بعده ومد

ومصيف إثره قرس لبت حول الماء من ظما إن غربي ما له مرس كم أبــن الغاب من أسد أي ليث ليس يفترس مهجتي ضد يحاربني أنــا منــي كيــف أحترس إنما دنياك غانية لم يهنئ زوجها العرس أم شبل فوقها لبد ظفرها من قتلنا ورس فالقها بالزهد مدرعا في يديك السيف والترس إن دنا من فــارس أجل حار لا يجري به الفرس كل من حانت منيته لم يدافع دونه حرس لــيس يبقى فرع نابتة أصلها في الموت مغترس خبرتني كل ناطقة ذاك حتى الزير والجرس " .

فأقبلت تَستَنطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصنِتُ نَواطِقَه ؛ فتستعين بما تعرف من اللغة على ما تجهل من العروض ؛ حتى تُخَرِّجَ قصيدته في علم العروض ، على النحو التالي :

المَشيدا	تُ الّتي	رَفعتْ	ارْتبَعْ مِنْ	أمَلـها	دُرَس
دن ددن دن	دن ددن	ددن	دن ددن دن	دن ددن	ددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
قامَ للأيْ	يام في	أُنُني	واعظٌ مِنْ	شأنه لْ	خَرَس
دن ددن دن	دن ددن	ددن	دن ددن دن	دن ددن	ددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
لَخلَقتْ جِنْ	مَ الفتى	جُنُدٌ	ذاتُ خُلُقٍ	لينَه	شَرَس
دن ددن دن	دن ددن	ددن	دن ددن دن	دن ددن	ددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
فَشتاءٌ	بَعْدَه	وَمَدّ	وَمَصيفٌ	إثرَه	قَرَس
ددن دن	دن ددن	ددن	ددن دن	دن ددن	ددن
فعلاتن	فاعلن	فعلا	فعلاتن	فاعلن	فعلا

مخبونة	سالمة	مخبونة محذوفة	مخبونة	سالمة	مخبونة محذوفة
لُبْتُ حَوْلَ الْ	ماءِ مِنْ	ظَمَاٍ	اِنَّ غرْبي	ما لَه	مَرَس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
كَمْ أَبَنْ الْ	غابَ مِنْ	أَسَدِ	أيُّ لَيْثٍ	لَيْسَ يُفْ	تَرِس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
مُهْجَتي ضِدْ	دُ يَحا	رِبَتي	أنا مِنِّي	كَيْفَ أَحْ	تَرِس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	مخبونة	سالمة	مخبونة محذوفة
إنَّما نَنْ	ياكَ غا	نِيَةٌ	لَمْ يُهَنِّي	زَوْجَها الْ	عُرُس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
لَمْ تُبَلْ	فوقها	لِبَدٌ	ظَفْرُها مِنْ	قَتْلنا	وَرِس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
فالْقَها بِالزْ	زُهْدِ مُدْ	دَرِعًا	في يَدَيْكَ السْ	سَيْفُ وَالتْ	تُرُس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
إنَّ لَنا مِنْ	فارسٍ	أَجَلٌ	حارَ لا يَجْ	ري بِهِ الْ	فَرَس
دن ددن دن	دن ددن	دددن	دن ددن دن	دن ددن	دددن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
كُلُّ مَنْ حا	نَتْ مَنِي	يَتُه	لَمْ يُدافِعْ	دونَه	حَرَس

/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن	/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
لَيسَ يَبقى	فَرْعُ نا	بِتَهِ	لصتُها في لْ	مَوْتِ مُغْ	تَرَس
/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن	/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة
خَبَّرَتْني	كُلُّ نا	طَقَةِ	ذاكَ حَتّى للزْ	زيرُ وَلْ	جَرَس
/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن	/ن//ن/ن	/ن//ن	///ن
فاعلاتن	فاعلن	فعلا	فاعلاتن	فاعلن	فعلا
سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة	سالمة	سالمة	مخبونة محذوفة

فاستبنتَ أنها مَديديَّةُ الأبياتِ المَجْزوءَةِ (التي تفعيلتاها الرابعة والثامنة ، محذوفتان) المخبونةِ الأعاريضِ والأضربِ (التي ألف تفعيلتي " فاعلاتن " الثالثة والسادسة ، محذوفة من كل بيت منها) المحذوفتِها (التي تاء التفعيلتين أنفسهما ونونهما ، محذوفتان من كل بيت منها) – سينية القوافي المضمومةِ المُجَرَّدةِ المَوْصولةِ بالواو .

وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ؛ حتى تُخَرِّجَ نَصَّه في علم اللغة ، على النحو التالي :

١ " المَشيداتُ الّتي رُفِعَتْ أَرْبَعٌ مِنْ أَهْلِها دُرُس
٢ قامَ لِلْأَيّامِ في أُذُني واعِظٌ مِنْ شأنِه الْخَرَس
٣ أَخْلَقَتْ جِسْمَ الْفَتى جُدُدٌ ذاتُ خُلْقٍ لِينُه شَرَس
٤ فَشِتاءٌ بَعْدَه وَمَدٌّ وَمَصيفٌ إثْرَه قَرَس
٥ لُبْتُ حَوْلَ الْماءِ مِنْ ظَمَإٍ إنَّ غَرْبي ما لَه مَرَس
٦ كَمْ أَبَنَّ الْغابَ مِنْ أَسَدٍ أَيُّ لَيْثٍ لَيْسَ يُفْتَرَس

٧ مُهْجَتي ضِدٌّ يُحارِبُني أنا منِّي كَيفَ أحتَرِس

٨ إنَّما دُنياكَ غانِيَةٌ لَمْ يُهَنِّئْ زَوْجَها العُرُس

٩ أمُّ شِبْلٍ فوقَها لِبَدٌ ظُفْرُها مِنْ قَتْلِنا وَرِس

١٠ فالْقَها بِالزُّهْدِ مُدَّرِعًا في يَدَيْكَ السَّيْفُ وَالتُّرُس

١١ إنْ دَنا مِنْ فارِسٍ أجَلٌ حارَ لا يَجْري بِهِ الْفَرَس

١٢ كُلُّ مَنْ حانَتْ مَنيَّتُه لَمْ يُدافِعْ دونَه حَرَس

١٣ لَيسَ يَبْقى فَرْعُ نابِتَةٍ أصلُها في الْمَوْتِ مُغْتَرِس

١٤ خَبَّرَتْني كُلُّ ناطِقَةٍ ذاكَ حَتَّى الزِّيرُ وَالْجَرَس " .

فاستبنت أنه موعظة بحقيقة الدنيا الفانية المُفْنِيَة المُتَلَبِّسة بالموت ، التي لا تبقي على أحد ولا تذر ، وأنها ينبغي أن يظل الإنسان منهـا علـى قلـق وحذر ، حتّى يتجاوزها .

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالقصيدة الثالثة ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الثالث ، مثلما عملت لك !

التمرين الثالث :

" شر أشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا حملت بيضـا وأغربـة وأتت بالقوم أجناسا كلهم أخفت جوانحه ماردا في الصدر خناسا لم تسق عذبا ولا أرجا بل أذيات وأدناسا تعب ما نحن فيه وهل يجلب الإيحاش إيناسا خـذ حساما سعد أو قلما وخذي يا دعد عرناسا " .

التَّثْنِيَةُ والْجَمْعُ

ثم اعلم – يا بني – أن الشاعر أبى عَطْف الاسم على الاسم إذا كـــان المعطوف هو المعطوف عليه ، في مثل :

١ حَضَرَ طالِبٌ (طالبةٌ) وَطالِبٌ (طالبةٌ) .

٢ حَضَرَ طالِبٌ (طالبةٌ) وَطالِبٌ (طالبةٌ) وَطالِبٌ (طالبةٌ) .

الشبيه بكلام الأطفال أو المستعربين حديثا ، تَمَسُّكا بما في العطف من معنى مُغايَرَة المعطوف للمعطوف عليه ، على رغم أنه قال مرة :

" وَدارِ ندامى عَطَّلوها وَأدْلَجوا بِها أثَرٌ مِنْهُمْ جَديدٌ وَدارِس

مَساحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقاقِ عَلى الثَّرى وَأضْغاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ وَيابس

حَبَستُ بِها صَحْبي فَجَدَّدتُ عَهْدَهُمْ وَإنّي عَلى أمْثالِ تِلْكَ لَحابِس

وَلَمْ أدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ ما شَهِدَتْ بِهِ بِشَرقِيِّ ساباطَ الدِّيارُ الْبَسابِس

أقَمْنا بِها يَوْمًا وَيَوْمًا وَثالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خامِس

تُدارُ عَلَيْنا الرّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بِأَلْوانِ التَّصاويرِ فارِس

قَرارَتُها كِسْرى وَفي جَنَباتِها مَهًا تَدَّريها بِالْقِسِيِّ الْفَوارِس

فَلِلْخَمْرِ ما زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيوبُها وَلِلْماءِ ما دارَتْ عَلَيْهِ الْقَلانِس " !

فَقَدْ حُمِلَ كلامُه على تعلقه بالمفرد ، وكأنه لم يُرِدْ لأي يوم من أيـــام مقامه بالدار العتيقة أن يَمُرّ ! أو كأنه يغيظ بذلك مَنْ لم يَشْهَدْ ما شَهِدَ ! ثم عُدَّ في شُذوذه الذي لا يُعَمَّم ولا يُعَلَّم .

فأما في جمهور شعره فقد آثر أن يقول :

١ حَضَرَ طالِبانِ (طالِبَتانِ) .

٢ حَضَر طالبونَ (طالباتٌ) .

٣ حَضَرَ طُلّابٌ (طَوالبُ) .

تَمَسُّكًا بِتَبَنّي الثاني على الأول أو جَمْعِهِ ، كما يَتَبَنّي دِثاره (ثوبه الخارجي) على شِعاره (ثوبه الداخلي) ، أو يجمعه ؛ فسَمّى علماء العربية ما فعله بقوله الأول تَثْنِيَة : تثنية مفرد منكر ، وتثنية مفرد مؤنث – وما فعله بقوله الثاني جمع سالمٍ (تسلم فيه صيغة المفرد) : جمع منكر سالمٍ ، وجمع مؤنث سالمٍ – وما فعله بقوله الثالث جَمْع مُكَسَّرٍ أو تَكْسيرٍ (تَتَغَيَّر فيه صيغة المفرد) : جمع منكرٍ مُكَسَّر ، وجمع مؤنثٍ مُكَسَّر – مِنْ دون تمييزٍ غالبا بين المنكر والمؤنث ، لعدم استمرار التمييز بينهما في جَمْع المُكَسَّر ، مثلما استمر في جَمْعَيِ السالم .

تَعْليقاتٌ على التَّثْنِيَة :

لقد جرى الشاعر في التثنية ، على إضافة ألف – أو ياء ساكنة مفتوح ما قبلها – ونون ، إلى آخر الاسم ، ولكنه وجد الاسم ينقسم بين يديه على حسب آخره الذي سيلاصق لاحقة التثنية ، على خمسة الأقسام التالية :

١ صَحيح (آخره صحيح لا علة) : " بَيْت = فَعْل " ، غُرْفَة = فُعْلَة (على أن التاء مضافة غير أصيلة) " .

٢ شِبْه صحيح (آخره علة قَبْلَها ساكنٌ) : " ظَبْي ، دَلْوٌ = فَعْل " .

٣ مَنْقوص (آخره ياء مكسور ما قبلها) : " قاض = فاع " .

٤ مَقصور (آخره ألف ، وسواء فيه هنا مقصور المسألة الأولى ومقصور المسألة الثانية) : " بُشْرى = فُعلى " ، و" مُصْطَفى = مُفْتَعَل " ، " فَتى ، عَصا ، قَفا = فَعَل " .

٥ مَمْدود (آخره همزة بعد ألف زائدة ، وسواء فيه هنا ممدود المسألة الأولى وممدود المسألة الثانية ، وممدود مسألة الإلحاق التي تزاد فيها ألف على ما آخره ألف زائدة " عِلْبى (عِرق في صفحتي العنق) ، ليجري في التصريف مجرى ما فيه الألف : " عَشْواء = فَعْلاء " ، و" عِلْباء = فِعْلاء " ، و" عِشاء ، بِناء = فِعال " ، " ابْتِداء ، اخْتِباء = افتعال " .

فأما الاثنان الأولان فلم يَعُقْه عن إضافة لاحقة التثنية إليهما عائق من أواخرهما : " بَيْتانِ = فَعْلان ، غُرْفَتان = فُعْلتان ، ظَبْيان ، دَلْوان = فَعْلان " .

وأما الثالث فإذا كانت ياء آخره قد حذفت ، ردها ، ثم أضاف إلى آخره لاحقة التثنية : " قاضِيانِ = فاعِلان " .

وأما الرابع فمنعته ألف آخره – وإن عَرَضَ حَذْفُه مع التنوين أحيانا ؛ فالعارض لا يُحكَّم في الصياغة غالبا – من تَحْميلها فتحةَ ما قبل لاحقة التثنية ، فقَلَبها :

- ياءً ، في :

١ ما ألفه بعد ثلاثة أحرف : " بُشْريانِ = فُعْليان " ، و" مُصْطَفيانِ = مُفْتَعلان " .

٢ ما ألفه ثالثة منقلبة عن ياء : " فَتَيانِ = فَعَلان " .

- وواوًا فيما ألفه ثالثة منقلبة عن واو : " عَصَوانِ ، قَفَوانِ = فَعَلان " .

وأما الخامس فلم يعقه فيه ما عاقه فيما قبله ، ولكنه استفاد من اختلاف طبائع همزات أواخره ، التمييزَ بينها عند التثنية ، بتنويع معاملاتها ، على النحو التالي :

١ أبقى الهمزة الأصلية على حالها : " ابْتِداءان ، اخْتِباءان = افْتِعالان " .

٢ قلب همزته المنقلبة عن ألف التأنيث الزائدة ، إلى واو : " عَشْواوان = فَعْلاوَان " .

٣ أبقى الهمزة المنقلبة عن واو الأصل أو يائه : " عِشاءان ، بِنــاءان = فِعالان " ، أكثر مما قلبها إلى واو : " عِشاوان ، بِناوان = فِعالان " .

٤ قلب الهمزة المنقلبة عن الياء المزيدة للإلحاق (تشــبيه وزن الكلمــة بوزن غيرها لتَتَصَرَّفَ تَصَرُّفَها) ، إلى واو : " عِلْباوان " ، " قوباوان (داء جلدي) " ، أكثر مما أبقاها : " عِلْباءان "، " قوباوان " .

تَعْليقاتٌ على جَمْعِ المُذَكَّرِ السّالِمِ :

ثم جرى في جمع الاسم جمع منكر سالمٍ إذا استوفى في نفسه شروط هذا الجمع ، على إضافة واو مد (مضموم ما قبلها) - أو ياء مد (مكسور ما قبلها) - ونون ، إلى آخر الاسم - ولما وجد الاسم ينقسم بين يديه علــى حسب آخره الذي سيلاصق لاحقة الجمع ، على خمسة الأقسام السابقة ، جرى فيها مجراه في التثنية ، إلا في المقصور والمنقوص ، على النحو التالي :

١ حذف ألف المقصور وأبقى فتحة ما قبلها : " أَعْلَوْنَ = أَفْعَوْنَ " .

٢ حذف ياء المنقوص هي وكسرتها جميعا : " عالونَ = فاعونَ " .

تَعليقاتٌ عَلى جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ :

ثم جرى في جمع الاسم جمع مؤنث سالمٍ إذا استوفى في نفسه شروط هذا الجمع ، على إضافة ألف وتاء ، إلى آخر الاسم ، ولما وجد الاسم ينقسم بين يديه على حسب آخره الذي سيلاصق لاحقة الجمع ، على خمسة الأقسام السابقة ، جرى فيها مجراه في التثنية ، إلا في المؤنث بالتاء ، على النحو التالي :

١ حذف منه التاء استغناء بتاء الجمع : " طالِبات ، راضِيات = فاعِلات " .

٢ إذا وجد قبل التاء ألفًا عاملها بعد حذف التاء معاملته لها في المقصور : " فَتَيات ، غَزَوات = فَعَلات " .

٣ إذا وجد المفرد " حَسْرَة = فَعْلة " ، اسما لا صفة من المشتقات [١] ، ثلاثيا [٢] ، ساكن العين [٣] ، صحيحها [٤] ، غير مدغمها [٥] ، مفتوح الفاء [٦] – فَتَحَ عَيْنَه : " حَسَرات = فَعَلات " .

٤ إذا وجد المفرد " خُطْوَة = فُعْلَة " ، اسما لا صفة من المشتقات [١] ، ثلاثيا [٢] ، ساكن العين [٣] ، صحيحها [٤] ، غير مدغمها [٥] ، مضموم الفاء [٦] ، غير يائي اللام [٧] – فتح عينه ، أو أسكنها ، أو ضمها : " خُطَوات = فُعَلات " ، و" خُطْوات = فُعْلات " ، و" خُطُوات = فُعُلات " .

٥ إذا وجد المفرد " كِسْرَة = فِعْلَة " ، اسما لا صفة من المشتقات [١] ، ثلاثيا [٢] ، ساكن العين [٣] ، صحيحها [٤] ، غير مدغمها [٥] ، مكسور الفاء [٦] ، غير واوي اللام [٧] - فتح عينه ، أو أسكنها ، أو كسرها : " كِسَرات = فِعَلات " ، و" كِسْرات = فِعْلات " ، و" كِسِرات = فِعِلات " .

٦ إذا وجد المفرد " نُمْيَة = فُعْلَة " ، اسما لا صفة من المشتقات [١] ، ثلاثيا [٢] ، ساكن العين [٣] ، صحيحها [٤] ، غير مدغمها [٥] ، مضموم الفاء [٦] ، يائي اللام [٧] ، فتح عينه ، أو أسكنها ، ولم يضمها : " نُمَيات = فُعَلات " ، " نُمْيات = فُعْلات " .

٧ إذا وجد المفرد " نِزْوَة = فِعْلَة " ، اسما لا صفة من المشتقات [١] ، ثلاثيا [٢] ، ساكن العين [٣] ، صحيحها [٤] ، غير مدغمها [٥] ، مضموم الفاء [٦] ، واوي اللام [٧] ، فتح عينه ، أو أسكنها ، ولم يكسرها : " نِزَوات = فِعَلات " ، " نِزْوات = فِعْلات " .

وربما أوضحت الجدولة ما في الخمسة الأخيرة (٣-٧) ، على النحو الآتي :

حكم حركة عينه	واوي اللام	مكسور الفاء	يائي اللام	مضموم الفاء	مفتوح الفاء	منفك العين	صحيح العين	ساكن العين	ثلاثي	صفة	اسم	خصائص المفرد

حَسْرة	ضَخْمة	دَوْرة	خُطْوة	دُمْية	كِسْرَة
*	×	*	*	*	*
×	*	×	×	×	×
*	*	*	*	*	*
*	*	*	*	*	*
*	*	×	*	*	*
*	*	*	*	*	*
*	*	*	×	×	×
×	×	×	*	*	×
×	×	×	×	*	×
×	×	×	×	×	*
×	×	×	*	×	×
واجبة الإتباع	واجبة الإسكان	واجبة الإسكان	جائزة لثلاثة	ممتنعة الإتباع	جائزة لثلاثة
حَسَرات	ضَخَمات	دَوْرات	خُطُـــوات	دُمَيات	كِسَرات

نزوات	حجات	زينبات
ممتنعة الإتباع	واجبة الإسكان	ممتنعة التغيير
x	x	x
*	*	x
x	x	x
x	*	x
x	*	*
*	x	*
*	*	x
*	*	x
*	*	x
x	x	x
*	*	*
نزوة	حجة	زينب

تَعليقاتٌ عَلى النَّصِّ الثَّالث :

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق - يا بني - ولطافتــه ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغــا ؛ حتى إذا حَزَبَه الْأَمرُ وجدَّ به الجدِّ ، فقال نصه الثالث ، وعثرت فيه من المثنى والمجموع السالم ، على هذين الاسمين :

" المَشيداتُ ، يَدَيك " .

أقبلتَ تَستَنطِقُ صَوامتَه ، وتَستَصمِتُ نَواطقَه ، وتستعين بما تعــرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَهما في علــم الصَّــرْف ، فاستبنت أنهما نوعان لا نوع واحد :

١ مثنـى : " يَدَيْن = فَعَيْن " .

٢ ومجموع (جمع) : " المشيدات = المَفْعُلات " .

ثم استبنت أن الاسم الأول مثنى اسم العين شبه الصحيح " يَد = فَع " ؛ فأصله " يَدْيٌ = فَعْلٌ " ، ثم شَذَّ حَذْفُ لامه تَخْفيفًا ، ولكن الشاعر أعادها دائما في جمع التكسير ، وفي التصغير : " يُدَيَّة " ، وكثيرا في النسب " يَدَوِيّ (فتح عينه وقلب ياء لامه إلى واو) " ، ولم يكد يعيدها في التثنية ، استغناء عنها وتَخَفُّفًا منها.

ثمت استبنت أن الاسم الآخر جمع " مَشيدَة = مَفْعُلَة (أصله مَشْيودَة = مَفْعولة) " ، الصفة (اسم المفعول) ، الصحيح المؤنث بالتاء الزائدة ، المطرد جمعه جمع مؤنث سالم ، وكأنما أراد شاعرنا القرية المشيدة أو المدينة أو ما أشبههما .

ولكنك ينبغي أن تنتبه إلى جواز أن يكون مفرده " المَشيد = المَفْعُل " ، غير المؤنث بالتاء ، من حيث لا يمتنع أن يريد شاعرنا القَصْر أو الحِصْن أو ما أشبهها ، ومن حيث يطرد جمع صفة المنكر غير العاقل جمع مؤنث سالم .

ولا أحب أن أغفل دلالة اقتصار ما في النص على هاتين الكلمتين " المشيدات " ، و" اليدين " ؛ فإنه باليدين تشاد المشيدات ، وبالمشيدات يَتَحَصَّن المَغْرور ، وباليدين يُدافِع الجَسور !

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالنص الثالث ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الثالث ، مثلما عملت لك !

بَحْرُ السَّرِيعِ

ثم اعلم – يا بُنَيَّ – أن شاعرنا الذي يَمَلُّ تَوقيعَةَ " دَنْ دَنْ نَدَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة ، في تفعيلة " مُسْـتَفْعِلُنْ " ، ذات السببين الخفيفين (مس ، تف) فالوتد المجموع (علن) ، في صيغة " مُستَفْعَلّ " ، في كلمة " مُستَقْبَلّ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب ، ويمل بحرها بحرَ الرجز المستخرج بتكرارها هكذا – يدخل عليها توقيعة " دَنْ دَنْ دَنْ دَ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة ، في تفعيلة " مَفْعولاتُ " ذات السببين الخفيفين (مف ، عو) فالوتد المفروق (لات) ، في صيغة " مَفْعولاءُ " ، في كلمة " مَشْيوخاءُ (شيوخ) " مثلا الاسم الجمع الممدود ، الفريدة من دون بحر ، ويستخرج بحر السريع بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

دن دن ددن	دن دن ددن	دن دن دن د	دن دن ددن	دن دن ددن	دن دن دن د
مستفعلن	مستفعلن	مفعولات	مستفعلن	مستفعلن	مفعولات
مستقبلّ	مستقبلّ	مشيوخاء	مستقبل	مستقبل	مشيوخاء

حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة الرابعة :

" آخر ما الملك معزى به هذا الذي أثر في قلبه لا جزعا بل أنفا شابه

أن يقدر الدهر على غصبه لو درت الدنيا بما عنده لاستحيت الأيام من عتبه

لعلها تحسب أن الذي ليس لديه ليس من حزبه وأن من بغداد دار له ليس

مقيما في ذرى عضبه وأن جد المرء أوطانه من ليس منها ليس من صلبه

أخاف أن تفطن أعداؤه فيجفلوا خوفا إلى قربه لا بد للإنسان من ضـــجعة لا
تقلب المضجع عن جنبه ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق المــوت مــن
كربه نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هي من كسبه فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه لــو
فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه لم ير قرن الشمس في شرقه
فشكت الأنفس في غربه يموت راعي الضأن في جهله موتة جــالينوس فــي
طبه وربما زاد على عمره وزاد في الأمن على سربه وغاية المفرط في سلمه
كغاية المفرط في حربه فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه أستغفر
اللـــه لشخص مضى كان نداه منتهى ذنبه وكان من عدد إحسانه كأنه أفــرط
في سبه يريد من حب العلى عيشه ولا يريد العيش من حبه يحسبه دافنه وحده
ومجده في القبر من صحبه ويظهر التذكير في ذكره ويستر التأنيث في حجبه
أخت أبي خير أمير دعا فقال جيش للقنا لبه يا عضد الدولة من ركنها أبــوه
والقلب أبو لبه ومن بنوه زين آبائه كأنها النور على قضبه فخرا لدهر أنت من
أهله ومنجب أصبحت من عقبه إن الأسى القرن فلا تحيه وسيفك الصبر فــلا
تنبه ما كان عندي أن بدر الدجى يوحشه المفقود من شهبه حاشاك أن تضعف
عن حمل ما تحمل السائر في كتبه وقد حملت الثقل من قبله فأغنت الشدة عن
سحبه يدخل صبر المرء في مدحه ويدخل الإشفاق في ثلبه مثلك يثني الحزن
عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه إيما لإبقاء على فضله إيما لتسليم إلى ربه
ولم أقل مثلك أعني به سواك يا فردا بلا مشبه " .

فأقبلت تَستَنطِقُ صَولمتَه ، وتَستَصمِتُ نَواطِقَه ؛ فتستعين بما تعرف من اللغة على ما تجهل من العروض ؛ حتى تُخَرِّجَ قصيدته في علم العروض ، على النحو الآتـي :

لَخيرُ ما الْ	مَلْكُ مُعَزْ	زَى بِهِ	هَذا الَّذي	أَثَرَ في	قَلْبِهِ
دن دددن	دن دددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دددن	دن ددن
مستعلن	مستعلن	مفعلا	مستفعلن	مستعلن	مفعلا
مطوية	مطوية	مطوية مكشوفة	سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة
لا جَزَعًا	بَلْ أَنَفًا	شابَهُ	أَنْ يَقْدِرَ الذْ	دُهْرُ على	غَضَبِهِ
دن دددن	دن دددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دددن	دن ددن
مستعلن	مستعلن	مفعلا	مستفعلن	مستعلن	مفعلا
مطوية	مطوية	مطوية مكشوفة	سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة
لَوْ دَرَتِ الذْ	دُنْيا بِما	عِنْدَهُ	لَاستَحْيَتِ الْ	أَيّامُ مِنْ	عَتْبِهِ
دن دددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دن ددن	دن ددن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	مستفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	سالمة	سالنة	مطوية مكشوفة
لَعَلَّها	تَحْسَبُ أنْ	نَ الَّذي	لَيْسَ لَديْ	ه لَيْسَ مِنْ	حِزْبِهِ
ددن ددن	دن دددن	دن ددن	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	مستعلن	مستفعلن	مفعلا
سخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة
وَأَنَّ مَنْ	بِغْدادُ دا	رٌ لَهُ	لَيْسَ مَقي	مًا في ذَرى	عَضْبِهِ
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة
وَأَنَّ جَدْ	دَ الْمَرْءِ لَوْ	طانَهُ	مَنْ لَيْسَ مِنْ	ها لَيْسَ مِنْ	صُلْبِهِ
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستفعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة
أَخافُ أَنْ	تَفْطُنَ أَعْ	داؤُهُ	فَيُجْفِلوا	خَوْفًا إلى	قُرْبِهِ
دن دن ددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن

مستفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
لا بُدَّ لِلْ	إنسانِ مِنْ	ضِجْعَةِ	لا تَقْلِبُ الْ	مُضْجَعَ عَنْ	جَنْبِهِ
ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮٮن
مستفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستفعلن	مستعلن	مفعلا
سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة	سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة
يَنْسى بِها	ما كانَ مِنْ	عُجْبِهِ	وَما أذا	قَ الْمَوْتُ مِنْ	كَرْبِهِ
ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن
مستفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
نَحْنُ بَنو الْ	مَوْتى فَما	بالُنا	نَعافُ ما	لا بُدَّ مِنْ	شُرْبِهِ
ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
تَبْخَلُ أيْ	دِينا بِأرْ	واحِنا	عَلى زَما	نِ هِيَ مِنْ	كَسْبِهِ
ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮٮن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
فَهذِهِ الْ	أرْواحُ مِنْ	جَوِّهِ	وَهذِهِ الْ	أجْسامُ مِنْ	تُرْبِهِ
ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
لَوْ فَكَّرَ الْ	عاشِقُ في	مُنْتَهى	حُسْنِ الَّذي	يَسْبيهِ لَمْ	يَسْبِهِ
ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن
مستفعلن	مستعلن	مفعلا	مستفعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة	سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة
لَمْ يَرَ قَرْ	نَ الشَّمْسِ في	شَرْقِهِ	فَشَكَّتِ الْ	أنْفُسُ في	غَرْبِهِ
ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮن ٮٮن	ٮن ٮٮن	ٮٮن ٮٮن	ٮن ٮٮٮن	ٮن ٮٮن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة

يَموتُ را	عي الضأنِ في	جَهْلِه	مَوْتَةَ جا	لينوسَ في	طِبِّه
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة
وَرُبَّما	زادَ على	عُمْرِه	وَزادَ في الْ	أمْنِ على	سِرْبِه
ددن ددن	دن دددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دددن	دن ددن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	مستفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة
وَغايَةُ الْ	مُفْرِطِ في	سَلْمِه	كَغايَةِ الْ	مُفْرِطِ في	حَرْبِه
ددن ددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دددن	دن ددن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
فَلا قَضى	حاجَتَه	طالِبٌ	فُؤادُه	يَخْفِقُ مِنْ	رُعْبِه
ددن ددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دددن	دن ددن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
أسْتَغْفِرُ الْ	لهَ لِشَيْخ	صِ مضى	كانَ نَدا	هُ مُنْتَهى	ذَنْبِه
دن دن ددن	دن دددن	دن ددن	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن
مستفعلن	مستعلن	مفعلا	مستعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة	مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة
وَكانَ مَنْ	عَدَّدَ إحْ	سانَه	كَأنَّه	أفْرَطَ في	سَبِّه
ددن ددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دددن	دن ددن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
يُريدُ مِنْ	حُبِّ الْعُلى	عَيْشَه	وَلا يُري	دُ الْعَيْشَ مِنْ	حُبِّه
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
يَحْسَبُه	دافِنُه	وَحْدَه	وَمَجْدُه	في الْقَبْرِ مِنْ	صَحْبِه
دن دددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن

مستعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
وَيَظْهَرُ التْ	تَنْكيرُ في	نكْرِهِ	وَيَسْتُرُ التْ	تَأْنيثُ في	حُجْبِهِ
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دن ددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستفعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة
أُخْتُ أبي	خَيْرِ أُمي	رِ دَعا	فَقالَ جَيْ	شٌ لِلْقَنا	لُبِّه
دن دددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن
مستعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
يا عَضُدَ الدْ	دَوْلَةِ مَنْ	رُكْنِها	أبوهُ وَالْ	قَلْبُ أبو	لُبِّه
دن دددن	دن دددن	دن ددن	دن دن ددن	دن دددن	دن ددن
مستعلن	مستعلن	مفعلا	مستفعلن	مستعلن	مفعلا
مطوية	مطوية	مطوية مكشوفة	سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة
وَمَنْ بَنو	هِ زَيْنُ آ	بائه	كَأَنَّها النْ	نَوْرُ عَلى	قُضْبِه
ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن	ددن ددن	دن دددن	دن ددن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
فَخْرًا لِدَهْ	رٍ أَنْتَ مِنْ	أَهْلِه	وَمُنْجِبٍ	أَصْبَحْتَ مِنْ	عَقْبِه
دن دن ددن	دن دن ددن	دن ددن	ددن ددن	دن دن ددن	دن ددن
مستفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
إنَّ الأَسى الْ	قِرْنُ فَلا	تُحْيِه	وَسَيْفُكَ الصْ	صَبْرُ فَلا	تُنْبِه
دن دن ددن	دن دددن	دن ددن	ددن ددن	دن دددن	دن ددن
مستفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
ما كانَ عَنْ	دي أنَّ بَدْ	رَ الدُّجى	يوحِشُهُ الْ	مَفْقودُ مِنْ	شُهْبِه
دن دن ددن	دن دن ددن	دن ددن	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن
مستفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة	مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة

حاشاكَ أنْ	تَضعُفَ عَنْ	حَمْلِ ما	تَحَمُّلَ السْ	سائرُ في	كُتْبِهِ
تن تن تتن	تن تتتن	تن تتن	تتن تتن	تن تتتن	تن تتن
مستفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
سالمة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
وقَدْ حَمَلْ	تَ الثِّقْلَ مِنْ	قَبْلِهِ	فأغْنَتِ الشْ	شِدَّةُ عَنْ	سَحْبِهِ
تتن تتن	تن تن تتن	تن تتن	تتن تتن	تن تتتن	تن تتن
متفعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستعلن	مفعلا
مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة
يَدْخُلُ صَبْ	رُ المَرْءِ في	مَنْحِهِ	وَيَدْخُلُ الْ	إشْفاقُ في	قَلْبِهِ
تن تتتن	تن تن تتن	تن تتن	تتن تتن	تن تن تتن	تن تتن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
مِثْلَكَ يَثْ	نِي الحَزْنَ عَنْ	صَوْبِهِ	وَيَسْتَرِدْ	دُ الدَّمْعَ عَنْ	غَرْبِهِ
تن تتتن	تن تن تتن	تن تتن	تتن تتن	تن تن تتن	تن تتن
مستعلن	مستفعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مطوية	سالمة	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة
إيما لِلِبْ	قاءِ على	فَضْلِهِ	إيما لِتَسْ	ليمِ إلى	رَبِّهِ
تن تن تتن	تن تن تتن	تن تتن	تن تن تتن	تن تن تتن	تن تتن
مستفعلن	مستفعلن	مفعلا	مستفعلن	مستفعلن	مفعلا
سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة	سالمة	سالمة	مطوية مكشوفة
وَلَمْ أقُلْ	مِثْلَكَ أعْ	ني بِهِ	سِواكَ يا	فَرْدًا بِلا	مُشْبِهِ
تتن تتن	تن تتتن	تن تتن	تتن تتن	تن تن تتن	تن تتن
متفعلن	مستعلن	مفعلا	متفعلن	مستفعلن	مفعلا
مخبونة	مطوية	مطوية مكشوفة	مخبونة	سالمة	مطوية مكشوفة

فاستبنتَ أنها سَريعيَّة الأبياتِ الوافيةِ المطويةِ الأعاريضِ والأضــربِ (التـي واو تفعيلتي " مفعولات " ، محذوفة من كل بيت منهــا) المكشــوفتِها (التـي تاء التفعيلتين أنفسهما ، محذوفة من كل بيت منها) - بائية القــوافي المكسورةِ المجردةِ الموصولةِ بالهاء المكسورة .

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالقصيدة الرابعة ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الرابع ، مثلما عملت لك !

التمرين الرابع :

" أنوك من عبد ومن عرسه من حكم العبد على نفسه وإنما يظهر تحكيمه تحكم الإفساد في حسه ما من يرى أنك في وعده كمن يرى أنك في حبسه العبد لا تفضل أخلاقه عن فرجه المنتن أو ضرسه لا ينجز الميعاد في يومه ولا يعي ما قال في أمسه وإنما تحتال في جنبه كأنك الملاح في قلسه فلا ترج الخير عند امرئ مرت يد النخاس في رأسه وإن عراك الشك في نفسه بحاله فانظر إلى جنسه فقلما يلؤم في ثوبه إلا الذي يلؤم في غرسه من وجد المذهب عن قدره لم يجد المذهب عن قنسه " .

تَعْليقاتٌ على جَمْعِ التَّكْسيرِ

ثم اعلم – يا بني – أن الشاعر استحدث بتغيير صيغ المفردات في صيغ جموع تكسير ، صيغا كثيرة ، أحصى منها علماء العربية سبعة وعشرين وزنا ، جعلوا منها للدلالة على قليل العدد المجتمع (من ثلاثة إلى عشرة) ، هذه الأربعة : " أَفْعُل ، أَفْعال ، أَفْعِلَة ، فِعْلَة " ، وما سواها للدلالة على كثير العدد المجتمع (ما فوق العشرة) .

ولكن الشاعر استعمل للكثرة أحيانا ما للقلة ، وللقلة أحيانا ما للكثرة ، اعتمادا على العُرْف والمقال والمقام !

وعلى النحو السابق نفسه من مراعاة حال المفرد في أثناء الجمع ، أتحرى فيما يأتي ، ترتيب ما آثرت لجموع التكسير من بعض مفرداتها ، في حال الوقف على المفرد وعلى الجمع كليهما جميعا ، ترتيبا صوتيا :

م	المفرد	وزنه	الجمع	وزنه
١	ثَوْب	فَعْل	أَثْواب	أَفْعال
٢	ظَهْر	فَعْل	ظُهْران	فُعْلان
٣	رام	فاع	رُماه	فُعَلَه
٤	صَعْب	فَعْل	صِعاب	فِعال
٥	كَلْب	فَعْل	أَكْلُب	أَفْعُل
٦	نُبَة	فُعْل	نُبَبَه	فُعَلَه
٧	وَعِل	فَعِل	وُعول	فُعول
٨	وَلَد	فَعَل	وِلْدَه	فِعْلَه

٩	جَعْفَر	فَعْلَل	جَعافِر	فَعالِل
١٠	مَسْجِد	مَفْعِل	مَساجِد	مَفاعِل
١١	قارِئ	فاعِل	قُرّاء	فُعّال
١٢	سافِر	فاعِل	سَفَرَه	فَعَلَه
١٣	مُدَّه	فُعْلَه	مُدَد	فُعَل
١٤	سِكَّه	فِعْلَه	سِكَك	فِعَل
١٥	أَحْمَر	أَفْعَل	حُمْر	فُعْل
١٦	عَزِيز	فَعِيل	أَعِزّاء	أَفْعِلاء
١٧	ظَرِيف	فَعِيل	ظُرَفاء	فُعَلاء
١٨	غُلام	فُعال	غِلْمان	فِعْلان
١٩	طَعام	فَعال	أَطْعِمَه	أَفْعِلَه
٢٠	عَجُوز	فَعُول	عَجائِز	فَعائِل
٢١	جَرِيح	فَعِيل	جَرْحَى	فَعْلَى
٢٢	غَفُور	فَعُول	غُفُر	فُعُل
٢٣	كُرْسِيّ	فُعْلِيّ	كَراسِيّ	فَعالِيّ
٢٤	صَحْراء	فَعْلاء	صَحارَى	فَعالَى
٢٥	مَوْماه	فَعْلاه	مَوام	فَعال
٢٦	صاحِبَه	فاعِلَه	صَواحِب	فَواعِل
٢٧	صائِمَه	فاعِل	صُوَّم	فُعَّل

إذا تأملنا تصنيف مادة الجدول ، على ذلك النحو الصوتي ، انسلكت بين أيدينا في ست الطوائف الآتية :

١ مستطيل " دنّ " ، جموعه أربعة الأصناف المقطعية الآتية :

- طويل فمستطيل " دن دنّ " : ١ ، ٢ .
- قصير فمستطيل " ددنّ " : ٣ ، ٤ .
- طويل فطويل " دن دن " : ٥ .
- قصير فقصير فطويل " دددن " : ٦ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، إضافة مقطع طويل إلى مقطع المفرد المستطيل ، وفي الثاني إضافة مقطع قصير ، وفي الثالث فك مقطع المفرد المستطيل ، وتحويله إلى طويلين بإضافة مقطع قصير قبل آخره ، وفي الرابع فك مقطع المفرد المستطيل كذلك ، وتحويله إلى قصيرين فطويل ، بإضافة حركة فمتحرك بعد أوله وتحويل ما قبل آخر إلى متحرك .

ومن شاء عثر بينها على علاقة إيقاعية عروضية واضحة :

فإن الأول والثالث والرابع صور " فاعلن " في ضرب بيت المتدارك ، إذا شُعّثتْ ونُيّلت ، ثم إذا قُطعت ، ثم إذا خُبنت .

والثاني صورة " فعولن " في ضرب بيت المتقارب ، إذا قُصِرَتْ .

وإن " فعولن " ، و" فاعلن " ، وَجْها تَوْقيعَةٍ واحدة !

١ قصير فطويل : " ددن " ، جموعه الصنفان الآتيان :

- قصير فمستطيل " ددنّ " : ٧ .
- طويل فطويل " دن دن " : ٨ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، إضافة ساكن بعد آخر مقطعي المفرد ، حوله به إلى مستطيل ، وفي الثاني إضافة ساكن إلى مقطعه الأول القصير ، حوله به إلى طويل .

ومن شاء عثر بينهما كذلك على علاقة إيقاعية عروضية واضحة :

فإن الأول صورة " فعولن " نفسها ، إذا قصرت .

والثاني صورة " فاعلن " نفسها ، إذا قطعت .

وإن " فعولن " ، و" فاعلن " ، كما سبق ، وجها توقيعة واحدة !

٢ طويل فطويل " دن دن " ، جموعه خمسة الأصناف الآتية :

- قصير فطويل فطويل " ددن دن " : ٩ ، ١٠ .
- طويل فمستطيل " دن دنّ " : ١١ .
- قصير فقصير فطويل " دددن " : ١٢ .
- قصير فطويل " ددن " : ١٣ ، ١٤ .
- مستطيل " دنّ " : ١٥ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، إضافة مقطع قصير قبل مقطعي المفرد الطويلين ، وفي الثاني إضافة ساكن بعد آخر مقطعي المفرد ، حوله به إلى مستطيل ، وفي الثالث تقصير أول مقطعي المفرد ثم إضافة مقطع قصير بينهما ، وفي الرابع تقصير أول مقطعي المفرد ، وفي الخامس حذف متحرك ثاني مقطعي المفرد ، وتحويل أولهما إلى مستطيل .

ومن شاء عثر بينها كذلك على علاقة إيقاعية عروضية واضحة :

فإن الأول والرابع صورتا " فعولن " نفسها ، إذا صحت ، ثم إذا حذفت .

وإن الثاني والثالث والخامس صور " فاعلن " نفسها ، إذا شُعِّثت ونُيِّلت ، ثم إذا خُبِنت ، ثم إذا حُذِّت وسُبِّغت .

وإن " فعولن " ، و" فاعلن " ، كما سبق ، وجها توقيعة واحدة !

٣ قصير فمستطيل " ددنّ " ، جموعه سبعة الأصناف الآتية :

- قصير فطويل فمستطيل " ددن دنّ " : ١٦ .
- قصير فقصير فمستطيل " دددنّ " : ١٧ .
- طويل فمستطيل " دن دنّ " : ١٨ .
- طويل فقصير فطويل " دن ددن " : ١٩ .
- قصير فطويل فطويل " ددن دن " : ٢٠ .
- طويل فطويل " دن دن " : ٢١ .
- قصير فطويل " ددن " : ٢٢ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، إضافة مقطع قصير قبل مقطعي المفرد ، ثم تطويل ثانيه ، وفي الثاني إضافة قصير قبل مقطعي المفرد ، وفي الثالث تطويل الأول ، وفي الرابع تطويل أوله وفك ثانيه وتحويله إلى مقطعين قصير فطويل بتحويل ما قبل آخر إلى متحرك ، وفي الخامس فك مقطعه المستطيل وتحويله إلى طويلين بإضافة مقطع قصير قبل آخره ، وفي السادس تطويل أوله القصير وتقصير آخره المستطيل ، وفي السابع تقصير آخر المستطيل .

ومن شاء عثر بينها كذلك على علاقة إيقاعية عروضية واضحة :
فإن الأول والخامس والسابع صور " مفاعيلن " في ضرب بيت الهزج ، إذا قُصِرَتْ ، ثم إذا حذفت ، ثم إذا حذفت مرة بعد مرة .
وإن الثاني والثالث والرابع والسادس صور " فاعلاتن " في ضرب بيت الرمل ، إذا خبنت وقصرت ، ثم إذا شعثت وقصرت ، ثم إذا حذفت ، ثم إذا بتّرت .
وإن " مفاعيلن " ، و" فاعلاتن " ، وجها توقيعة واحدة !

٤ طويل فمستَطيل " دن دنّ " ، جموعه ثلاثة الأصناف الآتية :

- قصير فطويل فمستطيل " ددن دنّ " : ٢٣ .
- قصير فطويل فطويل " ددن دن " : ٢٤ .
- قصير فمستطيل " ددنّ " : ٢٥ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، إضافة مقطع قصير قبل مقطعي المفرد ، وفي الثاني تقصير أوله وفك آخره وتحويله إلى طويلين بإضافة متحرك قبل آخره ، وفي الثالث تقصير أوله .
ومن شاء عثر بينها كذلك على علاقة إيقاعية عروضية واضحة ؛
فإنها كلها صور " فعولن " في ضرب بيت المتقارب ، إذا سُبِّغَتْ ، ثم إذا صَحَّتْ ، ثم إذا قُصِرَتْ .

٥ طويل فقصير فطويل " دن ددن " ، جموعه الصنفان الآتيان :

- قصير فطويل فطويل " ددن دن " : ٢٦ .
- طويل فطويل " دن دن " : ٢٧ .

تحرى الشاعر في صنفها الأول ، عكس مقاطع المفرد بتأخير أولها عن المقطعين اللذين بعده ، وفي الآخر حَذْفَ مقطعه القصير من وسطه .

ومن شاء عثر بينهما كذلك على علاقة إيقاعية عروضية واضحة :

فإن الأول صورة " فعولن " في ضرب بيت المتقارب ، إذا صحت .

والآخر صورة " فاعلن " في ضرب بيت المتدارك ، إذا قطعت .

وإن " فعولن " ، و" فاعلن " ، كما سبق ، وجها توقيعة واحدة !

تَعْلِيقاتٌ عَلى النَّصِّ الرّابع :

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق - يا بني - ولطافته ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغا ؛ حتى إذا حَزَبَه الْأمرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، فقال نصه الرابع ، وعثرت فيه من جموع التكسير على هذه الستة عشر اسما :

" أيام ، أوطان ، أعداء ، موتى ، أيد ، أرواح ، أرواح ، أجسام ، أنفس ، صَحْب ، حُجْب ، آباء ، قُضْب ، دُجى ، شُهْب ، كُتْب " .

أقبلتَ تَستَنطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصْمِتُ نَواطِقَه ، وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَها في علم الصَّرْف ، فاستبنت أنها :

م	الجمع	وزنه	المفرد	وزنه
١	أيّام	أفْعال	يَوْم	فَعْل
٢	أرْواح	أفْعال	روح	فُعْل
٣	أرْواح	أفْعال	روح	فُعْل

٤	أجْسام	أفْعال	جِسْم	فِعْل
٥	أوْطان	أفْعال	وَطَن	فَعَل
٦	أعْداء	أفْعال	عَدوّ	فَعول
٧	آباء	أفْعال	أب	فَع
٨	مَوتى	فَعْلى	مَيِّت	فَيْعِل
٩	أنْفُس	أفْعُل	نَفْس	فَعْل
١٠	حُجُب	فُعُل	حِجاب	فِعال
١١	قُضُب	فُعُل	قَضيب	فَعيل
١٢	شُهُب	فُعُل	شِهاب	فِعال
١٣	كُتُب	فُعُل	كِتاب	فِعال
١٤	دُجى	فُعَل	دُجْيَه	فُعْلَه
١٥	أيْد	أفْعُ	يَد	فَع
١٦	صَحْب	فَعْل	صاحِب	فاعِل

ثم استبنت أن مادة ذلك الجدول ، أربعة أصناف صوتية إيقاعية مقطعية :

١ طويل فمستطيل " دن دنّ " ، مفرداته ثلاثة الأصناف التالية :

- مستطيل " دنّ " : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
- قصير فطويل " ددن " : ٥ .
- قصير فمستطيل " ددنّ " : ٦ .
- طويل " دن " : ٧ .

٢ طويل فطويل " دن دن " ، مفرداته الصنفان التاليان :

- طويل فطويل " دن دن " : ٨ .
- مستطيل " دنّ " : ٩ .

٣ قصير فطويل " ددن " ، مفرداته الصنفان التالين :

- قصير فمستطيل " ددنّ " : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .
- طويل فطويل " دن دن " : ١٤ .

٤ مستطيل " دنّ " ، مفرداته الصنفان التاليان :

- طويل " دن " : ١٥ .
- طويل فطويل " دن دن " : ١٦ .

ولقد ينبغي للمتلقي الانتباه إلى أن جموع الصنف الثالث الأربعة الأولى : " حُجُب ، قُضُب ، شُهُب ، كُتُب " ، محركة الثواني ، ولكن الشاعر سكّنها على التخفيف ، إحكاما لها في نسيج شعره ، وما أكثر ما ولّد بهذا الإحكام الصيغ بعضها من بعض !

ثم ينبغي للمتلقي الانتباه إلى غلبة صنف الجموع المبدوء بمقطع طويل ، لغلبة هذا المقطع نفسه على إيقاع القصيدة ، ولا أدل على ذلك من تغيير الشاعر لتلك الصيغ بتسكين أواسطها (تخفيفها) ، حتى تلائم إيقاع نصه .

ومما أستطرف ذكره أن أتأمل ما فرّقوا بينه من جموع القلة والكثرة ؛ كيف تحركت دلالاتها :

إن من أوزان القلة في النص ، ما دل على القلة : " أوطان " – وما دل على الكثرة : " أيام ، أرواح ، أرواح ، أجسام ، أعداء ، آباء ، أنفس ، أيد " !

وإن من أوزان الكثرة في النص ، ما دل على الكثرة : " شهب ، دجى " – وما دل على القلة : " موتى ، حجب ، قضب ، كتب ، صحب " !

وإنما تحرك الصيغ في الشعر إيقاعاها لا دلالاتها ، اعتمادا على دلالة مقالاتها ومقاماتها !

ثُمَّتَ استبنتَ أن واقع الشعر شيطان ، لا تحكمه ضوابط المسائل ؛ فإن المسائل كلها في اللغة ، وليست اللغة كلها في المسائل ؛ فإن العالم يتمسك من موادها بما يبني له بنيانه العلمي ، فأما الشاعر فربما لم يبن له بنيانه الفني مِثْلَ ما يَطَّرِحُه العالم من مواد مسائله !

ذاك عمل عملته لك أنت – يا بني – بالنص الرابع ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الرابع ، مثلما عملت لك !

بَحْرُ الْمُنْسَرِحِ

ثم اعلم – يا بُنَيَّ – أن شاعرنا يَمَلُّ إدخال توقيعـة " دَنْ دَنْ دَنْ دَ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقـة ، فـي تفعيلـة " مَفْعولاتُ " ذات السببين الخفيفين (مف ، عو) فالوتد المفروق (لات) ، في صيغة " مَفْعولاءُ " ، في كلمة " مَشْيوخاءُ (شيوخ) " مثلا الاسم الجمـع الممدود ، الفريدة من دون بحر ، على توقيعـة " دَنْ دَنْ دَدَنْ " ذات النَّطْقـة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة ، فـي تفعيلـة " مُسْـتَفْعِلُنْ " ذات السببين الخفيفين (مس ، تف) فالوتد المجمـوع (علـن) ، فـي صـيغة " مُسْتَفْعَلّ " ، في كلمة " مُسْتَقْبَلّ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصـور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب ، على النحو المستخرج بتكرارها فيه بحرُ السريع – فيدخلها على نحو آخر ، ويستخرج بحر المنسرح بتكرارهـا هكذا ، مثلا من الهزل :

دن دن ددن	دن دن دن د	دن دن ددن	دن دن ددن	دن دن دن د	دن دن ددن
مستفعلن	مفعولات	مستفعلن	مستفعلن	مفعولات	مستفعلن
مستقبلّ	مشيوخاءُ	مستقبل	مستقبلّ	مشيوخاءُ	مستقبل

حتى إذا حَزَبَه الْأمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة الخامسة :

" أهلا بدار سباك أغيدها أبعد ما بان عنك خردها ظلت بها تنطـوي على كبد نضيجة فوق خلبها يدها يا حاديي عيرها وأحسبني أوجد ميتا قبيـل أفقدها قفا قليلا بها علي فلا أقل من نظرة أزودها ففي فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها شاب من الهجر فرق لمته فصار مثل الدمقس أسودها

شابَ منَ الْ	مَجرِ فَرَقُ	لِمّتِهِ	فَصارَ مثْ	لَ النَّمقْسِ	أسْوَدُها
دن دددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
بانوا بِخُرْ	عوبَةِ لَ	ها كَفَلٌ	يكادُ عنْ	دَ الْقِيامِ	يُقْعِدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
رِبَحْلَةٍ	أَسْمَرِ مُ	قَبَّلُها	سِبَحْلَةٍ	أَبْيَضِ مُ	جَرَّدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
يا عاذِلَ الْ	عاشقِينَ	دَعْ فِئَةً	أَضَلَّها الْ	لهُ كَيْفَ	تُرْشِدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
لَيسَ يَحي	كَ الْمَلامُ	في هِمَمٍ	أَقْرَبُها	مِنْكَ عَنْكَ	أَبْعَدُها
دن دددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
بِئْسَ اللَّيا	لي سَهِرْتُ	مِنْ طَرَبي	شَوْقًا إلى	مَنْ يَبِيتُ	يَرْقُدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
أَحيَيْتُها	وَالدُّموعُ	تُنْجِدُني	شُؤونُها	وَالظَّلامُ	يُنْجِدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
لا ناقَتي	تَقْبَلُ الرَّ	ديفَ وَلا	بِالسَّوْطِ يَوْ	مَ الرِّهانِ	أُجْهِدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن

مستفعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
شِراكُها	كورُها وَ	مِشْفَرُها	زِمامُها	وَالشُّسوعُ	مِقْوَدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
أشَدُّ عَصْ	فِ الرِّياحِ	يَسْبِقُه	تَحْتِيَ مِنْ	خَطْوِها تَ	أيُّدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
في مِثْلِ ظَهْ	رِ الْمِجَنّْ	مُتَّصِلٍ	بِمِثْلِ بَطْ	نِ الْمِجَنّْ	قَرْدَدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
مُرْتَمِيا	تٍ بِنا إِ	لى ابْنِ عُبَيْ	دِ اللهِ غي	طانُها وَ	فَدْفَدُها
دن دددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
إلى فَتى	يُصْدِرُ الرّ	ماحَ وقَدْ	أنْهَلَها	في الْقُلوبِ	مورِدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
لَهُ أيا	دٍ إلَيَّ	سابِقَةٌ	أعُدُّ مِنْ	ها وَلا أُ	عَدِّدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
يُعْطي فَلا	مَطْلُهُ يُ	كَدِّرُها	بِها وَلا	مَنُّهُ يُ	نَكِّدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية

خَيْرُ قُرَيْ	شٍ أبًا وَ	أمْجَدُها	أكْثَرُها	نائِلًا وَ	أجْوَدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
أطْعَنُها	بِالْقَناةِ	أضْرَبُها	بِالسَّيْفِ جَحْ	جاحُها مُ	سَوَّدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىن ىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
أفْرَسُها	فارِسًا وَ	أطْوَلُها	باعًا وَمِغْ	وارُها وَ	سَيِّدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىن ىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
تاجُ لُؤَيْ	يِ بْنِ غالِ	بِ وَبِهِ	سَما لَها	فَرْعُها وَ	مَحْتَدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
شَمْسُ ضُحًا	ها هِلالٌ	لَيْلَتِها	دُرُّ نَقًا	صيرِها زَ	بَرْجَدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
يا لَيْتَ بي	ضَرْبَةُ أَ	تيحَ لَها	كَما أُتي	حَتَّ لَهُ مُ	حَمَّدُها
ىن ىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
أثَّرَ في	ها وَقِي الْ حَ	ليدِ وَما	أثَّرَ في	وَجْهِهِ مُ	هَنَّدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
فَاغْتَبَطَتْ	إذْ رَأَتْ تـ	زَيْنَها	بِمِثْلِهِ	وَالْجِراحُ	تَحْسُدُها
ىن ىىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن	ىىن ىىن	ىن ىىن د	ىن ىىىن

مستعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
وَأَيْقَنَ النْ	ناسُ أَنَّ	زارِعَها	بِالْمَكْرِ في	قَلْبِه سَ	يَحْصُدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
أَصْبَحَ حُسْ	سادَه وَ	أَنْفُسُهُمْ	يَحْذَرُها	خَوْفُه وَ	يَصْنَعُها
دن دددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
تَبْكي عَلى الْ	أَنْصُلِ الْغُ	مودُ إِذا	أَنْذَرَها	أَنَّه يُ	جَرِّدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
لعلصها	أَنَّها تَ	صيرُ نَمَا	وَأَنَّه	في الرِّقابِ	يُغْمِدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
أَطْلَقَها	فَالْعَدُوُّ	مِنْ جَزَعٍ	يَنْصُها	وَ الصَّديقُ	يَحْمَدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
تَنْقَدِحُ النْ	نارُ مِنْ مَ	ضارِبِها	وَصَبُّ ما	ءِ الرِّقابِ	يُخْمِدُها
دن دددن	دن ددن د	دن دددن	ددن ددن	دن ددن د	دن دددن
مستعلن	مفعلات	مستعلن	متفعلن	مفعلات	مستعلن
مطوية	مطوية	مطوية	مخبونة	مطوية	مطوية
إِذا أَضَلَّ	لَ الْهُمامُ	مُهْجَتَه	يَوْمًا فَأَطْ	رافُهُنَّ	تَنْشُدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية

قَدْ أَجْمَعَتْ	هذهِ الْخَ	لِيقَةُ لي	أَنَّكَ يا ابْ	نَ النَّبِيِّ	أَوْحَدُها
دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
مستفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
سالمة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
وَأَنَّكَ بِالْ	أَمْسِ كُنْتَ	مُحْتَلِمًا	شَيْخَ مَعَدْ	دِ وَأَنْتَ	أَمْرَدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
فَكَمْ وكَمْ	نِعْمَةِ مُ	جَلَّلَةٍ	رَبَّيْتَها	كانَ مِنْكَ	مَوْلِدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دن ددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستفعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	سالمة	مطوية	مطوية
وكَمْ وكَمْ	حاجَةِ سَ	مَحْتَ بِها	أَقْرَبُ مِنْ	نِي إِلَيَّ	مَوْعِدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
وَمَكْرُما	تِ مَشَتْ عَ	لى قَدَمِ الْ	بِرِّ إِلى	مَنْزِلِي تُ	رَدِّدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
أَقَرَّ جِلْ	دِي بِها عَ	لَيَّ فَلا	أَقْدِرُ حَتْ	تى الْمَماتِ	أَجْحَدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية
فَعُدْ بِها	لا عَدِمْتُ	ها أَبَدًا	خَيْرُ صِلا	تِ الْكَرِيمِ	أَعْوَدُها
ددن ددن	دن ددن د	دن دددن	دن دددن	دن ددن د	دن دددن
متفعلن	مفعلات	مستعلن	مستعلن	مفعلات	مستعلن
مخبونة	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية	مطوية

فاستبنتَ أنها مُنسَرِحيَّة الأبياتِ الوافيةِ المطويةِ الأعاريضِ والأضربِ (فاء تفعيلتي " مستفعلن " الثالثة والسادسة ، محذوفة من كلّ بيت منهـا) – داليةَ القوافي المضمومةِ المجردةِ الموصولةِ بالهاء المفتوحة .

وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغــة ؛ حتــى تُخَرِّجَ نصَّه في علم اللغة ، على النحو الآتي :

١ " أهلًا بدارٍ سَباكَ أغْيَدُها أبْعَدَ ما بانَ عَنْكَ خُرَّدُها

٢ ظَلْتَ بها تَنْطَوي على كَبِدٍ نَضيجَةٍ فوقَ خِلْبِها يَدُها

٣ يا حادِيَيْ عيرِها وَأَحْسَبُني أوجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أفْقِدُها

٤ قِفا قَليلًا بها عَلَيَّ فَلا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوَّدُها

٥ فَفي فُؤادِ الْمُحِبِّ نارُ جَوًى أَحَرُّ نارِ الْجَحيمِ أبْرَدُها

٦ شابَ مِنَ الْهَجرِ فَرقُ لِمَّتِه فَصارَ مِثْلَ الدِّمَقْسِ أسْوَدُها

٧ بانوا بِخُرْعوبَةٍ لَها كَفَلٌ يَكادُ عِنْدَ الْقِيامِ يُقْعِدُها

٨ رِبَحْلَةٍ أَسْمَرٍ مُقَبَّلُها سِبَحْلَةٍ أَبْيَضٍ مُجَرَّدُها

٩ يا عاذِلَ الْعاشِقينَ دَعْ فِئَةً أَضَلَّها اللّهُ كَيْفَ تُرْشِدُها

١٠ لَيْسَ يَحيكُ الْمَلامُ في هِمَمٍ أَقْرَبُها مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُها

١١ بِئْسَ اللَّيالي سَهِرْتُ مِنْ طَرَبي شَوْقًا إِلى مَنْ يَبيتُ يَرْقُدُها

١٢ أَحْيَيْتُها وَالدُّموعُ تُنْجِدُني شُؤونُها وَالظَّلامُ يُنْجِدُها

١٣ لا ناقَتي تَقْبَلُ الرَّديفَ وَلا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهانِ أُجْهِدُها

١٤ شِراكُها كورُها وَمِشْفَرُها زِمامُها وَالشُّسوعُ مِقْوَدُها

١٥ أَشَدُّ عَصْفِ الرِّياحِ يَسْبِقُه تَحْتِيَ مِنْ خَطْوِها تَأَيُّدُها

١٦ في مثلِ ظَهرِ المجَنِّ مُتَّصلٍ بمثلِ بَطْنِ المجَنِّ قَرْدَدُها

١٧ مُرتَمياتٌ بنا إلى ابنِ عُبَيدِ اللّه غيطانُها وفَدْفَدُها

١٨ إلى فتى يُصدِرُ الرِّماحَ وقد أنهلَها في القلوبِ موردُها

١٩ له أيادٍ إليَّ سابقةٌ أعدُّ منها ولا أُعَدِّدُها

٢٠ يُعطي فلا مَطْلُه يُكَدِّرُها بها ولا مَنُّه يُنَكِّدُها

٢١ خيرُ قُريشٍ أبًا وأمجدُها أكثرُها نائلًا وأجوَدُها

٢٢ أطعَنُها بالقَناةِ أضربُها بالسَّيفِ جَحجاحُها مُسَوَّدُها

٢٣ أفرَسُها فارسًا وأطوَلُها باعًا ومِغوارُها وسَيِّدُها

٢٤ تاجُ لُؤَيِّ بنِ غالبٍ وبه سَما لَها فرعُها ومَحتِدُها

٢٥ شَمسُ ضُحاها هلالُ لَيلتِها دُرُّ تَقاصيرِها زَبَرجَدُها

٢٦ يا لَيتَ بي ضَربَةً أُتيحَ لَها كَما أُتيحَتْ لَه مُحَمَّدُها

٢٧ أثَّرَ فيها وفي الحَديدِ وَما أثَّرَ في وَجْهِه مُهَنَّدُها

٢٨ فاغتَبَطَتْ إذ رَأَتْ تَزَيُّنَها بمثلِه والجِراحُ تَحسُدُها

٢٩ وأيقَنَ النّاسُ أنَّ زارِعَها بالمَكرِ في قَلبِه سَيَحصُدُها

٣٠ أصبَحَ حُسّادُه وأنفُسُهُم يُحدِرُها خَوفُه ويُصعِدُها

٣١ تَبكي عَلى الأنصُلِ الغُمودُ إذا أنذَرَها أنَّه يُجَرِّدُها

٣٢ لعِلمِها أنَّها تَصيرُ دَمًا وأنَّه في الرِّقابِ يُغمِدُها

٣٣ أطلَقَها فالعَدُوُّ مِن جَزَعٍ يَذُمُّها والصَّديقُ يَحمَدُها

٣٤ تَنقَدِحُ النّارُ مِن مَضارِبِها وصَبُّ ماءِ الرِّقابِ يُخمِدُها

٣٥ إذا أضَلَّ الهُمامُ مُهجَتَه يَومًا فأطرافُهُنَّ تَنشُدُها

٣٦ قَدْ أجْمَعَتْ هذه الْخَلِيقَةُ لي أَنَّكَ يا ابْنَ النَّبيِّ أوْحَدُها

٣٧ وَأنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعَدٍّ وَأنتَ أمْرَدُها

٣٨ فَكَمْ وكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ رَبَّيْتَها كانَ مِنْكَ مَوْلِدُها

٣٩ وكَمْ وكَمْ حاجَةٍ سَمَحْتَ بِها أَقْرَبُ مِنّي إِلَيَّ مَوْعِدُها

٤٠ وَمَكْرُماتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إلَى مَنْزِلي تُرَدِّدُها

٤١ أَقَرَّ جِلْدي بِها عَلَيَّ فَلا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَماتِ أَجْحَدُها

٤٢ فَعُدْ بِها لا عَدِمْتُها أَبَدًا خَيْرُ صِلاتِ الْكَريمِ أَعْوَدُها " .

فاستبنت أنه نمط صعب مخيف من انْتِجاع بعض الكرام على فصول المَنْهَجِ القديم ، بتَفْتيق المعاني البديعة في كل فصل من تلك الفصول .

ذاك عمل عملته لك أنت - يا بني - بالقصيدة الخامسة ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الخامس ، مثلما عملت لك !

التمرين الخامس :

" أوه بديل من قولتي واها لمن نأت والبديل نكراها أوه من الا أرى محاسنها وأصل واها وأوه مرآها شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محياها فقبلت ناظري تغالطني وإنما قبلت به فاها فليتها لا تزال آوية وليته لا يزال مأواها كل جريح ترجى سلامته إلا فؤادا دهته عيناها تبل خدي كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها ما نفضت في يدي غدائرها جعلته في المدام أفواها في بلد تضرب الحجال به على حسان ولسن أشباها لقيننا والحمول سائرة وهن در فذبن أمواها كل مهاة كأن مقلتها تقول إياكم وإياها فيهن من تقطر السيوف دما إذا لسان المحب سماها أحب حمصا إلى خناصرة وكل

نفس تحب محياها حيث التقى خدها وتفاح لبنان وثغري على حمياها وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاها إن أعشبت روضة رعيناها أو نكرت حلة غزوناها أو عرضت عانة مقزعة صدنا بأخرى الجياد أولاها أو عبرت هجمة بنا تركت تكوس بين الشروب عقراها والخيل مطرودة وطاردة تجر طولى القنا وقصراها يعجبها قتلها الكماة ولا ينظرها الدهر بعد قتلاها وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها ومن مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها أبا شجاع بفارس عضد الدولة فناخسرو شهنشاها أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة نكرناها تقود مستحسن الكلام لنا كما تقود السحاب عظماها هو النفيس الذي مواهبه أنفس أمواله وأسناها لو فطنت خيله لنائله لم يرضها أن تراه يرضاها لا تجد الخمر في مكارمه إذا انتشى خلة تلافاها تصاحب الراح أريحيته فتسقط الراح دون أدناها تسر طرباته كرائنه ثم تزيل السرور عقباها بكل موهوبة مولولة قاطعة زيرها ومثناها تعوم عوم القذاة في زبد من جود كف الأمير يغشاها تشرق تيجانه بغرته إشراق ألفاظه بمعناها دان له شرقها ومغربها ونفسه تستقل دنياها تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها فإن أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها وصارت الفيلقان واحدة تعثر أحياؤها بموتاها ودارت النيرات في فلك تسجد أقمارها لأبهاها الفارس المتقي السلاح به المثني عليه الوغى وخيلاها لو أنكرت من حيائها يده في الحرب آثارها عرفناها وكيف تخفى التي زيادتها وناقع الموت بعض سيماها الواسع العذر أن يتيه على الدنيا وأبنائها وما تاها لو كفر العالمون نعمته لما عدت نفسه سجاياها كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعة

عندهم ولا جاها ول السلاطين من تولاها والجأ إليه تكن حدياها ولا نعرنـــك
الإمارة في غير أمير وإن بها باهى فإنما الملك رب مملكة قد فغم الخـــافقين
رياها مبتسم والوجوه عابسة سلم العدى عنده كهيجاها الناس كالعابدين آلهـــة
وعبده كالموحد اللـــه " .

التَّصْغيرُ

ثم اعلم - يا بني - أن الشاعر الذي استحدث بتغيير صيغة المفرد صيغةَ مثناه ؛ فاستغنى بها عن إعادته ، وصيغةَ جمعه ؛ فاستغنى بها عن تكراره - استحدث بتغيير صيغة المفرد مرة ثالثة صيغةَ مُصَغَّرِه ؛ فاستغنى بها عن نَعْته !

ربما كان يقول :

١ هذا بابٌ صَغير .

٢ هذا مَسْجد صَغير .

٣ هذا ميزان صَغير .

ناعِتًا الأشياء الصغيرة بنُعوت صِغَرها ، فصار يقول :

١ هذا بُوَيْب .

٢ هذا مُسَيْجِد .

٣ هذا مُوَيزين .

ملتزما في الثلاثة ضمَّ الأول وفتحَ الثاني - فإن لم يَتَحمّل الفتح رده إلى أصله أو قلبه واوا ليتحمّلها - وإضافةَ ياء ساكنة (أداة التصغير) ثالثا - فإن لم يبق فيه ما يلي الياء ، ردّ آخره المحذوف ، أو أضاف إليه ما يحميها من خلفها - : " بُوَيْب = فُعَيْل ، ... = فُعَيْـ ، ... = فُعَيْـ " ، وكَسَرَ ما بعد الياء وقَبْلَ آخرِ الكلمة : " مُسَيْجِد = فُعَيْعِل ، ... = فُعَيْعِـ " ، وجَعَلَ حرف اللّين وحده - إن كان بعد ما بعد ياء التصغير وقبل آخر الكلمة - ياءً - إن لم يكن ياءً - : " مُوَيْزين = فُعَيْعيل " !

وهو الذي أكثر في الدلالة على بقايا الأشياء ، من استعمال صيغة " فُعالة = كُناسة ، نُخالة ، بُرادة " !

أتُرى جرى الشاعر في ضم أول المصغر ثم فتح ثانيه ثم إضافة الياء الساكنة ، مجراه في صيغة بقايا الأشياء – وإن أبدَلَ منَ الألف الياءَ الساكنةَ مثلَها – أمْ جَرى في صيغة بقايا الأشياء مَجْراه في التصغير ؟

سواء لديَّ هذا وذاك ؛ فلقد بَيَّنَ كلٌّ منهما الآخرَ ، وتبين به ؛ فانكشف طرف من منهج الشاعر في الصياغة ، و" الشِّعْرُ ضَرْبٌ مِنَ الصِّياغَةِ " !

ثم إنه استطاع أن يوسع هذا التصغير ليتحمل دلالات أخرى من صنفه ، كالترحم : " كَمْ – يا مُسَيكين – تَبكي " ، والتحبّب : " اعْلَمْ – يا بُنَيَّ – أنّ ... ! " ، والتقليل : " لُقَيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه " ، والتقريب : " قُبَيلَ الصُّبْحِ بُلَيْتَهَا السَّماء " ، والتحقير : " أُسَيِّدٌ يَتَلَقَّطُ قَرَدَ القُمامِ ، يَأْكُلُ الدَّمَ وَهُوَ لَهُ حَلالٌ " !

بل قد حمله أحيانا من دلالات ضده – فبالضد يظهر الضد – كالتعظيم : " أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُها المُرَجَّبُ " ، والتَّبْشيع :

" وَكُلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْها الْأَنامِلِ " !

بل قد استطاع أن يزيد ذلك التصغيرَ تصغيرًا ؛ فعَمَدَ إلى كل مُصَغَّرٍ بقيت فيه مع تصغيره زيادة على أصوله ، فرَخَّمَه بحذفها ثم تصغيره على حسب ما يبقى فيه بعدئذ ، على النحو التالي :

١ هذا سُجَيْد .

٢ هذا وُزَيْن .

فبالغ في تأكيد دلالاته ! ولا يخفى أنه لما لم تبق بـ" بُوَيْب " المصغَّر مِنْ زيادة ، لم يَتَحَمَّل الترخيم !

وعلى النحو السابق نفسه من مراعاة حال المفرد في أثناء الجمع ، أتحرى فيما يأتي ، ترتيب ما آثرت تصغيره من المفردات ، في حالي الوقف على المفرد والوقف على المصغر كليهما جميعا ، ترتيبا صوتيا :

م	المفرد	وزنه	مصغره	قالب التصغير	ترخيم مصغره	قالب الترخيم
١	ثوب	فَعْل	ثُوَيْب	فُعَيْل	x	x
٢	ظَهْر	فَعْل	ظُهَيْر	فُعَيْل	x	x
٣	صَعْب	فَعْل	صُعَيْب	فُعَيْل	x	x
٤	كَلْب	فَعْل	كُلَيْب	فُعَيْل	x	x
٥	نُبّ	فُعْل	نُبَيْب	فُعَيْل	x	x
٦	رام	فاع	رُوَيْم	فُعَيْعِل	رُمَيّ	فُعَيْل
٧	وَعِل	فَعِل	وُعَيْل	فُعَيْل	x	x
٨	وَلَد	فَعَل	وُلَيْد	فُعَيْل	x	x
٩	جَعْفَر	فَعْلَل	جُعَيْفِر	فُعَيْعِل	x	x
١٠	مَسْجِد	مَفْعِل	مُسَيْجِد	فُعَيْعِل	سُجَيْد	فُعَيْل
١١	قارِئ	فاعِل	قُوَيْرِئ	فُعَيْعِل	قُرَيْء	فُعَيْل
١٢	سافِر	فاعِل	سُوَيْفِر	فُعَيْعِل	سُفَيْر	فُعَيْل
١٣	مُدّه	فُعْلَه	مُدَيْدَه	فُعَيْل	x	x
١٤	سِكّه	فِعْلَه	سُكَيْكَه	فُعَيْل	x	x

١٥	أحمَر	أفعَل	أحَيمِر	فُعَيْعِل	حُمَيْر	فُعَيْل
١٦	عَزيز	فَعيل	عُزَيِّز	فُعَيْعِل	عُزَيْز	فُعَيْل
١٧	ظَريف	فَعيل	ظُرَيِّف	فُعَيْعِل	ظُرَيْف	فُعَيْل
١٨	غُلام	فُعال	غُلَيِّم	فُعَيْعِل	غُلَيْم	فُعَيْل
١٩	طعام	فَعال	طُعَيِّم	فُعَيْعِل	طُعَيْم	فُعَيْل
٢٠	عَجوز	فَعول	عُجَيِّز	فُعَيْعِل	عُجَيْزه	فُعَيْل
٢١	جَريح	فعيل	جُرَيِّح	فُعَيْعِل	جُرَيْح	فُعَيْل
٢٢	غفور	فَعول	غُفَيِّر	فُعَيْعِل	غُفَيْر	فُعَيْل
٢٣	كُرسيّ	فُعليّ	كُرَيسيّ	فُعَيْعيل	كُرَيْس	فُعَيْل
٢٤	صَحْراء	فَعْلاء	صُحَيْراء	فُعَيْل	صُحَيْرَه	فُعَيْل
٢٥	مَوْماه	فَعْلاه	مُوَيْمِيه	فُعَيْعِل	مُوَيْمَه	فُعَيْل
٢٦	صاحِبه	فاعله	صُوَيْحِبه	فُعَيْعِل	صُحَيْبَه	فُعَيْل
٢٧	صائمه	فاعِل	صُوَيِّمَه	فُعَيْعِل	صُوَيْمَه	فُعَيْل

ولقد ينبغي للمتلقي أن ينتبه إلى تجلي مسلك التصغير الإيقاعي التأليفي ؛ فإنه إذا تأمل طوائف المفردات الست المجدولة فيما سبق جدولة صوتية ، عثر في تصغيرها على الأنماط الأربعة الآتية :

١ تصغير مفردات الطائفتين الأولى (مستطيل " دن " : ١ - ٦) ، والثانية (قصير فطويل " ددن " (٧ ، ٨) ، كلها :

- *قصير فمستطيل : " ددنّ " .*

٢ تصغير مفردات الطائفتين الثالثة (طويل فطويـــل " دن دن " : ٩ – ١٥) ، والرابعة (قصير فمستطيل " ددنّ " : ١٦ – ٢٢) ، كلهما :

- قصير فطويل فطويل : " ددن دن " .

٣ تصغير مفردي الطائفة الخامسة الأوليـــين (طويـــل فمســـتطيل " دن دنّ " : ٢٣ ، ٢٤) ، كليهما :

- قصير فطويل فمستطيل : " ددن دنّ " .

٤ تصغير آخر مفردات الطائفة الخامسة (طويل فمستطيل " دن دنّ " : ٢٥) ، والطائفة السادسة (طويل فقصير فطويل " دن ددن " : ٢٦ ، ٢٧) كلها :

- قصير فطويل فقصير فطويل : " ددن ددن " .

وفضلا عما جمع بينه إيقاعُ التصغير من إيقاعات الكلمات المختلفة ، لا يخفى ما في الأنماط الثلاثة (١ ، ٢ ، ٤) ، من دلالة على وحدة حركته الإيقاعية ؛ ففي الانتقال من النمط الأول " ددنّ " ، إلى الثـــاني " ددن دن " ، إضافة مقطع قصير " د " قبل آخر ساكني المقطع الأخير المستطيل ، وفـــي الانتقال من النمط الثاني " ددن دن " ، إلى النمط الرابع " ددن ددن " ، إضافة مقطع قصير كذلك قبل المقطع الأخير الطويل .

ولقد خرج النمط الثالث " ددن دنّ " على تلـــك الحركـــة الواحـــدة ، بالانتقال إليه من النمط الأول " ددنّ " ، بإضافة مقطع طويل بعـــد المقطـــع الأول القصير !

ولن يتعاظم المتلقي أن يعثر بين هذه الأنماط الأربعة ، على علاقة إيقاعية واضحة :

فإن " ددنٓ " و" ددن دن " صورتا " فعولن " في ضرب بيت المتقارب ، إذا قصرت ، ثم إذا سلمت .

وإن " ددن دنٓ " ، و" ددن ددن " ، صورتا " مفاعيلن " في ضرب بيت الهزج ، إذا كفت ، ثم إذا قبضت .

وإن " فعولن " نفسها هي صورة " مفاعيلن " ، إذا حذفت !

ثم إن المتلقي إذا تأمل أنماط التصغير الأربعة المجدولة فيما سبق ، عثر في ترخيمها على النمطين الآتيين :

١ في ترخيم تصغير النمط الأول (قصير فمستطيل : " ددنٓ ") ، وأغلب الثاني (قصير فطويل فطويل : " ددن دن ") :

- قصير فمستطيل : " ددنٓ " .

٢ في ترخيم تصغير بعض النمط الثاني (قصير فطويل فطويل : " ددن دن ") ، والثالث (قصير فطويل فمستطيل : " دن ددن ") ، والرابع (قصير فطويل فقصير فطويل : " ددن ددن) :

- قصير فطويل فطويل : " ددن دن " .

وفضلا عما جمع بينه إيقاع ترخيم التصغير من إيقاعات الكلمات المختلفة ، لا يخفى ما في نمطيه الاثنين ، من دلالة على وحدة حركته الإيقاعية ؛ ففي الانتقال من النمط الأول " ددنٓ " ، إلى الثاني " ددن دن " ، إضافة مقطع قصير " د " قبل آخر ساكني المقطع الأخير المستطيل .

ولن تخفى على المتلقي علاقةُ ما بين نمطيه الإيقاعيةُ الواضحةُ ؛ فإن " ددنّ " و" ددن دن " صورتا " فعولن " في ضـــرب بيــت المتقـــارب ، إذا قصرت ، ثم إذا سلمت .

إن المتلقي إذا تنكر بالجدول الآتي ، ما صَـنَعَتْه إيقاعــات جمــوع التكسير ، بإيقاعات مفرداتها ، مما سبق في " تعليقات على جمع التكسير " :

م	أصناف إيقاعات الجموع	أصناف إيقاعات مفرداتها	ج
١	دنّ	١٥ ،	١
٢	ددن	١٣ ، ١٤ ، ٢٢	٣
٣	دن دن	٥ ، ٨ ، ٢١ ، ٢٧	٤
٤	ددنّ	٣ ، ٤ ، ٧ ، ٢٥	٤
٥	دن دنّ	١ ، ٢ ، ١١ ، ١٨	٤
٦	دددن	٦ ، ١٢	٢
٧	دددنّ	١٧	١
٩	دن ددن	١٩	١
٨	ددن دن	٩ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦	٥
١٠	ددن دنّ	١٦ ، ٢٣	٢
ج	١٠	٢٧	

- اطلع على ما في إيقاعات التصغير ، من معنى التأليف الواضح بين إيقاعات المفردات ؛ فأين أَرْبَعَةُ أَنْماطِه مِنْ عَشَرَةِ أَنْماطِ التَّكْسيرِ !

ثم اطلع على ما في إيقاعات ترخيم التصغير ، من معنى التأليف الواضح بين إيقاعات التصغير ؛ فأين نمطاه من أربعة أنماط التصغير !

ولقد يظن المتلقي بما يرى من الانتقال من عشرة إيقاعات ، إلى أربعة ، ثم إلى اثنين ، أن الشاعر يضاعف خطاه في سبيل امتزاج الكَلِم في إيقاع واحد !

تَعليقاتٌ علَى النَّصِّ الْخامِسِ

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق - يا بني - ولطافته ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغا ؛ حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، فقال نصه الخامس ، وعثرت فيه من المصغر على أربعة الأسماء الآتية :

" قُبَيْل ، عُبَيْد اللَّه ، قُرَيْش ، لُؤَيّ " .

أقبلتَ تَستَنْطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصْنِتُ نَواطِقَه ، وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغة ، حتى تُخَرِّجَهما في علم الصَّرْف ، فاستبنت أنها متلاقية في التصغير وفي التكبير :

فلا يخفى - ولا على الضَّبُع - أنها قَدْ صُغِّرَتْ مِنْ " فُعَيْل " قَالَبِ الثلاثي وما أشبهه .

ثم إن مكبراتها كلها على " فَعْل " وزنِ الثلاثي المجرد : " قَبْل ، عَبْد الله ، قَرْش (جَمْع ، وضَمّ) ، لَأْي (بُطْء ومَشَقَّة) " !

وإن لم يُمكِنْ وَزْنُ " قُبَيْل " إلا بمراعاة أصل خروجها من مادة " ق ب ل " المعروفة ، التي لها فيها أخوات ، ثم فارقتها هي ، وجرت مَجْرَى لا

يُعْتَبَأ فيه بوزن ، هو مجرى الظروف التي لا ورود لصِنْفها في الوَزْن الصَّرْفي - فإن الوزن الصرفي هو كَشّاف التصريف الذي وُضِعَ أصلا لضبط صور الكلمة المتصرِّفة ، وباب الظروف غير مفتوح للتَّصَرُّف على مِصْراعيه !

ولقد كان وراء تلاقي أوزان هذه الكلمات ، تلاقي حاجات شاعرنا الإيقاعية إليها ، في مواضعها من أبياتها :

ددن د = قُبَيْلَ = علاتُ .

ددن د = عُبَيْدِ = عِلُنْ مُـ .

ددن د = قُرَيْشِ = عِلُنْ مَفـ .

ددن د = لُؤَيّ = عِلُنْ مَـ !

ثم استبنت أنها على رغم ذلك ، ثلاثة أنواع :

١ مفرد (اسم) : قُرَيْش ، لُؤَيّ .

٢ مفرد (ظرف) : قُبيل .

٣ مضاف (اسم) : عُبَيْد الله .

فعلى رغم إضافة ظرف الزمان إلى الجملة الفعلية ، كما أضيف في العلم " عُبَيْد " إلى اسم الجلالة " الله " - يُصَنَّف " قُبيل " ، في المفرد على رغم إضافته بعده إلى جملة " أفقدها " - وكلا طرفي المركب الإضافي مضاف إلى صاحبه - إذ لا يلزمه المضاف إليه ، أما " عُبَيد " فيُصَنَّف في تصغير المركب الإضافي ، لأنه يلزمه المضاف إليه ، ولو نادينا صاحبه : يا عُبَيْد ، لكان حَرِيًّا ألا يجيب !

ثُمَّتَ استبنتَ أنها كلها من الصحيح السالم ، إلا كلمة " لُؤَيّ " ، فهـي من شبه الصحيح ، وهو مما يجري في التصغير مجرى الصحيح ، ولا سيما إذا كان يائي اللام كـ" لَأْي " ؛ فلم يُغَيِّرْ فيها للتصغير شَيْءٌ .

ثُمَّتَ استبنتَ في تصغير " قُبَيْل " ، معنى التقريب الذي يربط مصـير شاعرنا بمصير حبيبته – وفي " قُرَيْش ، لُؤَيّ " ، معنى التعظيم المستمر في أجداد رسول الله – صلى الله عليه ، وسلم ! – المُطَهَّرين له منذ الأَزل !

وفي تصغير " عُبَيْد الله " ، معنى الاسترحام المبني في إبّان ولادتـه على التحقير من شأنه حمايةً له من العقاب والغضب ، حتى إذا ما كَبِرَ الوليد ذَهَبَ التَّحقير ، وجاء التَّعظيم ؛ فقال الناس : " الأَسماءُ لا تُعَلَّل " !

ذاك عمل عملته لك أنت – يا بني – بالنص الخامس ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين الخامس ، مثلما عملت لك !

بَحْرُ الْخَفيف

ثم اعلم – يا بني – أن شاعرنا الذي مل من قبل توقيعة " دَنْ دَدَنْ دَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة ، في تفعيلة " فاعلاتُنْ " ذات السبب الخفيف (فا) فالوتد المجموع (علا) فالسبب الخفيف (تن) ، في صيغة " فاعِلاتٌ " ، في كلمة " قابِلاتٌ " مثلا الاسم الجمع غير المقصور ولا الممدود ، وبحرَ الرمل المستخرج بتكرارها ، وتَوقيعَةَ " دَنْ دَنْ دَدَنْ " ذات النَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقة فالسَّكْتة فالنَّطْقتين فالسَّكْتة ، في تفعيلة " مُسْتَفْعِلُنْ " ذات السبب الخفيف (مس) فالوتد المفروق (تفع) فالسبب الخفيف (لن) ، في صيغة " مُسْتَفْعَلٌ " ، في كلمة " مُسْتَقْبَلٌ " مثلا الاسم المفرد المنكر غير المقصور ولا الممدود ولا المصغر ولا المنسوب ، وبحرَ الرجز المستخرج <u>بتكرار شبيهتها</u> – يدخل الثانية على الأولى ، ويستخرج بحر الخفيف بتكرارها هكذا ، مثلا من الهزل :

دن ددن دن	دن دن ددن	دن ددن دن	دن ددن دن	دن دن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	مستفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	مستفع لن	فاعلاتن
قابِلاتٌ	مُستَقْبَلٌ	قابِلاتٌ	قابِلات	مُستَقْبَلٌ	قابِلات

حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، قال :

القصيدة السادسة :

" مالنا كلنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول كلما عاد من بعثت إليها غار مني وخان فيما يقول أفسدت بيننا الأمانات عيناها وخانت قلوبهن العقول تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق إليها والشوق حيث النحول وإذا خامر الهوى قلب صب فعليه لكل عين دليل زودينا من حسن وجهك ما دام فحسن

الوجوه حال تحول وصلينا نصلك في هذه الدنيا فإن المقام فيها قليل من رآها
بعينها شاقه القطان فيها كما تشوق الحمول إن تريني أدمت بعد بياض فحميد
من القناة الذبول صحبتني على الفلاة فتاة عادة اللون عندها التبديل ستـــرتك
الحجال عنها ولكن بك منها من اللمى تقبيل مثلها أنــت لــوحتني وأســقمت
وزادت أبهاكما العطبول نحن أدرى وقد سألنا بنجد أقصير طريقنا أم يطــول
وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل لا أقمنا على مكان وإن طاب
ولا يمكن المكان الرحيل كلما رحبت بنا الروض قلنا حلــب قصـــدنا وأنــت
السبيل فيك مرعى جيادنا والمطايا وإليها وجيفنا والذميل المســمون بــالأمير
كثير والأمير الذي بها المأمول الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداه مقابلي مــا
يزول ومعي أينما سلكت كأني كل وجه له بوجهي كفيل وإذا العذل في الندى
زار سمعا ففداه العذول والمعذول ومول تحييهم من يديه نعــم غيــرهم بهــا
مقتول فرس سابق ورمح طويل ودلاص زغف وسيف صقيل كلما صــبحت
ديار عدو قال تلك الغيوث هذي السيول دهمته تطاير الزرد المحكم عنه كمــا
يطير النسيل تقنص الخيل خيله قنص الوحش ويستأسر الخميس الرعيل وإذا
الحرب أعرضت زعم الهول لعينيه أنه تهويل وإذا صح فالزمان صحيح وإذا
اعتل فالزمان عليل وإذا غاب وجهه عن مكان فبه من ثناه وجه جميل لــيس
إلاك يا علي همام سيفه دون عرضه مسلول كيف لا يأمن العــراق ومصــر
وسراياك دونها والخيول لو تحرفت عن طريق الأعادي ربط السدر خــيلهم
والنخيل ودرى من أعزه الدفع عنه فيهما أنه الحقير الذليل أنت طول الحيــاة
للروم غاز فمتى الوعد أن يكون القفول وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى

أي جانبيك تميل قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول مـــا الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول لست أرضى بأن تكون جوادا وزماني بأن أراك بخيل نغص البعد عنك قرب العطايــا مرتعـــي مخصـــب وجسمي هزيل إن تبوأت غير دنياي دارا وأتاني نيل فأنت المنيل من عبيدي إن عشت لي ألف كافور ولي من نداك ريف ونيل ما أبالي إذا اتقتك الرزايا من دهته حبولها والخبول " .

فأقبلت تَستَنطِقُ صَوامِتَه ، وتَستَصْمِتُ نَواطِقَه ؛ فتستعين بما تعرف من اللغة على ما تجهل من العروض ؛ حتى تُخَرِّجَ قصيدته في علم العروض ، على النحو الآتي :

ما لَنا كُلْ	لُنا جَوِ	يا رَسول	أنا أهوى	وَقَلْبُكَ الْ	مَتْــبول
دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فالاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	مشعثة
كُلّما عا	دَ مَنْ بَعَثْ	تُ إِلَيها	غارَ مِنّي	وَخانَ في	ما يَقول
دن ددن دن	ددن ددن	دددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	صحيحة
أَفْسَدَتْ بَيْ	نَنا الْأَما	ناتِ عَيْنا	ها وَخانَتْ	قُلوبَهُنْ	نَ الْعُقول
دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
تَشْتَكي ما اشْ	تَكَيْتُ مِنْ	طَرَبِ الشَّوْ	قِ إِلَيها	وَالشَّوْقُ حَيْ	ثُ النُّحول
دن ددن دن	ددن ددن	دددن دن	دددن دن	دن دن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	مستفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	صحيحة
وَإِذا خا	مَرَ الْهَوى	قَلْبَ صَبٍّ	فَعَلَيْه	لِكُلِّ عَيْ	نٍ دَليل

دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
زَوِّدينا	مِنْ حُسْنِ وَجْ	هِكِ ما دا	مَ فَحُسْنُ الْ	وُجوهِ حا	لٌ تَحول
دن ددن دن	دن دن ددن	دددن دن	دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	مستفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَصِلينا	نَصِلْكِ في	هذِهِ الدُّنْ	يا فَإنَّ الْ	مُقامَ في	ها قَليل
دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
مَنْ رَآها	بِعَيْنِها	شاقَهُ الْقُطْ	طانُ فيها	كَما تَشو	قُ الْحُمول
دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
إنْ تَرَيْني	أَنَمْتُ بَعْ	دَ بَياضٍ	فَحَميدٌ	مِنَ الْقَنا	ةِ الذُّبول
دن ددن دن	ددن ددن	دددن دن	دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
صَحِبَتْني	عَلى الْفَلا	ةِ فَتاةٌ	عادَةُ اللَّوْ	نِ عِنْدَها التْ	تَبْديل
دددن دن	ددن ددن	دددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فالاتن
مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مشعثة
سَتَرَتْكِ الْ	حِجالُ عَنْ	ها وَلَكِنْ	بِكِ مِنْها	مِنَ اللَّمى	تَقْبيل
دددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فالاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	مشعثة
مِثْلُها أَنْ	تِ لَوَّحَتْ	ني وَأَسْقَمْ	تِ وَزَلَتْ	أَبْهاكُما الْ	غُطْبول
دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	دددن دن	دن دن ددن	دن دن دن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	مستفع لن	فالاتن

سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	سالمة	مشعثة
نَحْنُ أَدْرَى	وَقَدْ سَأَلْ	نا بِنَجْدٍ	أَقَصِيرٌ	طَرِيقُنا	أَمْ يَطُول
لن للن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	للن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَكَثِيرٌ	مِنَ السُّؤا	لِ اشْتِيَاقٌ	وَكَثِيرٌ	مِنْ رَدِّهِ	تَعْلِيل
لللن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	لن لن للن	لن لن لن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	مستفع لن	فالاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	سالمة	مشعثة
لا أَقَمْنَا	عَلَى مَكا	نٍ وَإِنْ طا	بَ وَلا يُمْ	كِنُ الْمَكا	نَ الرَّحِيل
لن للن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	للن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
كُلَّمَا رَحْ	حَبَتْ بِنا الرْ	رَوْضُ قُلْنا	حَلَبٌ قَصْ	دُنَا وَأَنْ	تَ السَّبِيل
لن للن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	للن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
فِيكِ مَرْعَى	جِيَادِنَا	وَالْمَطَايَا	وَإِلَيْهَا	وَجِيفُنَا	وَالذَّمِيل
لن للن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	للن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَالْمُسَمَّوْ	نَ بِالْأَمِي	رِ كَثِيرٌ	وَالْأَمِيرُ الْ	لَذِي بِهَا الْ	مَأْمُول
لن للن لن	للن للن	لللن لن	لن للن لن	للن للن	لن لن لن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فالاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مشعثة
الَّذِي زُلْ	تُ عَنْهُ شَرْ	قًا وَغَرْبًا	وَنَدَاهُ	مُقَابِلِي	مَا يَزُول
لن للن لن	للن للن	لن للن لن	لللن لن	للن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَمَعِي أَيْ	نَمَا سَلَكْ	تُ كَأَنِّي	كُلُّ وَجْهٍ	لَهُ بِوَجْ	هِي كَفِيل

ددن دن	ددن ددن	ددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	صحيحة
فَإِذا الْعَذْ	لُ في النَّدى	زارَ سَمْعًا	قَفِداهُ الْ	عَذولُ وَالْ	مَعْذول
ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	ددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فالاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	مشعثة
وَمَوالٍ	تُحَيِّيهِمِ	مِنْ يَدَيْه	نِعَمٌ غَيْ	رُهُمُ بِها	مَقْتول
ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	ددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فالاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	مشعثة
فَرَسٌ سا	بِقٌ وَرُمْ	حٌ طَويل	وَدِلاصٌ	زَغْفٌ وَسَيْ	فٌ صَقيل
ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن	ددن دن	ددن دن	دن ددن دن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	فعلاتن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
كُلَّما صَبْ	بَحَتْ بِيا	رَ عَدُوٌّ	قالَ تِلْكَ الْ	غُيوثُ هـ	ذي السُّيول
دن ددن دن	ددن ددن	ددن دن	دن ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	صحيحة
دَمَتْه	تُطايِرُ الز	زَرَدَ الْمُحْ	كَمْ عَنْه	كَما يَطي	رُ النُّسيل
ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
تَقْنِصُ الْخَيْ	لَ خَيْلُه	قَنَصَ الْوَحْ	شِ وَيَسْتَأْ	سِرُ الْخَمي	سَ الرَّعيل
دن ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن	ددن ددن	دن ددن دن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَإِذا الْحَرْ	بُ أَعْرَضَتْ	زَعَمَ الْهَوْ	لُ لِعَيْنَيْ	هِ أَنَّه	تَهْويل
ددن دن	ددن ددن	ددن دن	ددن دن	ددن ددن	دن دن دن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فالاتن

مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مشعثة
وَإِذا صَحَّ	حَ فَالزَّما	نُ صَحيحٌ	وَإِذا اعتَلْ	لَ فَالزَّما	نُ عَليل
تتتن تن	تتن تتن	تتتن تن	تن تتن تن	تتن تتن	تتتن تن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن
مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة
وَإِذا غا	بَ وَجْهُه	عَنْ مَكانٍ	فَيهِ مِنْ	ثَناهُ وَجْ	هُ جَميل
تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن	تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
لَيسَ إلا	كَ يا عَلي	يُ هُمامٌ	سَيْفُه دو	نَ عِرْضِه	مَسْلول
تن تتن تن	تتن تتن	تتتن تن	تن تتن تن	تتن تتن	تن تن تن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فالاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مشعثة
كَيفَ لا يَأْ	مَنُ الْعِرا	قُ وَمِصْرٌ	وَسَرايا	كَ دونَها	وَالْخُيول
تن تتن تن	تتن تتن	تتتن تن	تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
لَوْ تَحَرَّفْ	تَ عَنْ طَرِي	قِ الْأَعادي	رَبَطَ السَّدْ	رُ خَيْلَهُمْ	وَالنَّخيل
تن تتن تن	تتن تتن	تن تتن تن	تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَدَرى مَنْ	أَعَزَّهُ الذْ	دَفْعُ عَنْه	فيهِما أَنْ	نَهُ الْحَقي	رُ الذَّليل
تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن	تن تتن تن	تتن تتن	تن تتن تن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
أَنْتَ طولَ الْ	حَياةِ لِلرْ	رومِ غازٍ	فَمَتى الْوَعْ	دُ أَنْ يَكو	نَ الْقُفول
تن تتن تن	تتن تتن	تن تتن تن	تتتن تن	تتن تتن	تن تتن تن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
وَسِوى الرّو	مِ خَلْفَ ظَهْ	رِكَ رومٌ	فَعَلى أَيْ	يِ جانِبَيْ	كَ تَميل

للن لن	لن للن	للن لن	للن لن	لن للن	للن لن
فعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فعلاتن
مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة
قَعَدَ النّا	سُ كُلُّهُمْ	عَنْ مَساعي	كَ وقامَتْ	بِها القَنا	وَالنُّصول
للن لن	لن للن	لن للن لن	للن لن	لن للن	لن للن لن
فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
مخبونة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	مخبونة	صحيحة
ما الّذي عَنْ	دَهِ تُدا	رُ المَنايا	كالّذي عَنْ	دَهِ تُدا	رُ الشَّمول
لن للن لن	لن للن	لن للن لن	لن للن لن	لن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
لَسْتُ أَرْضى	بِأَنْ تَكو	نَ جَوادًا	وَزَماني	بِأَنْ أَرا	كَ بَخيل
لن للن لن	لن للن	للن لن	للن لن	لن للن	للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فعلاتن	فعلاتن	متفع لن	فعلاتن
سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	مخبونة
نَقَصَ البُعْ	دُ عَنْكَ قُرْ	بَ العَطايا	مَرْتَعي مُخْ	صِبٌ وَجِسْ	مي هَزيل
لن للن لن	لن للن	لن للن لن	لن للن لن	لن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
إنْ تَبَوَّأْ	تَ غَيْرَ دُنْ	ياي دارًا	وَأَتاني	نَيْلٌ فَأَنْ	تَ المُنيل
لن للن لن	لن للن	لن للن لن	للن لن	لن لن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فعلاتن	مستفع لن	فاعلاتن
سالمة	مخبونة	صحيحة	مخبونة	سالمة	صحيحة
مَنْ عَبيدي	إنْ عِشْتَ لي	أَلْفُ كافو	رِ وَلي مِنْ	نَداكَ ري	فٌ وَنيل
لن للن لن	لن لن للن	لن للن لن	لن للن لن	لن للن	لن للن لن
فاعلاتن	مستفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن
سالمة	سالمة	صحيحة	سالمة	مخبونة	صحيحة
ما أُبالي	إذا اتَّقَتْ	كَ الرَّزايا	مَنْ دَهَتْه	خُبولها	وَالخُبول
لن للن لن	لن للن	لن للن لن	لن للن لن	لن للن	لن للن لن
فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفع لن	فاعلاتن

سالمة   مخبونة   صحيحة   سالمة   مخبونة   صحيحة

فاستبنتَ أنها خفيفية الأبيات الوافيةِ الصحيحةِ الأعاريضِ والأضــربِ (السّالِمَتِها) – لاميةَ القوافي المضمومةِ المردفةِ بواو المد أو يائه الموصولةِ بالواو .

وتستعين بما تعرف من العروض على ما تجهل من اللغــة ؛ حتــى تُخَرّجَ نصه في علم اللغة ، على النحو الآتي :

١ " ما لَنا كُلُّنا جَوٍ يا رَسولُ   أنا أهْوى وقَلْبُكَ الْمَتبولُ

٢ كُلّما عادَ مَنْ بَعَثْتُ إلَيْها غارَ مِنّي وَخانَ فيما يَقولُ

٣ أفْسَدَتْ بَيْنَنا الْأماناتِ عَيْناها وَخانَتْ قُلوبَهُنَّ الْعُقولُ

٤ تَشْتَكي ما اشْتَكَيْتُ مِنْ طَرَبِ الشَّوْقِ إلَيْها وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحولُ

٥ وَإذا خامَرَ الْهَوى قَلْبَ صَبٍّ فَعَلَيْه لِكُلِّ عَيْنٍ دَليلُ

٦ زَوِّدينا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكِ ما دامَ فَحُسْنُ الْوُجوهِ حالٌ تَحولُ

٧ وَصِلينا نَصِلْكِ في هذه الدُّنْيا فَإنَّ الْمُقامَ فيها قَليلُ

٨ مَنْ رَآها بِعَيْنِها شاقَهُ الْقُطّانُ فيها كَما تَشوقُ الْحُمولُ

٩ إنْ تَرَيْني أدْمَتُ بَعْدَ بَياضٍ فَحَميدٌ مِنَ الْقَناةِ الذُّبولُ

١٠ صَحِبَتْني عَلى الْفَلاةِ فَتاةٌ عادَةُ اللَّوْنِ عِنْدَها التَّبْديلُ

١١ سَتَرَتْكَ الْحِجالُ عَنْها وَلكِنْ بِكَ مِنْها مِنَ اللَّمى تَقْبيلُ

١٢ مِثْلُها أنْتَ لَوَّحَتْني وَأسْقَمَتْ وَزادَتْ أبْهاكُما الْعُطْبولُ

١٣ نَحْنُ أدْرى وَقَدْ سَألْنا بِنَجْدٍ أقَصيرٌ طَريقُنا أمْ يَطولُ

١٤ وَكَثيرٌ مِنَ السُّؤالِ اشْتِياقٌ وَكَثيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْليلُ

١٥ لا أقمنا على مكانٍ وإنْ طابَ ولا يُمكنُ المكانَ الرَّحيل

١٦ كُلَّما رَحَّبَتْ بنا الرَّوضُ قُلنا حَلَبٌ قَصدُنا وأنتِ السَّبيل

١٧ فيكِ مَرعى جيادِنا والمطايا وإليها وَجيفُنا والذَّميل

١٨ والمُسَمَّوْنَ بالأميرِ كثيرٌ والأميرُ الّذي بها المأمول

١٩ الّذي زُلتُ عَنهُ شرقًا وغربًا ونَداه مُقابِلي ما يَزول

٢٠ ومَعي أينَما سَلَكتُ كأنّي كُلُّ وَجهٍ له بوَجهي كَفيل

٢١ فإذا العَذلُ في النّدى زارَ سَمعًا ففداهُ العَذولُ والمَعذول

٢٢ ومَوالٍ تُحييهِم مِنْ يَدَيهِ نِعَمٌ غَيرُهُمْ بها مَقتول

٢٣ فَرَسٌ سابِقٌ ورُمحٌ طَويل ودِلاصٌ زَغفٌ وسَيفٌ صَقيل

٢٤ كُلَّما صَبَّحَتْ دِيارَ عَدوٍّ قالَ تِلكَ الغُيوثُ هذي السُّيول

٢٥ دَهِمَتْه تُطايِرُ الزَّرَدَ المُحكَمَ عَنه كما يَطيرُ النَّسيل

٢٦ تَقنِصُ الخَيلَ خَيلُه قَنَصَ الوحشِ ويَستأسِرُ الخَميسَ الرَّعيل

٢٧ وإذا الحَربُ أعرَضَتْ زَعَمَ الهولُ لِعَينَيهِ أنّه تَهويل

٢٨ وإذا صَحَّ فالزَّمانُ صَحيحٌ وإذا اعتَلَّ فالزَّمانُ عَليل

٢٩ وإذا غابَ وَجهُه عَنْ مَكانٍ فَبِه مِنْ ثَناهُ وَجهٌ جَميل

٣٠ لَيسَ إلّاكَ يا عَليُّ هُمامٌ سَيفُه دونَ عِرضِه مَسلول

٣١ كَيفَ لا يأمَنُ العِراقُ ومِصرٌ وسَراياكَ دونَها والخُيول

٣٢ لَوْ تَحرَّفتَ عَنْ طَريقِ الأعادي رَبَطَ السِّدرُ خَيلَهُمْ والنَّخيل

٣٣ ودَرى مَنْ أعَزَّهُ الدَّفعُ عَنه فيهِما أنَّهُ الحَقيرُ الذَّليل

٣٤ أنتَ طولَ الحَياةِ لِلرّومِ غازٍ فمَتى الوَعدُ أنْ يَكونَ القُفول

٣٥ وَسوى الرّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رومٌ فَعَلى أيِّ جانِبَيْكَ تَميل
٣٦ قَعَدَ النّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَساعيكَ وَقامَتْ بِها الْقَنا وَالْنُّصول
٣٧ ما الَّذي عِنْدَه تُدارُ الْمَنايا كَالَّذي عِنْدَه تُدارُ الشَّمول
٣٨ لَسْتُ أَرْضى بِأَنْ تَكونَ جَوادًا وَزَماني بِأَنْ أراكَ بَخيل
٣٩ نَغَّصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطايا مَرْتَعي مُخْصِبٌ وَجِسْمي هَزيل
٤٠ إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيايَ دارًا وَأَتاني نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنيل
٤١ مِنْ عَبيدي إِنْ عِشْتَ لي أَلْفُ كافورٍ وَلي مِنْ نَداكَ ريفٌ وَنيل
٤٢ ما أُبالي إِذا اتَّقَتْكَ الرَّزايا مَنْ دَهَتْه خُبولُها وَالْخُبول " .

فاستبنتَ أنه نمط كذلك صعب مخيف منَ انْتِجاع بعض الكرام على فُصول المَنْهَج القديم ، بِتَفْتيقِ المعان البديعة في كل فصل من تلك الفصول .

ذاك عمل عملته لك أنت – يا بني – بالقصيدة السادسة ؛ فهلا عملت لي أنا بالتمرين السادس ، مثلما عملت لك !

التمرين السادس :

" لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام ليس عزما ما مرض المرء فيه ليس هما ما عاق عنه الظلام واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام ضاق ذرعا بأن أضيق به ذرعا زماني واستكرمتني الكرام واقفا تحت أخمصي قدر نفسي واقفا تحت أخمصي الأنام أقرارا ألذ فوق شرار ومراما أبغي وظلمي يرام دون أن يشرق الحجاز ونجد

والعراقان بالقنا والشآم شرق الجو بالغبار إذا سار علي بـن أحمـد القمقـام الأديب المهذب الأصيد الضرب الذكي الجعد السري الهمام والذي ريب دهره من أساراه ومن حاسدي يديه الغمام يتداوى من كثرة المال بالإقلال جودا كأن مالا سقام حسن في عيون أعدائه أقبح من ضيفه رأته السوام لو حمى سـيدا من الموت حام لحماك الإجلال والإعظام وعوار لوامع دينها الحل ولكن زيها الإحرام كتبت في صحائف المجد بسم ثم قيس وبعد قيس السلام إنما مرة ابن عوف بن سعد جمرات لا تشتهيها النعام ليلها صبحها من النار والإصباح ليل من الدخان تمام همم بلغتكم رتبات قصرت عن بلوغها الأوهـام ونفـوس إذا انبرت لقتال نفدت قبل ينفد الإقدام وقلوب موطنات على الروع كأن اقتحامها استسلام قائدو كل شطبة وحصان قد براهـا الإسـراج والإلجـام يتعثـرن بالرؤوس كما مر بتاءات نطقه التمتام طال غشيانك الكرائه حتى قـال فيـك الذي أقول الحسام وكفتك الصفائح الناس حتى قد كفتك الصفائح الأقلام وكفتك التجارب الفكر حتى قد كفاك التجارب الإلهام فارس يشتري بـرازك للفخـر بقتل معجل لا يلام نائل منك نظرة ساقه الفقر عليه لفقره إنعام خير أعضائنا الرؤوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام قد لعمري أقصرت عنك وللوفد ازدحام وللعطايا ازدحام خفت إن صرت في يمينك أن تأخذني في هباتك الأقوام ومن الرشد لم أزرك على القرب على البعد يعرف الإلمام ومن الخير بطء سـيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام قل فكم من جواهر بنظام ودهـا أنهـا بفيك كلام هابك الليل والنهار فلو تنهاهما لم تجز بك الأيام حسبك اللـه مـا تضل عن الحق وما تهتدي إليك أثام لم لا تحذر العواقب في غير الدنايا أو ما

عليك حرام كم حبيب لا عذر في اللوم فيه لك فيه من التقى لوام رفعت قدرك النزاهة عنه وثنت قلبك المساعي الجسام إن بعضا من القريض هـــذاء لــيس شيئا وبعضه أحكام منه ما يجلب البراعة والفضل ومنه ما يجلب البرسام" .

النَّسَبُ

ثم اعلم – يا بني – أن الشاعر الذي استحدث بتغيير صيغة المفرد صيغةَ مُثنّاه ؛ فاستغنى بها عن إعادته ، وصيغةَ جَمْعِه ؛ فاستغنى بها عن تكراره ، وصيغةَ مُصَغَّره ؛ فاستغنى بها عن نَعْتِه – استحدث بتغيير صيغة المفرد مرةً رابعةً صيغةَ مَنْسوبِه ؛ فاستغنى بها عن المضاف إليه !

ربما كان يقول :

١ هذهِ مَلامحُ فَتى الْحَضَرِ .

٢ هذهِ مَلامحُ فتى الرّيفِ .

٣ هذه مَلامحُ فتى الْهِنْدِ .

مضيفًا إلى الأشياء منتسباتها ، فصار يقول :

١ هذه مَلامحُ الْحَضَريِّ .

٢ هذه مَلامحُ الرّيفيِّ .

٣ هذه مَلامحُ الْهِنْديِّ .

ملتزما في الثلاثة كسر أواخرها ثم إضافة ياء مشددة إليها ، من بعد أن كانت فيها الكسرة نفسها علامة إضافة – وما أكثر ما استعمل علماء العربية القدماء ، مادة الإضافة ، في معاني النَّسَب والنِّسْبة – وهو الذي اتخذ الياء ضميرا له ، ينسب به الأشياء إلى نفسه : " كتابي " . وهل الكسرة والياء إلا من جنس صوتي واحد أغلب على العربية من غيره !

فهل اتخذ من كسرة المضاف إليه ، ياء ضمير المتكلم ، ثم من ياء ضمير المتكلم ياء النسب المشددة ، أم عكس ذلك ؛ فاتخذ من ياء النسب المشددة ياء ضمير المتكلم ، ثم من ياء ضمير المتكلم كسرة المضاف إليه ؟

سواء لديَّ هذا وذاك ؛ فلقد بيَّنَ كلٌّ منهما الآخرَ ، وتبين به ؛ فانكشف طرف آخر من منهج الشاعر في الصياغة ، و" الشِّعْرُ ضَرْبٌ مِنَ الصِّياغَة " !

وينبغي التنبيه على أن الشاعر يؤول المنسوب بالمشتق ، ويجري في استعماله مجراه في استعمال المشتق ؛ فيقول مثلا :

إِنَّ ذلكَ الْحَضَرِيَّةَ مَلامِحُه ، يَدَّعي الْعِلْمَ بِهذَيْنِ الرِّيفِيَّةِ مَلامِحُه وَالْهِنْدِيَّةِ مَلامِحُه !

فيتخذ لكل منسوب منها فاعلا على معنى " المنتسبة إلى الحضر ملامحه " ، أو نائب فاعل على معنى " المنسوبة إلى الحضر ملامحه " .

ولقد استطاع الشاعر بمثل قوله :

إِنَّ الرِّيفِيَّةَ أَصْدَقُ مِنَ الْحَضرِيَّةِ ، وَالْحَضَرِيَّةَ أَصْدَقُ مِنَ الْهِنْدِيَّةِ .

الذي دلنا بالمنسوب المؤنث فيه على خصائص المنسوب إليه ومعانيه التي تخطر له ولنا حين نتأمل المنسوب إليه ، لا على نسبة شيء غيره إليه – أن يُوَلِّدَ " المَصْدَرَ الصِّناعيَّ " ؛ فيرأب كثيرا من الصُّدوع التعبيرية التي كادت تَتَّسعُ بتَناهي الألفاظ دونَ المعاني !

تَعليقاتٌ على النَّسَبِ :

في ذلك التحليل تنبية لطيف على طرف من عمل الشاعر اللغـوي ، ولكنه على لطافته لا يفي بما عالجه الشاعر في أثناء ذلـك ، مـن مظـاهر صياغيَّة (لاحِقيَّة غالبا ، وحاشَويَّة أحيانا ، وسابقيَّة نادرا) ؛ ومن ثم أرتـب فيما يأتي أكثر المادة القديمة المذكورة في صياغته للمنسوب ، أراعـي فـي ترتيبها حال المنسوب إليه أولا ، ثم حال المنسوب ، وأبني ذلك كلـه علـى الوقف عليهما جميعا – ترتيبا صوتيا :

١	ابْتِداء	افْتِعال	ابْتِدائيّ	افْتِعاليّ
٢	مُصْطَفى	مُفْتَعَل	مُصْطَفيّ	مُفْتَعيّ
٣	بَجيلَة	فَعيلَة	بَجيليّ	فَعيليّ
٤	طَويلَة	فَعيلَة	طَويليّ	فَعيليّ
٥	جَليلَة	فَعيلَة	جَليليّ	فَعيليّ
٦	مَلولَة	فَعولَة	مَلوليّ	فَعوليّ
٧	قَؤولَة	فَعولَة	قَؤوليّ	فَعوليّ
٨	جُهَيْنَة	فُعَيلَة	جُهَيْنيّ	فُعَيليّ
٩	مُدَيْدَة	فُعَيلَة	مُدَيْديّ	فُعَيليّ
١٠	حُبارى	فُعالى	حُباريّ	فُعاليّ
١١	بَجيلَة	فَعيلَة	بَجَليّ	فَعَليّ
١٢	شَنوءَة	فَعولَة	شَنَئيّ	فَعَليّ
١٣	أُمَيَّة	فُعَيْلَة	أُمَويّ	فُعَليّ

١٤	جُهَيْنَة	فُعَيْلَة	جُهَنِيّ	فُعَلِيّ
١٥	فَتَكات	فَعَلات	فَتَكاتِيّ	فَعَلاتِيّ
١٦	فَتَكات	فَعَلات	فَتَكِيّ	فَعَلِيّ
١٧	صَحْراء	فَعْلاء	صَحْراوِيّ	فَعْلاوِيّ
١٨	عِلْباء	فِعْلاء	عِلْباوِيّ	فِعْلاوِيّ
١٩	عِلْباء	فِعْلاء	عِلْبائِيّ	فِعْلائِيّ
٢٠	أَنْصار	أَفْعال	أَنْصارِيّ	أَفْعالِيّ
٢١	زَيْدان	فَعْلان	زَيْدانِيّ	فَعْلانِيّ
٢٢	زَيْدون	فَعْلون	زَيْدونِيّ	فَعْلونِيّ
٢٣	مَرْمِيّ	مَفْعول	مَرْمَوِيّ	مَفْعَلِيّ
٢٤	كُرْسِيّ	فُعْلِيّ	كُرْسِيّ	فُعْلِيّ
٢٥	مَرْمِيّ	مَفْعول	مَرْمِيّ	مَفْعِيّ
٢٦	زَيْدان	فَعْلان	زَيْدِيّ	فَعْلِيّ
٢٧	زَيْدون	فَعْلون	زَيْدِيّ	فَعْلِيّ
٢٨	سَلْمى	فَعْلى	سَلْماوِيّ	فَعْلاوِيّ
٢٩	مَلْهى	مَفْعَل	مَلْهاوِيّ	مَفْعالِيّ
٣٠	سَلْمى	فَعْلى	سَلْمَوِيّ	فَعْلَوِيّ
٣١	مَلْهى	مَفْعَل	مَلْهَوِيّ	مَفْعَلِيّ
٣٢	مُعْتَد	مُفْتَع	مُعْتَدِيّ	مُفْتَعِيّ
٣٣	مَكَّة	فَعْلَة	مَكِّيّ	فَعْلِيّ

٣٤	سَلْمى	فَعْلى	سَلْمِيّ	فَعْلِيّ
٣٥	مَلْهى	مَفْعَل	مَلْهِيّ	مَفْعِيّ
٣٦	طَيِّب	فَيْعِل	طَيْبِيّ	فَعْلِيّ
٣٧	هَيِّن	فَيْعِل	هَيْنِيّ	فَعْلِيّ
٣٨	غَدير	فَعيل	غَديرِيّ	فَعيلِيّ
٣٩	سُهَيْل	فُعَيْل	سُهَيْلِيّ	فُعَيْلِيّ
٤٠	بِناء	فِعال	بِنائِيّ	فِعالِيّ
٤١	بِناء	فِعال	بِناوِيّ	فِعالِيّ
٤٢	غَنِيّ	فَعيل	غَنَوِيّ	فَعَلِيّ
٤٣	عَلِيّ	فَعيل	عَلَوِيّ	فَعَلِيّ
٤٤	قُصَيّ	فُعَيْل	قُصَوِيّ	فُعَلِيّ
٤٥	فَتى	فَعَل	فَتَوِيّ	فَعَلِيّ
٤٦	نَمِر	فَعِل	نَمَرِيّ	فَعَلِيّ
٤٧	دُئِل	فُعِل	دُؤَلِيّ	فُعَلِيّ
٤٨	سَنَة	فَعَة	سَنَوِيّ	فَعَلِيّ
٤٩	سَنَة	فَعَة	سَنَهِيّ	فَعَلِيّ
٥٠	شِيَة	عِلَة	وِشَوِيّ	فِعَلِيّ
٥١	شَجَر	فَعَل	شَجَرِيّ	فَعَلِيّ
٥٢	قاض	فاع	قاضَوِيّ	فاعَلِيّ
٥٣	طَيّ	فَعْل	طَوَوِيّ	فَعَلِيّ

٥٤	حَيّ	فَعْل	حَيَوِيّ	فَعَلِيّ
٥٥	ذات	فَعَة	نَوَوِيّ	فَعَلِيّ
٥٦	أُخْت	فُعْل	أَخَوِيّ	فَعَلِيّ
٥٧	ابْن	افْع	بَنَوِيّ	فَعَلِيّ
٥٨	بِنْت	فِعْل	بَنَوِيّ	فَعَلِيّ
٥٩	قاض	فاع	قاضِيّ	فاعِيّ
٦٠	شاة	فَعَة	شاهِيّ	فَعْلِيّ
٦١	أُخْت	فُعْل	أُخْتِيّ	فُعْلِيّ
٦٢	ابْن	افْع	ابْنِيّ	افْعِيّ
٦٣	بِنْت	فِعْل	بِنْتِيّ	فِعْلِيّ
٦٤	قَوْم	فَعْل	قَوْمِيّ	فَعْلِيّ
٦٥	شَج	فَع	شَجَوِيّ	فَعَلِيّ
٦٦	أَخ	فَع	أَخَوِيّ	فَعَلِيّ
٦٧	يَد	فَع	يَدَوِيّ	فَعَلِيّ
٦٨	دَم	فَع	دَمَوِيّ	فَعَلِيّ
٦٩	لَوْ	×	لَوِّيّ	(فَعْلِيّ)
٧٠	ما	×	مائِيّ	(فَعَلِيّ)
٧١	ما	×	ماوِيّ	(فَعَلِيّ)
٧٢	يَد	فَع	يَدِيّ	فَعِيّ
٧٣	دَم	فَع	دَمِيّ	فَعِيّ

لا يخفى ما في ذلك الترتيب ، من تنبيه على عَشْرِ طوائف تَوقيعيَّةٍ من المنسوب إليه ، تَتَفرَّعُ منها أصنافُ المنسوب ، على النحو الآتي :

١ طويل فقصير فمستطيل " دن ددنَ " ، كان النسب إليه من الصنف الآتي :

- طويل فقصير فطويل فمستطيل " دن ددن دنَ " : ١ .

الذي تحرى فيه الشاعر إضافة مقطع طويل قبل مقطعه الأخير المستطيل . وما تَوقيعة هذا الصنف إلا الصورة المُسَبَّغَة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورتها المقصورة !

٢ طويل فقصير فطويل " دن ددن " ، كان النسب إليه من الصنف الآتي :

- طويل فقصير فمستطيل " دن ددنَ " : ٢ .

الذي تحرى فيه الشاعر إضافة ساكن إلى مقطعه الأخير الطويل ، ليستطيل . وما توقيعة هذا الصنف إلا الصورة المقصورة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل كذلك ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورتها المحذوفة !

٣ قصير فطويل فطويل " ددن دن " ، كان النسب إليه من الصنفين الآتيين :

- قصير فطويل فمستطيل " ددن دنَ " : ٣-١٠ .
- قصير فقصير فمستطيل " دددنَ " : ١١-١٤ .

اللذين تحرى الشاعر في أولهما إضافة ساكن إلى مقطعه الأخير الطويل ، وفي آخرهما نقل ساكن مقطعه الثاني الطويل إلى مقطعه الأخير الطويل ليستطيل . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المقصورة من (مفاعيلن) ، في ضرب بيت الهزج ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورتها المحذوفة ، فأما توقيعة الصنف الثاني فالصورة المخبونة المقصورة من (فاعلاتن) في ضرب بيت الرمل ، وما (مفاعيلن) ، و(فاعلاتن) ، إلا وجها توقيعة واحد !

٤ قصير فقصير فمستطيل " ددنّ " ، كان النسب إليه من الصنفين الآتيين :

- قصير فقصير فطويل فمستطيل " ددن دنّ " : ١٥ .
- طويل فمستطيل " دن دنّ " : ١٦ .

اللذين تحرى الشاعر في أولهما إضافة مقطع طويل قبل مقطعه الأخير المستطيل ، وفي ثانيهما تحويل مقطعيه الأولين القصيرن إلى مقطع واحد طويل . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المخبونة المسبَّغة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل ، ولا توقيعة الصنف الثاني إلا صورتها المشعثة المقصورة ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورتها المخبونة المقصورة .

٥ طويل فمستطيل " دن دنّ " ، كان النسب إليه من ثلاثة الأصناف الآتية :

- طويل فطويل فمستطيل " دن دن دنّ " : ١٧-٢٢ .

- طويل فقصير فمستطيل " دن ددنْ " : ٢٣ .
- طويل فمستطيل " دن دنْ " : ٢٤-٢٧ .

التي تحرى الشاعر في أولها إضافة مقطع طويل قبل مقطعه الأخير ، وفي الثاني إضافة مقطع قصير قبل مقطعه الأخير ، وفي الثالث أن يحفظ عليه مقاطعه . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المشعثة المسبغة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل ، ولا توقيعة الصنف الثاني إلا صورتها المقصورة ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه التي بقيت في الصنف الثالث كما هي ، هي صورتها المشعثة المقصورة !

٦ طويل فطويل " دن دن " ، كان النسب إليه من ثلاثة الأصناف الآتية :

- طويل فطويل فمستطيل " دن دن دنْ " : ٢٨ ، ٢٩ .
- طويل فقصير فمستطيل " دن ددنْ " : ٣٠-٣٢ .
- طويل فمستطيل " دن دنْ " : ٣٣-٣٧ .

التي تحرى الشاعر في أولها إضافة مقطع مستطيل بعد مقطعيه ، وفي الثاني إضافة مقطع قصير بعد مقطعه الأول وساكن بعد مقطعه الأخير الطويل ليستطيل ، وفي الثالث إضافة ساكن بعد مقطعه الأخير الطويل ليستطيل . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المشعثة المسبغة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل ، ولا توقيعة الصنف الثاني إلا صورتها المقصورة ، ولا توقيعة الصنف الثالث إلا صورتها المشعثة المقصورة ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورتها المبتورة .

٧ قصير فمستطيل " ددنْ " ، كان النسب إليه من الصنفين الآتيين :

- قصير فطويل فمستطيل " ددن دنّ " : ٣٨-٤١ .
- قصير فقصير فمستطيل " دددنّ " : ٤٢-٤٤ .

اللذين تحرى الشاعر في أولهما إضافة مقطع طويل بعد مقطعه الأول ، وفي الثاني إضافة مقطع قصير بعد مقطعه الأول . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المسبغة من (فعولن) ، في ضرب بيت المتقارب ، ولا الصنف الثاني إلا الصورة المخبونة المُذَيَّلة من (فاعلن) في ضرب بيت المتدارك ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي الصورة المقصورة من (فعولن) في ضرب بيت المتقارب ، وما (فعولن) ، و(فاعلن) إلا وجها توقيعة واحدة !

٨ قصير فطويل " ددن " ، كان النسب إليه من الصنف الآتي :

- قصير فقصير فمستطيل " دددنّ " : ٤٥-٥١ .

الذي تحرى فيه الشاعر إضافة مقطع قصير قبل مقطعيه ، وإضافة ساكن بعدهما ، وما توقيعة هذا الصنف إلا الصورة المخبونة المذيلة من (فاعلن) ، ضرب بيت المتدارك ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي الصورة المحذوفة من (فعولن) ، في ضرب بيت المتقارب ، وما (فعولن) ، و(فاعلن) ، إلا وجها توقيعة واحدة !

٩ مستطيل " دنّ " ، كان النسب إليه من ثلاثة الأصناف الآتية :

- طويل فقصير فمستطيل " دن ددنّ " : ٥٢ .
- قصير فقصير فمستطيل " دددنّ " : ٥٣-٥٨ .
- طويل فمستطيل " دن دنّ " : ٥٩-٦٤ .

التي تحرى الشاعر في أولها إضافة مقطعين قصير فطويل قبل مقطعه الوحيد المستطيل ، وفي الثاني إضافة مقطعين قصيرين ، وفي الثالث إضافة مقطع واحد طويل. وما توقيعة الصنف الأول الصورة المقصورة من (فاعلاتن) ، في ضرب بيت الرمل ، ولا توقيعة الصنف الثاني إلا صورة المخبونة المقصورة ، ولا توقيعة الصنف الثالث إلا صورتها المشعثة المقصورة ، من بعد أن كانت توقيعة المنسوب إليه هي صورة منها مبتورة مقصورة .

١٠ طويل " دن " ، كان النسب إليه من ثلاثة الأصناف الآتية :

- قصير فقصير فمستطيل " ددنٓ " : ٦٥-٦٨ .
- طويل فمستطيل " دن دنٓ " : ٦٩-٧١ .
- قصير فمستطيل " ددنٓ " : ٧٢ ، ٧٣ .

التي تحرى الشاعر في أولها إضافة مقطعين قصيرين قبل مقطعه الوحيد الطويل وساكن بعده ليستطيل ، وفي الثاني إضافة مقطع طويل قبله وساكن بعده كذلك ، وفي الثالث إضافة مقطع واحد قصير قبله وساكن بعده . وما توقيعة الصنف الأول إلا الصورة المخبونة المذيلة من (فاعلن) ، في ضرب بيت المتدارك ، ولا توقيعة الصنف الثاني إلا صورتها المشعثة المذيلة ، ولا توقيعة الصنف الثالث إلا الصورة المقصورة من (فعولن) ، في ضرب بيت المتقارب ، وما (فعولن) ، و(فاعلن) ، إلا وجها توقيعة واحدة !

تَعْليقاتٌ عَلى النَّصِّ السّادِسِ :

وعلى طرافة ما ادعيت للشاعر فيما سبق - يا بني - ولطافته ، لا يعدو كثيرا ما سميته لك في مقدمات تخريج القصائد ، عبثا وكلاما فارغا ؛ حتى إذا حَزَبَه الْأَمْرُ وجَدَّ به الجِدُّ ، فقال نصه السادس ، ولم تعثر فيه من المنسوب على شيء ، ساء ظنك بالمسألة كلها ، حتى لربما هَمَمْتَ بأمر سوء !

ولكنك ينبغي أَلّا يَريبَكَ من أصالة الحركة الإيقاعية في عمل الشاعر ، أن تفتقد مظاهرها أحيانا ؛ فلولم تكن عفوية ، ما افتقدتها ، ولَحَرَصَ عليها حِرْصًا ، ولَقَصَدَ إليها قَصْدًا !

ذاكَ عَمَلٌ كَأَنّني عَمِلْتُه لَكَ أَنْتَ - يا بُنَيَّ - بِالنَّصِّ السّادِسِ ؛ فَهَلّا عَمِلْتَ لي أنا بِالتَّمْرينِ السّادِسِ ، مِثْلَما كَأَنَّني عَمِلْتُه لَكَ !

خاتمةُ القسْمِ الآخِرِ

يا رَوْضَةَ النِّيلِ لا مَسَّتْكِ بائقَةٌ وَلا عَدَتْكِ سَــماءٌ ذاتُ أغداقِ

وَلا بَرِحَتْ مِنَ الْأوْراقِ في حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسٍ عَبْقَرِيِّ الْوَشْيِ بَرّاقِ

ياحَبَّذا نَسَــمٌ مِنْ جَوِّها عَبِقٌ يَسْــري عَلى جَدْوَلٍ بِالْماءِ دَفّاقِ

بَلْ حَبَّذا دَوْحَةٌ تَدْعو الْهَديلَ بِها عِنْدَ الصَّــباحِ قَماريٌّ بِأَطْواقِ

مَرْعى جِيادي وَمَأْوى جِيرَتي وَحِمى قَوْمي وَمَنْبِتُ آدابي وَأَعْراقي

في قَلْبِ مَدارِ النيلِ الجليلِ تُزْهِرُ رَوْضَةُ مِصْرَ العَتيقةِ مُبارَكةً بدعوة محمود سامي البارودي رَبِّ السَّيْفِ والقَلَمِ السابقة بظهر غَيْبِه عنها في سَرَنْديبَ مَنْفيًّا مع أحمد عرابي - رضي الله عنهما ! - ثورةً لكرامتها .

ثم في قَلْبِ رَوْضَةِ مِصْرَ الْعَتيقَةِ يَدورُ مَيْدانُ المَماليكِ البَحْرِيَّةِ قريبا من مِقْياسِ النيل الذي كانت مَسيرةُ سلطانهم في دَوْلَتِهِمْ من القلعة إليه وفاءً بوفاء ، محفلًا حافلًا بهيجًا مُبْهِجًا .

ثم على قلب مَيْدان المماليك البَحْرية تقوم أشْجارٌ مُلْتَفَّةٌ مُسَوَّرَةٌ مُبَوَّبَةٌ مُغْلَقَةٌ مُثيرةٌ نهارًا مُخيفَةٌ لَيْلًا ، كأنها تاجُ المماليك الخُرافيُّ يَنْتَظِرُ دَوْلَتَهُمْ !

ثم من قلب تاجِ المماليك تَتَنادى زَمْزَماتٌ فِيتُورِيَّةٌ تَتَقاذَفُها أرْجاؤه :

لن لن ... لللن... لن لن... لللن... لن لن... لن ن

في حَضْـــ... رَةِ مَنْ... أهْوى... عَبِثَتْ... بي الْأشْـــ... واقْ

لن لن... لللن... لن لن... لللن... لللن... لن ن

حَدَّقْــ... تُ بِلا... رَأْسٍ... وَرَقَصْـــ... تُ بِلا... ساقْ

لللن... لللن... لن لن... لللن... لن لن... لن ن

وَزَحَفْـــ... تُ بِرا... ياتي... وَطُبو... لي الْآ... فاقْ

لن لن... لن لن... لن لن... لللن... لن لن... لن ن

عِشْقي... يُفني... عِشْقي... وَفَنا... ئي اسْتِغْـــ... راقْ

لن لن... لللن... لن لن... لن لن... لن لن... لن ن

مَمْلو... كُكَ لـــ... كنّي... سُلْطا... نُ الْعُشْـــ... شاقْ

فَيَتَفَجَّرُ من تحته يَنْبوعٌ مُثَلَّثُ العيون عن ثلاثة أَشْباحٍ سُمْرٍ مُؤْتَلفينَ مُخْتَلفينَ : أمّا أَنَسٌ فشابٌّ جَليدٌ مُتَزَمِّلٌ بالأبيض الناصع ، وأما أَيْمَن فكَهْلٌ بَدينٌ مُتَلَفِّعٌ بالأخضر الداكن ، وأما بَراء فشَيْخٌ سَمينٌ مُتَلَفِّفٌ بالأسود الدامس ، قَدْ وَلَّوا وُجوهَهُمْ شَطْرَ مُنْحَدَرِ النَّهْرِ الْأَعْظَمِ بِصَدًى حَسّانيٍّ واحدٍ :

لللن لن... لللن لن... لللن لن... لللن لن... لللن د... لللن لن... لللن د... لللن لن... لللن

ولي صا... حبٌ مِنْ... بَني الشَّيْـــ... صَبانِ... فَطَوْرًا... أقولُ... وطَوْرًا... هُوَهْ

فإذا تَيارٌ مَوّارٌ يَتَدَفَّقُ مِنْ صَبَبِ شَطْرَهُمْ ثم يتفجر عن شَبَحٍ مُنْكَرٍ بينهم مَعْروفٍ عندهم ، بصَوتٍ غَريبٍ واحدٍ :

لللن لن... لللن لن... لللن

أَتَيْتُ الْـــ... مَدى عَنْ... قَدَرْ

لللن د... لللن لن... لللن

رَكِبْتُ... رُؤوسَ الْـــ... بَطَرْ

لللن د... لللن لن... لللن

وَصَلْتُ... شُعاعَ الْـــ... خَطَرْ

لللن د... لللن لن... لللن

بِطاعَـــ... ةِ رأيِ الْـــ... حَذَرْ

للن د... للن لن... للن لن

أنا دَ... ركَ الطَّيـــ... ش شَحْبَلْ

للن د... للن لن... للن لن... للن لن

سَيَنْفَـــ... تحُ الْبا... بُ يوْمًا... لِأَدْخُلْ

فصاحوا : مَوْلانا أبو مذْوَدٍ شَحْبَلُ بْنُ مسْحَلِ بْنِ أبي مُرَّةَ الشَّيْصَبانيّ ، سلْمُ كُلِّ فنّانٍ إنسانيّ ، حَرْبُ كُلِّ عالمٍ حَيَوانيّ !

أبو مذود : مَرْحى بِمَنْ طَرِبوا لِلْفَنِّ فَاقْتَرَبوا مَرْحى وَلَوْ نَصِبوا لِلْعِلْمِ لَاغْتَرَبوا

مواليه : يا بَهْجَتَنا بِكَ حاضِرًا فينا غائبًا عَنّا ، وشَوْقَنا إِلَيْكَ غائبًا عَنّا حاضِرًا فينا !

أبو مذود : يا بَهْجَتي جَميعًا بِكُمْ شَمْلي .

مواليه : أحسن الله إليك ! إنما نحن مَواليكَ وخِرّيجوك !

أبو مذود : أحسن الله إليكم ! بل أنتم مُكَمِّلي ومُحْيايَ ومُخَلِّدي .

مواليه : عافاكَ الله ! أبِفَنائنا تَخْلُد ، أمْ بِمَواتِنا تَحْيا ، أمْ بِنَقْصِنا تَكْمُلُ !

أبو مذود : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ . إنَّ وَراءَ الْأَكَمَةِ ما وَراءَها !

مواليه : وَراؤُها كَأَمامِها :

فَغَدَتْ كِلا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلى الْمَخافَةِ خَلْفُها وَأَمامُها !

أبو مذود : تِلْكُمْ - يا مُكَمِّلي ومُحْيايَ ومُخَلِّدي - بَقَرَةُ سيدنا لَبيدٍ - رضي الله عنه ! - أدْرَكَها الكُلّابُ وكِلابُهُ !

مواليه : فَنَجّاها منهما ؛ فَمَنْ لِأَقْوالٍ يُخَفِّفُ بَعْضُها بَعْضًا !

أبو مذود : " اللهُ يُنَجّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ " ؛ فَمَهْ ؟

مواليه : طلبنا حقيقة أنفسنا وحقيقة مَن حوّلنا وما حوّلنا .

أبو مذود : عَزَّتْ أهوالًا وجلَّتْ !

مواليه : فَتنازَعَتنا الحقائقُ !

أبو مذود : كيف - يا مساكين - وما ثَمّ إلا حقيقةٌ واحدة عليها تدور الصور :

وَفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ الْواحِدُ

لَكَأَنَّكُمْ ما طلبتم إلا الأوهام ؛ فهاتوا ما عندكم !

مواليه : أولِعْنا بالكلام ؛ فَنَحْنُ نَتَأمَّلُه .

أبو مذود : أيُّ كَلامٍ ؟

مواليه : كلام الحق - سبحانه ، وتعالى ! - ثم كلام رسوله - صلى الله عليه ، وسلم ! - ثم كلام أوليائهما - رضي الله عنهم ! - ثم كلامنا وكلام سائر الناس - عفا الله عنا ! - في كل زمان ومكان ، الذي نقف عليه أو يقف علينا .

أبو مذود : عَزَّ كَلامًا ، وَجَلَّ ! وأيُّ تَأمُّلٍ ؟

مواليه : مُذاكرةُ مسائلَ فيه سائرة مشكلة .

أبو مذود : عَزَّ تَأمُّلًا ، وَجَلَّ ! مِنْ مِثْلِ مَهْ ؟

مواليه : مِنْ مِثْلِ مسألة تخريج الشعر في علم العروض .

أبو مذود : إِنَّها لَمَسْأَلَةٌ ؛ فَكَيْفَ نَشَأَ لَكُمْ أَصْلُها ؟

أنس : تَساجلنا مرة في عروض الشعر العربي ، على أن يُعَيِّنَ البادئُ ما شاء من أنماطه معروفةً أو مجهولةً ، لِيُنْشِدَ منها المبدوءان ما شاءا من القصائد معروفةً أو مجهولةً .

أبو مذود : ما في هذا مِنْ بَأْسٍ ؟

أنس : فَعَنَّيْتُ نمطَ بحر البسيط الوافيَ المخبونَ العروض والضرب ، ذا القافية النونية المطلقة المجردة الموصولة بالولو ؛ فأنشدني براء من لامية أبي بصير أعشى قيس الباذخة الشامخة ، قوله :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَداعًا أَيُّها الرَّجُلُ

غَرّاءُ فَرْعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها تَمْشي الْهُوَيْنى كَما يَمْشي الْوَجي الْوَحِلُ

كَأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَرُّ السَّحابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْواسًا إِذا انْصَرَفَتْ كَما اسْتَعانَ بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجيرانُ طَلْعَتَها وَلا تَراها لِسِرِّ الْجارِ تَخْتَتِلُ

يَكادُ يَصْرَعُها لَوْلا تَشَدُّدُها إِذا تَقومُ إِلى جاراتِها الْكَسَلُ

إِذا تَقومُ يَضوعُ الْمِسْكُ أَصْوِرَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدانِها شَمِلُ

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ

يُضاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَميمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائِحَةٍ وَلا بِأَحْسَنَ مِنْها إِذْ دَنا الْأُصُلُ

أبو مدود : تأملوا – يا مَكملي ومَحيايَ ومخَلدي – كيف أثنى على صاحبته خَلقًا وخُلقًا ، ثم كيف وضعها موْضعَها من محاسن خَلْقِ الله ، ثم كيف خَيَّلَ لَنا قَوْلَ رسولنا – صلى الله عليه ، وسلم ! – : " إِنَّما الدُّنْيا مَتاعٌ ، وَخَيْرُ مَتاعِها الْمَرْأَةُ الصّالِحَةُ " ، ثم لا تذهلوا عما في قوله : " لَوْلا تَشَدُّدُها " ، من احتراس شريف ؛ فقاتله الله ، ما أشعره !

أنس : وأنشدني أيمن من نونيَّة أبي الطَّيِّبِ المُتَنَبّي الباذخة الشامخة ، قوله :

بِمَ التَّعَلُّلُ لا أَهْلٌ وَلا وَطَنُ وَلا نَديمٌ وَلا كَأْسٌ وَلا سَكَنُ

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أَنْ يُبَلِّغَني ما لَيْسَ يَبْلُغُهُ في نَفْسِهِ الزَّمَنُ

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ روحَــكَ الْبَدَنُ

فَما يُديمُ سُــرورٌ ما سُــرِرْتَ بِهِ وَلا يَرُدُّ عَلَيْــكَ الفائِتَ الْحَزَنُ

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعِشْــقِ أَنَّهُمُ هَووا وَما عَرَفوا الدُّنيا وَما فَطِنُــوا

تَفْنى عُيونُهُمُ دَمْعًا وَأَنْفُسُــهُمْ في إِثْرِ كُلِّ قَبيحٍ وَجْــهُهُ حَسَــنُ

تَحَمَّــــلوا حَمَلَتْكُــمْ كُلُّ ناجِيَةٍ فَكُــلُّ بَيْنٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مُؤْتَمَنُ

ما في هَوادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتي عِوَضٌ إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلا فيها لَها ثَمَنُ

يا مَنْ نُعيتُ عَلى بُعْدٍ بِمَجْلِسِــهِ كُلٌّ بِما زَعَمَ الْواشُــونَ مُرْتَهَنُ

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ

قَدْ كانَ شاهَدَ دَفْني قَبْلَ قَوْلِهِــمُ جَمــاعَةٌ ثُمَّ ماتوا قَبْلَ مَنْ دَفَنوا

ما كُلُّ ما يَتَمَنّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْري الرِّياحُ بِما لا تَشْتَهي السُّفُنُ

أبو منود : تأملوا – يا مُكَمِّلي ومَحْيايَ ومَخَلّدي – كيف أشْرَفَ على الدنيا فارسا متحققا بمعنى الفروسية ، عالي الهمة ، طامح الأمل ، شديد الأنفة ، ثم كيف ضَيَّعَ هو تضييعه واهتدى ، وقَتَّلَ هو تقتيله وعاش ، ثم كيف خَيَّلَ لنا ما سارت به سيرة عنترة الفلحاء ، مِنَ انْتِفاضِهِ مِنْ قَبْرِهِ لما اجْتَرَأَ عليه زائرُه ؛ قاتله الله ، ما أشعره !

أنس : فأحسنا ما شاءا ؛ فإن القصيدتين تتخرجان بالتَّقْطيع (بيان أجزاء كل بيت من القصيدة) ثم بالتَّجْريد (بيان ننننة إيقاع الأجزاء) ثم بالتَّفْعيل (بيان رموز التفاعيل المصطلح بها على الأجزاء) ثم بالتَّوْصيف (بيان أحوال التفاعيل سلامة وتغيرا) في علم العروض ، على مثل ما يتخرج آخر ما أنشدا منهما فيما يلي :

يَوْمًا بِلُطْـ	يَبَ مِنْ	ها نَشْرَ را	نِجَةِ	وَلا بِلَخْـ	سَنَ مِنْ	ها إِذْ نَنا الْـ	نُصُلُ
نن نن ننن	ننن	نن نن ننن	ننن	ننن ننن	ننن	نن نن ننن	ننن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن

ما كُلُّ ما	يَتَمَنْـ	نى الْمَرْءُ يُدْ	رِكُهُ	تَجْري الرِّيا	حُ بِما	لا تَشْتَهي السُّـ	سُفُنُ
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	مخبونة	سالمة	مخبونة
تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن	تن تن تتن	تتتن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة

فعَيَّنَ أيمن نمطا من بحر البسيط نفسه ، بخمس وعشرين تفعيلة ، ذا تسع أعاريض غير ثابتة الصورة ، وستة أضرب أولها وثانيها ورابعها وخامسها مقطوعة مُسَبَّغَةٌ ، وثالثها وسادسها مُذَيَّلان ، وذا ست قواف نونية مقيدة أولاها وثانيتها ورابعتها وخامستها مُرْدَفَةٌ بالألف وثالثتها وسادستها مردفتان بياء المد - فَبُهِتُّ أنا وبراء !

فقرأ علينا مما زعم أنه نونية محيي الدين بن عربي الأندلسي ، قوله :

سَرائِرُ الْأعْيانْ
لاحَتْ عَلى الْأكْوانْ
لِلنّاظِرينْ
وَالْعاشِقُ الْغَيْرانْ
مِنْ ذاكَ في بُحْرانْ
يُبْدي الْأنينْ
يَقولُ وَالْوَجْدُ
أضْناهُ وَالْبُعْدُ
قَدْ حَيَّرَهْ
لَمّا دَنا الْبُعْدُ
لَمْ أدْرِ مِنْ بَعْدُ
مَنْ غَيَّرَهْ

وَهُيَمَ الْعَبْدُ
وَالْواحدُ الْفَرْدُ
قَدْ خَيَّرَهْ
في الْبَوْحِ وَالْكِتْمانْ
وَالسِّرِّ وَالْإِعْلانْ
في الْعالَمينْ
أنا هُوَ الدَّيانْ
يا عابِدَ الْأوثانْ
أنْتَ الضَّنينْ
كُلُّ الْهَوى صَعْبُ
على الَّذي يَشْكو
ذُلَّ الْحِجابْ
يا مَنْ لَهُ قَلْبُ
لَوْ أنَّهُ يَذْكو
عِنْدَ الشَّبابْ
قَرَّبَهُ الرَّبُّ
لكنَّهُ إفْكُ
فَانْوِ الْمَتابْ
وَنادِ يا رَحْمنْ
يا بَرُّ يا مَنّانْ
إنّي حَزينْ
أضْناني الْهِجْرانْ

وَلا حَبيبٌ دانْ

وَلا مُعينْ (...)

دَخَلْتُ في بُسْتانْ

الْأُنسِ وَالْقُرْبِ

لِمَكْنسةْ

فَقامَ لي الرَّيْحانْ

يَخْتالُ مِنْ عُجْبِ

في سُنْدُسةْ

أنا هُو يا إِنْسانْ

مُطَيِّبُ الصَّبْ

في مَجْلِسةْ

جَنانُ يا جَنانْ

اجْنِ مِنَ الْبُسْتانْ

الْياسَمينْ

وَخَلِّ ذا الرَّيْحانْ

بِحُرْمَةِ الرَّحْمنْ

لِلْعاشِقينْ

أبو منود : تأملوا - يا مُكَمِّلي ومَحْيايَ ومُخَلِّدي - كيف أذاب خَلْقَ الحَقِّ - سبحانه ، وتعالى ! - كُلَّه بعضه في بعض بماء الطاعة ، ثم كيف دَلَّ على تَأَتّي مَقام المعرفة بالصبر على الكَشْف ، ثم كيف خَيَّلَ لنا قول الحق - سبحانه ، وتعالى ! - : " فَأَمّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعيمٍ " ؛ فقاتله الله ، ما أشعره !

أيمن : هي من النمط الذي عَيَّنتهُ لهما كما كانت نونية أبي الطيب من النمط الذي عَيَّنهُ لنا أنس ؛ فإنها تتخرج بالتقطيع ثم بالتجريد ثم بالتفعيل ثم بالتوصيف في علم العروض ، على مثل ما يتخرج آخرها فيما يلي :

نَخَلتُ في	بُستان
ـ ـن ـ ـن	ـن ـن ن
متفعلن	فاعِلْن
مخبونة	مقطوعة مُسَبَّغَة
آلْنس وآلـــ	قُربِ
ـن ـن ـ ـن	ـن ـن
مستفعلن	فاعِلْ
سالمة	مقطوعة
لِمَكْنسِهِ	
ـ ـن ـ ـن	
متفعلن	
مخبونة	
فَقلمَ لي الرْ	رَيْحان
ـ ـن ـ ـن	ـن ـن ن
متفعلن	فاعِلْن
مخبونة	مقطوعة مسبغة
يَخْتالُ مِنْ	عُجْبِ
ـن ـن ـ ـن	ـن ـن
مستفعلن	فاعِلْ
سالمة	مقطوعة
في مُتْنعِمِهِ	
ـن ـن ـ ـن	
مستفعلن	
سالمة	
أنا هُوَ يا	إنْسان
ـ ـن ـ ـن	ـن ـن ن
متفعلن	فاعِلْن

مخبونة	مقطوعة مسبغة
مُطَيّبُ الصـــ	صَبٌّ
للن للن	لن لن
متفعلن	فاعلْ
مخبونة	مقطوعة
في مَجلِسِهِ	
لن لن للن	
مستفعلن	
سالمة	
جِنَانُ يا	جِنَانْ
لن لن للن	لن لن ن
مستفعلن	فاعلْنْ
سالمة	مقطوعة مسبغة
اجْنِ مِنَ الـــ	بُستانْ
لن لللن	لن لن ن
مستعلن	فاعلْنْ
مطوية	مقطوعة مسبغة
ياسمين	
لن لن للن ن	
مستفعلان	
مُذيلة	
وخلِّ ذا الرّ	رَيحانْ
للن للن	لن لن ن
متفعلن	فاعلْنْ
مخبونة	مقطوعة مسبغة
بِحُرْمَةِ الرّ	رحمن
للن للن	لن لن ن
متفعلن	فاعلْنْ
مخبونة	مقطوعة مسبغة
للعاشقين	
لن لن للن ن	
مستفعلان	
مذيلة	

أنس : فَعَيَّنَ براء نمطا من بحر البسيط نفسه ، غيرَ ثابتِ الطول ، ولا منقسمٍ - فلا عروضَ له - مقطوعَ الضرب ، ذا قافية رائية مطلقة مردفة بالألف وموصولة بالواو ؛ فبُهِتُّ أنا وأيمن !

فقرأ علينا فيما زعم أنه " طَلَلِيَّةُ " أحمد عبد المعطي حجازي ، قوله :

كانَ الْحَنينُ مَدًى عَذْبا وكانَ لَنا مِنْ وَجْهِها كَوْكَبٌ في اللَّيْلِ سَيّارُ

هذا دُخانُ الْقُرى ما زالَ يَتْبَعُنا وَمِلْءُ أَحْلامِنا زَرْعٌ وَأَجْنِحَةٌ وَصِبْيَةٌ وَطَريقٌ في الْحُقولِ إلى الْمَوْتى وَصَبّارُ

فَمُلْتَقى الْأَرْضِ بِالْأُفُقِ الَّذي اشْتَعَلَتْ أَلْوانُهُ شَفَقًا فَالْقاطِراتُ الَّتي غابَتْ مُوَلْوِلَةً في بُؤْرَةِ الضَّوْءِ فَالْحُزْنُ الَّذي هَطَلَتْ عَلَيَّ أَمْطارُهُ يَوْمًا فَصِرْتُ إلى طَيْرٍ وَسافَرْتُ مِنْ حُزْنِ الصَّبِيِّ إلى حُزْنِ الرِّجالِ فَكُلُّ الْعُمْرِ أَسْفارُ

يا صاحِبَيَّ قِفا فَالشَّمْسُ قَدْ رَجَعَتْ وَلَمْ تَعُدْ بَعْدُ كُلُّ الْمَقاهي انْتِظارُ ساءَ ما فَعَلَتْ بِنا السِّنونَ الَّتي تَمْضي وَنَحْنُ عَلى مَوائِدٍ في الزَّوايا ضارِعينَ إلى شَمْسٍ تَخَلَّلَتِ الْبِلَّوْرَ واهِنَةً وَلامَسَتْ جِلْدَنا الْمُعْتَلَّ وَانْحَسَرَتْ عَنّا إلى جارِنا فَما نَعِمْنا وَلَمْ يَنْعَمْ بِها الْجارُ

يا صاحِبَيَّ أَخَمْرٌ في كُؤوسِكُما أَمْ في كُؤوسِكُما هَمٌّ وَتَذْكارُ

وَما الَّذي تَنْفَعُ الذِّكْرى إذا نَكَأَتْ في الْقَلْبِ جُرْحًا عَلِمْنا لا دَواءَ لَهُ حَتّى نَعودَ وَما يَبْدو أَنِ اقْتَرَبَتْ أَيّامُ عَوْدَتِنا وَالْجُرْحُ نَغّارُ

ها نَحْنُ نُفْرِطُ فَوْقَ النَّهْرِ وَرْدَتَنا وَتِلْكَ أَوْراقُها تَنْأى وَيَأْخُذُها وَراءَ أَحْلامِنا مَوْجٌ وَتَيّارُ

يا صاحِبَيَّ أَحَقًّا أَنَّها وَسِعَتْ أَعْداءَها وَجَفَتْ أَبْناءَها الدّارُ

لَوْ أنَّها حوصِرَتْ حَتَى النِّهايَةِ حَتى المَوْتِ لَوْ سَحَبَتْ عَلى مَفاتِنِها غِلالَةً مِنْ مِياهِ النِّيلِ وَاضْطَجَعَتْ في قاعِهِ لَوْ سَفَتْها الرِّيحُ فَانْطَمَرَتْ في الرَّمْلِ وَانْدَلَعَتْ مِنْ كُلِّ وَرْدَةِ جُرْحٍ وَرْدَةٌ فَالمَدى عُشْبٌ وَنُوّارُ

هذا دُخانُ قُراها يَقْتَفي دَمَنا وَمِلْءُ أحْلامِنا زَرْعٌ وَأجْنِحَةٌ وَمِلْءُ أحْلامِنا نَبْتٌ نَهَشُّ لَهُ نَسْقيهِ مِنْ كَأسِنا الذّاوي وَنَسْألُهُ عَنْها وَنَنْهارُ

أبو مفود : تَأمَّلوا – يا مَكْمَلي ومَحْيايَ ومَخْلَدي – كيف أحال بلده المعمور إلى أطْلالٍ مُخْرَجًا ، ثم كيف وقف على الأطلال البعيدة قريبا ، ثم كيف رَدَّ الذكرى على الذكرى خائفا ، ثم كيف خَيَّلَ لنا صَوابَ دَعْوَةِ الأوّلِ على الأطلال : " وَلا زالَ مُنْهَلًّا بِجَرْعائِكِ القَطْرُ " كارها كُلَّ مُؤَمِّنٍ ؛ فقاتله الله ، ما أشعره !

براء : هي من النمط الذي عَيَّنَتْهُ لهما كما كانت نونية أبي الطيب من النمط الذي عَيَّنَهُ لنا أنس ، وكما كانت نونية محيي الدين بن عربي الأندلسي من النمط الذي عينه لنا أيمن ؛ فإنها تتخرج بالتقطيع ثم بالتجريد ثم بالتفعيل ثم بالتوصيف في علم العروض ، على مثل ما يتخرج آخرها فيما يلي :

هذا دُخا	نُ قُرا	ها يَقْتَفي	دَمَنا	وَمِلْءُ أحـ	لامِنا	زَرْعٌ وَأجْـ	نِحَةٌ	وَمِلْءُ أحـ
ن لن للن	للنن	لن لن للن	للنن	للن للن	لن للن	لن لن للن	للنن	للن للن
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن
سالمة	مخبونة	سالمة	مخبونة	مخبونة	سالمة	سالمة	مخبونة	مخبونة

لامِنا	نَبْتٌ نَهَشْـ	شُ لَهُ	نَسْقيهِ مِنْ	كَأسِنا الذْ	ذاوي وَنَسْـ	ألُهُ	عَنْها وَنَنْـ	هارُ
لن للن	لن لن للن	للنن	لن لن للن	لن للن	لن لن للن	للنن	لن لن للن	لن لن
فاعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فاعلْ
سالمة	سالمة	مخبونة	سالمة	سالمة	سالمة	مخبونة	سالمة	مقطوعة

أنس : فصحتُ أنا وأيمن أنْ بئس – والله – النمط ما نَمَّطْتَ يا براء ! فصاح فينا : بل بئس – والله – الطَّرَبُ ما طَرِبْتُما ! ثم بئس النمطُ

- وأعنّتهُ علـي هذ. - ما نَمّطتَّ يا أيمن ! فصاح فينا بل بئس - والله - الطَّرَبُ ما طَرِبتُما !

أبو مذود : بل بئس - والله - الخَيْبَةُ ما خبتُ !

مواليه : اللهم نجاةً !

أبو مذود : منَ الْغَفْلَة وَالْغَفَلَة !

مواليه : حاشاك وإيّانا أن نكون من الغافلين !

أبو مذود : وهل أغفل ممن استأنسوا من العلم مستوحشين من الفن ، " وَما تَفَرّقوا إلّا منْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ " ، صدق الله العظيم !

مواليه : حَنانَيْكَ ، مولانا ، قلوبنا أَوْعيَةٌ أواعٍ بين يديك !

أبو مذود : إنَّ الْمُوَصَّتَيْنَ بَنو سَهْوانَ !

مواليه : " عَفا اللّهُ عَمّا سَلَفَ " !

فَتَساخَرَ أبو مذود : فأما السالف منكم إليَّ فلا !

فَتَصاغَرَ مواليه : " وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ منْهُ " !

فَرَقَّ لَهُمْ أبو مذود : " لا تَثْريبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ " .

اعلموا - يا مساكين - أنكم جميعا مصيبون غير مخطئين ؛ فلقد تساجلتم في عروض الشعر لا في علم عروض الشعر ، وإن كنتم عَنّيْتُمْ أعاريضكم بمصطلحاته .

وبين عروض الشعر وعلم عروضه فرق واضح ؛ فعروضه تكرار مُرَكَّباتِ مقاطع أصواته اللغوية المُعَيَّنَةِ ، على نحو خاص يدركه

السامع ويرتاح له ، وعلم عروضه منهج البحث عنه المفضي إلى ضبطه بقواعد أصيلة جامعة مانعة .

ثم بين حركة عروض الشعر وحركة علم عروضه فرق كذلك واضح ؛ فحركة عروضه سريعة سابقة لحركة علمه ، وحركة علمه بطيئة لاحقة لحركة عروضه ؛ فربما ولَّد شاعر في شعره ما أهمله عالم في علمه جريًا على ألا يثبت إلا ما تواترت على توليده أجيال من الشعراء ، وعلى قبوله أجيال من المتلقين .

براء : أجل ، قد أهمل الخليل بحر المتدارك !

أبومذود : أهمله - رضي الله عنه ! - وله منه قصيدتان ، إهمالَ العالمِ ، وأثبته على دائرة المُتَّفقِ مُهْمَلًا ؛ فلله دره ، أيَّ إنسان كان ! لَمّا لم يكن تَواتَرَ عليه غيره لم يثبته ، وكأني بالأخفش وارثِ علمه وباب الناس إليه ، لم يُغفِلْهُ إلا بقصيدتيه إكبارا له !

أيمن : وربما تواترت على التوليد أجيال من الشعراء ، وعلى القبول أجيال من المتلقين ، والعالمُ على إهماله نَفسِهِ لا يَتحَلْحَلُ !

أبو مذود : أجل ، نِحْلَةٌ فيه قَدامِيَّةٌ يَدْرَأُ بها نِحْلَةً في الشعراء حَداثيَّةً أو مُسْتَقْبَلِيَّةً !

أنس : وهل القدامية في العلماء دون الفنانين ، والحداثية والمستقبلية في الفنانين دون العلماء ؟

أبو مذود : اعلموا - يا مَكْمَلي ومَحْيايَ ومَخْلَدي - أن القدامي من اشتغل بالماضي وعمل له ، والحداثي من اشتغل بالحاضر وعمل له ، والمستقبلي من اشتغل بالمستقبل وعمل له ؛ ومن ثم يكونهم العلماءُ والفنانون جميعا .

ولكننا نقبل الفنان قداميا أو حداثيا أو مستقبليا لا يرى غير نفسه ، ولا نقبل العالم إلا قداميا حداثيا مستقبليا جميعا معا ، حتى إذا تَلاعَنَ بين يديه الفنانون الثلاثة وتَنافَوْا ، استوعبهم بكمال نظره الذي لن يكون إلا بمزج أعمالهم كلها بعضها ببعض مادةً لعمله .

ومن ثم ظهر بَيِّنا جَلِيًّا في الحضارات المختلفة جَوْرُ الفنان ، وغَمَضَ وصَعُبَ اجتماعُ الفن والعلم لإنسان واحد !

براء : قَداميّان باليِان !

أيمن : غافلانِ غائبان !

أنس : مُستَقْبليّانِ واهمان !

أبو مذود : إنَّ الْمُوَصَّتَيْنَ بَنو سَهْوان !

ما صاحباك - يا أنس - بواهمين ، ولا صاحباك - يا أيمن - بغائبين ، ولا صاحباك - يا براء - بباليين ، بل ما ذكرتموه - يا مساكين - كله شعر عربي بعروض عربي .

مواليه : أيْنَ ، أيّانَ ، أنّى ؟

أبو مذود : أما النمط الأول الذي عَيَّنَهُ أنس ، فالنوع القديم المستمر ، الذي نشأ بجزيرة العرب قبل هجرة رسول الإسلام - صلى الله عليه ، وسلم ! - بعدة قرون ربما كانت خمسة ، وضبطه الخليل - رضي الله عنه ! - بكتابه الضائع . ولا أرى من بأس في أن نسميه " العَموديّ " على الشائع فيه الآن ، ولا سيما أنه النوع الذي نبه أبو علي المرزوقيُّ في مقدمة شرحه لمختارات أبي تمام منه ، على العمود الذي به نَهَضَ الشعر العربي القديم من سائر الكلام واختيرت مختاراتُه من سائر

القصائد ، كالعمود الذي به تنهض الخيمة من سائر الأرض وتُؤْثَرُ من سائر المنازل .

وأما النمط الثاني الذي عَيَّنَهُ أيمن ، فالنوع الوسيط المستمر ، الذي نشأ بالأندلس أواخر القرن الهجري الثالث ، بهندسة أشطار البيت العمودي تامًّا أو غيرَ تامٍّ وزَخْرَفَةِ أطْرافها ، وضبطه هبة الله بن سناء الملك ، بكتابه " دار الطراز في عمل الموشحات " ، وسمي " المُوَشَّحَ " لشبه أشطار أبياته المتوالية مهندسةً مزخرفةً ، بصفوف الجواهر واللآلئ المتوالية ملصقةً على وشاح زينة المرأة الذي تجنبه من خَصْرِها لتطرحه على كتفها .

وأما النمط الثالث الذي عَيَّنَهُ براء ، فالنوع الحديث المستمر ، الذي نشأ بالعراق والشام ومصر أواخر النصف الأول من القرن الميلادي العشرين ، بإطلاق البيت من عقال شطري البيت العمودي وقافيته وعقال أشطار البيت الموشح وقوافيها ، واجتهدت أن تضبطه نازك الملائكة بكتابها " قضايا الشعر المعاصر " ، ولا أرى من بأس في أن نسميه " الحُرَّ " على الشائع فيه الآن ، ولا سيما أنه ظاهر التحرر من قيود العمودي والموشح .

أنس : كيف تعد نَيْنِكَ المُوَشَّحَ والحُرَّ كهذا العَموديِّ !

أيمن : بل كيف تعد نَيْنِكَ العَموديَّ والحُرَّ كهذا المُوَشَّحِ !

براء : بل كيف تعد نَيْنِكَ العَموديَّ والمُوَشَّحَ كهذا الحُرِّ !

أبو مذود : بَلْ إِنَّ الْمُوَصَّيْنَ بَنو سَهْوان !

هي - يا مساكين - سَواءٌ ، كُلُّ نَوْعٍ منها وَلَدُ دَواعٍ خاصة من الأسباب والغايات والوسائل وغيرها ، وكُلُّ داعٍ من هذه الدواعي إنسانيٌّ

باقٍ بَقاءَ الإنسان نفسهِ ؛ فمن ثم ينبغي أن نقبل كل نوع من الشعر قبولنا لكل طَوْرٍ مِنْ أطْوارِ الإنسان أو لكلِّ حالٍ مِنْ أحْوالِه ، فإنْ يَفْضُلْ عَمَلٌ ما مِنْ نوع أحيانا عَمَلًا ما مِنْ نوع آخر ، لم يحملنا فَضْلُ الفاضل على إلغاء نوع المَفْضول ؛ فإن الأعمال لَتَتفاضَلُ في النوع الواحد نفسه ؛ فكيف بها في الأنواع المختلفة ، ثم إن الفاضل عند أحدكم ربما كان مفضولا عند غيره ، والعكس صحيح كذلك .

ثم إننا إن لم تَدْعُنا إلى نوع ما دواعيه ، تَقَفَّتْنا تَقافَتُهُ المتعلقةُ به التي لا خير في اطراحها ؛ فزادت من إنسانيتنا وأخصبت من حياتنا وأنارت من بصيرتنا ، ورحم الله محمود حسن إسماعيل !

مواليه : رحمةً واسعةً !

أبو منود : ما أحْسَنَ ما لَبِسَ لِكُلِّ حالٍ مِنْ أحْوالِ الْإنْسانِ ، بمجموعته " موسيقا مِنَ السِّرِّ " ؛ فَدَلَّ على ثَقافَةٍ واسِعَةٍ ، وإنسانيَّةٍ زائدةٍ ، وَحَياةٍ خَصيبةٍ ، وبَصيرةٍ نَيِّرَةٍ !

براء : أحفظ له قوله :

أَلْفانِ وَعَشَرَةُ آلافْ
وَأنا طَوّافْ
في الْبَحْرِ الْغارِقِ في الْأَسْدافْ
روحي مِجْدافْ
قَلْبي مِجْدافْ
يَجْتازُ جُنونَ الرّيحِ وَيَنْفُذُ في الْأَلْفافْ
وَيُحيلُ اللُّجَّ طَريقًا لِلْأَعْرافْ
وَيُلاقي الْجَوْهَرَ في الْأَعْماقِ فَلا أغْوارَ وَلا أصْدافْ

وَحقيقَةَ هذا الْكَوْنِ تَلوحُ فَلا أسْرارَ وَلا أَلْطافْ

الْمَرْكَبُ طافْ

عُرْيانَ الرُّؤْيَةِ لا مَكْفوفَ وَلا خَوّافْ

أبو مفود : هو من أوائل حُرِّيَّتِهِ " موسيقا مِنَ الزَّمانِ " في مجموعته " موسيقا مِنَ السِّرِّ " نفسها ، ولْتَتَأمَّلوا نَوْراتِ الساعات في أثناء الفاءات .

أيمن : أحفظ له قوله :

يا رِياحَ الْمَغيبْ

يا أغاني الزَّمَنْ

أيُّ سِرٍّ رَهيبْ

في حَشاكِ اسْتَكَنْ

لِلشَّقيِّ الْغَريبْ

فَوْقَ هذا الْوَطَنْ

هَلْ سَمِعْتِ الْجِبالْ

في سُكونِ الظُّلَمْ

تَشْتَكي لِلرِّمالْ

سِجْنَها مِنْ قِدَمْ

أمْ سَقاكِ الْخَيالْ

جُرْعَةً مِنْ عَدَمْ

فَعَبَرْتِ التِّلالْ

وَالرُّبا وَالْقِمَمْ

غابَةً مِنْ زَوالْ

أطْلَقَتها السُّدُمْ

شابَ فَوْدُ الْغيوبْ

وَفيَ رِيَا الْفَنَنْ

إنْ سَرَتْ لا تَؤوبْ

أوْ بَكَتْ لا تَئِنْ

يا رِياحَ الْمَغيبْ

يا أغاني الزَّمَنْ

أبو منود : هو من أوائل مُوَشَّحَاته " رياحُ الْمَغيبِ " في مجموعته التي باسمها ، ولْتَتَأمّلوا نَوْرات الأقدار في أثناء الأسرار .

أنس : ألمحمود حسن إسماعيل المصري الصَّعيديّ النَّزعَميّ ، هذان الكَلامان !

أبو منود : أجل ، له هو نفسه عقله لسانه !

أنس : وكيف اجتمع في عقله ثم استقام على لسانه ، مثل هذين ومثل قوله :

لا أرْفُضُ الْمَوْتَ لكنّي أسائلُهُ هَلْ نُقْتَ ما أنْتَ بِالْإنسانِ فاعِلُهُ

شَيْءٌ هُوَ الْمَوْتُ يا جَبّـارُ تَكْتُمُهُ خُطـاكَ أنْتَ وَراءَ الْعَيْنِ حامِلُهُ

مُقَنّـعٌ بِمَتاهـاتٍ وَأوْبِيَـةٍ وَأغْصُـنٍ زَهْرُهـا ماتَتْ بَلابِـلُهُ

وَتَسْـحَرُ النّاسَ تَلْوي في مَخادِعِهِـمْ وَفي خُطامُهُمْ بِكَفٍّ لا تُزايِلُهُ

تَمْـشي بِلا شَـبَحٍ تَسقي بِلا قَدَحٍ وَكُلُّ بابٍ وَمَهْما أنْتَ داخِلُهُ

أعْمى عَصـاكَ بِلا دَرْبٍ وَلا بَصَـرٍ وَلا صَدًى يُرْشِدُ الْآذانَ قائِلُهُ

وَلا يَفوتُكَ إلّا الْغَيْبُ تَعْلَـمُهُ وَكُلُّ حَـيٍّ بِوَجْـهِ الْأرْضِ جاهِـلُهُ

تَزورُ لا أنَبُ التَّـزْوارِ تَعْرِفُـهُ وَلا لَدَيْـكَ إلى إذْنٍ وَسـائِلُهُ

وَلا تُبالي إذا داهَمَتَ مُنْتَهِيًا يَدْعوكَ أَمْ فارِسًا تَمْضي تَصاوِلُهُ
بِكَفِّهِ أَمَلُ الدُّنيا وَغَفْلَتُها وَكَفُّكَ الْغَدْرُ شَنَّتْهُ مَناجِلُهُ
سَكَنْتَ في شَرَكِ الْأَنْفاسِ تَرْصُدُها كَصائِدٍ لَمْ تَخِبْ يَوْمًا حَبائِلُهُ

أبو منود : ذاك أنه كان فنانا قدليما حداثيا مستقبليا ، وما أنشدتَ من أوائل عموديته " موسيقا من الموت " في مجموعته " موسيقا مِنَ السِّرّ " نفسها ، ولْتَتَأَمَّلوا نَوْراتِ الْقَضاءِ في أَثْناءِ الْفَناءِ .

أنس : ولكنْ ثَمَّ أصول عروضية ينبغي مراعاتها ، وإلا خرج الكلام عن أن يكون أبياتا من الشعر ، والأبيات عن أن تكون قصيدة واحدة .

براء وأيمن معًا : ما هي ، يا فقيه ؟

أنس تاليًا : " مَجْموعُ أَبْياتٍ مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ ، مُسْتَوِيَةٌ في عَدَدِ الْأَجْزاءِ ، وَفي جَوازِ ما يَجوزُ فيها ، وَلُزومِ ما يَلْزَمُ ، وَامْتِناعِ ما يَمْتَنِعُ ؛ فَخَرَجَ ما لَيْسَ مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ ، وَما هُوَ مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ لكِنْ لا مَعَ الِاسْتِواءِ في عَدَدِ الْأَجْزاءِ كَأَبْياتٍ مِنَ الْبَسيطِ بَعْضُها مِنْ وافيهِ وَبَعْضُها مِنْ مَجْزوِّهِ ، وَما هُوَ مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ مَعَ الِاسْتِواءِ في عَدَدِ الْأَجْزاءِ لكِنْ لا مَعَ الِاسْتِواءِ في الْأَحْكامِ كَأَبْياتٍ مِنَ الطَّويلِ بَعْضُها ضَرْبُهُ تامٌّ وَبَعْضُها ضَرْبُهُ مَحْذوفٌ . وَلَيْسَ اتِّفاقُ الرَّوِيِّ شَرْطًا في تَحَقُّقِ مُسَمّى الْقَصيدَةِ ، بَلْ في وُجوبِ سَلامَتِها مِنَ الْإِقْواءِ وَالْإِكْفاءِ وَالْإِجازَةِ وَالْإِصْرافِ اللّاتي هِيَ مِنْ عُيوبِ الْقافِيَةِ هذا مُفادُ كَلامِهِمْ فَاحْفَظْهُ " .

براء وأيمن : قاتَلَكَ اللهُ ، أيُّ بَبْغاءَ أَنْتَ !

أبو منود : بَلْ لِلّهِ دَرُّكَ ، أيُّ حافِظٍ أَنْتَ !

تلكم - يا مكْمِلي وَمَحْيايَ وَمَخْلَدي - عبارة السيد محمد الدَّمَنْهوريّ شيخِ الجامع الأزهر في زمانه ، بحاشيته " الإرشاد الشافي على متن الكافي في علمي العروض والقوافي لأبي العباس أحمد بن شعيب القِنّائي " - رحمهما الله ! - عن مقالات من سبقه في القصيدة اصطلاحا .

براء وأيمن : إنه - يا مولانا - من حَفَظَةِ الظاهر المُقَلِّدين !

أبو منود : بل هو - إن شاء الله - من حُفّاظِ الظاهر والباطن المستوعبين ؛ فهات بيانك .

أنس : تلك العبارة على قدامتها ، تَنْبيهٌ حَسَنٌ على خصائص البيت والأبيات في القصيدة الواحدة ، أنها :

عَروضيَّةٌ وَزْنيَّةٌ [التفاعيل (نوع المقاطع اللغوية المعينة { البَحْرُ }) ، والطول (عدد التفاعيل) ، والانقسام (صور أطراف الأشطار)] .

وعَروضيَّةٌ قافَويَّةٌ : [الأجزاء (الأصوات) ، والنوع (أوضاع الأجزاء)] .

فإمّا سلَّمْتُ لصاحبيَّ هذين بأن أقسامَ نَصَّبَيْهِما تلك المُتَبَجِّحَة بإجازة ما يجوز من الزِّحافات كخَبْنِ (مُسْتَفْعِلُنْ) إلى (مُتَفْعِلُنْ) و(فاعِلُنْ) إلى (فَعِلُنْ) والعِلَل كتَذْييلِ (مُسْتَفْعِلُنْ) إلى (مُسْتَفْعِلانْ) وقطع (فاعِلُنْ) إلى (فاعِلْ) ، المُتَعَدِّيَةَ إلى استباحة ما لم يقع من العلل كَتَسْبيغِ (فاعِلْ) المقطوعة إلى (فاعِلُنْ) وحذف (فاعلن) أحيانا من البَيْنِ - أبياتٌ من بحر البسيط بما تكرر فيها من مُرَكَّباتِ مقاطع أصواته اللغوية المُعَيَّنَة ، لم أُسَلِّمْ بأنها مستوية في عدد أجزاء ، ولا مستوية في لزوم ما يلزم !

أيمن : كيف تقول مثل هذا في نونية سيدنا محيي الدين بن عربي ؟

أنس : ألا ترى كيف خرج مطلع نونية سيدك ، بعشر تفاعيل ، وكل ما بعده على خمس وعشرين ! أثم لا ترى كيف جرى في تفاعيلَ من بيتٍ على القطع وهو علة ، ثم جرى في أشباهها من بيت آخر على القطع والتسبيغ ، وكيف جرى في تفاعيلَ من بيتٍ على السلامة ، ثم جرى في أشباهها من بيت آخر على التذييل ... وهكذا !

أيمن : بل لا ترى أنت أنها من طريقة " رياح المغيب " السابقة !

براء : وكيف تقول مثل هذا في رائية سيدنا أحمد عبد المعطي حجازي ؟

أنس : ألا ترى كيف خرج مطلع رائية سيدك ، بثماني تفاعيل ، وما بعده بثماني عشرة ، وما بعدهما بست وعشرين ... وهكذا !

براء : بل لا ترى أنت أنها من طريقة " موسيقا من الزمان " السابقة !

أيمن - وأعانه براء - : تَعْسًا لها أُصولًا عَليلةً !

أنس : بل سَعْدًا لها أُصولًا جَليلةً تُخْرِجُ نَصَّيْكُما عن الشعر إلى النثر ؛ فإنَّ من شاء وجد مثلهما في خلال كلام الناثرين !

أبو منود : اعلموا - يا مَساكينُ - أنَّ عروض الشعر وَلَدُ الموسيقا التي كانت بشريَّةً (غناءً) ، ثم صارت بشريَّةً آليَّةً (غناءً وَعَزْفًا) ، ثم صارت آليَّةً (عَزْفًا) . وكلما طَوَّرَتْها سَعَةُ حُرِّيَّتِها وقوَّةُ سَبْقِها وسُرْعَةُ حَرَكَتِها ، زادَ بَوْنُ ما بينها وبين وليدها الذي لا يعرف غير اتباعها والتعلق بها .

كانت الموسيقا نَوْرات كثيرة قصيرة سانجة محددة متوالية ؛ فكان عروضُ العمودي والقصيدةُ منه أبياتٌ كثيرة قصيرة سانجة محددة تتوالى مؤتلفةً أجزاءً (بحرا) وأحوالَ أجزاء (سلامة وتغيرا) .

ثم صارت الموسيقا نَوْرات قليلة طويلة مزخرفة محددة متوالية ؛ فكان عروضُ الموشح والقصيدةُ منه أبياتٌ قليلة طويلة مزخرفة محددة تتوالى مؤتلفةً أجزاء (بحرا) ، مختلفة أحوال أجزاء (سلامة وتغيرا) .

ثم صارت الموسيقا نَوْرةً واحدة متطاولة مضطربة ؛ فكان عروضُ الحر والقصيدةُ منه ينبغي أن تكون بيتًا واحدا متطاولا مضطربا يبدأ ثم لا ينتهي إلا أخيرا مرة واحدة ، ولكنها لم تستقم على ما ينبغي لها إلا بعد زمان طويل .

وإنَّ تلكم الخصائص العروضية الوزنية والقافوية التي أحسن أنس استنباطها من عبارة الدمنهوري ، لَهِيَ الروابطُ الباطنة التي إذا انضافت إليها روابطُ النصِّ الواحدِ اللغويةُ الظاهرةُ استوت القصيدةُ بُنْيانًا عَروضيًّا لُغويًّا (نَصًّا مَوْزونًا) ، وَحدةُ جانبه العروضيِّ البيتُ ، ووَحدة جانبه اللغويّ الجملة .

ثم إنَّه بنصيب البيت والأبيات في القصيدة الواحدة من هذه الخصائص ، يظهر نوع الشعر .

ثم إنَّ الدمنهوري عالمٌ قَداميٌّ لم يتجاوز نصيب البيت العمودي .

ثم إنَّه تَقليديٌّ لم يتجاوز أبيات العروضيين ، بل كان متن صاحبه أكثر شعرا من حاشيته التي فَرَّقَتْ بين العروض وشعره ، ورحم الله محمود حسن إسماعيل مرة أخرى !

مواليه : رحمة واسعة مرة أخرى !

أبو مفود : حدثنا أبو تميم عبد الحميد بسيوني – أحسن الله إليه !
– مستشار أمير الكويت ، أنه شهد مجلس أستاذنا محمود محمد شاكر –
رحمه الله رحمة واسعة ! – وقد أقبل محمود حسن إسماعيل ينشد من
شعره المجلس الجليل ، وفيه الحسّاني حسن عبد الله الفنّان الشاعر العالِم
العَروضيُّ القَدامِيُّ ، يَتَسقَّطُ له ، حتى لَقَطَ شيئا صاح به عليه ؛ فغضب
محمود حسن إسماعيل .

قال أبو تميم : فلما كان المجلس التالي ، بَدَرَ إسماعيلُ بِحُرَّتِهِ
" الوَهَجُ وَالتّيدانُ " ، يقول :

تَفْعيلَتانْ
ثَلاثُ تَفْعيلاتْ
وَسَبْعُ تَفْعيلاتْ
وأحْرُفٌ تُعانِقُ الْألْحانَ بِالْأَحْضانِ وَالرّاحاتْ .
تَدَفَّقَ النورَ عَلى حَفائِرِ الْأَمْواتْ
شَلّالَ موسيقا بِلا قَواعِدٍ مَرْسومَةِ الرَّناتْ
مَعْصومَةَ الْإيقاعِ دونَ حاسِبٍ مُزَيِّفِ الْميقاتْ
يَعُدُّها مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجيءَ بِالْأَسْبابِ وَالْأَوْتادِ وَالشَّطْراتْ
تَشُقُّ بابَ الرّوحِ لا تَسْتَأْذِنُ الْإصْغاءَ وَالْإِنْصاتْ
وَلَيْسَ في إِعْصارِها سَبابَةٌ تُعَذِّبُ الْهالاتْ
وَلا فُضولُ الْمَوْتِ وَهْوَ يَسْأَلُ الْحَياةَ عَنْ تَوَهُّجِ السّاحاتْ
وَلا فُضولُ اللَّيْلِ وَهْوَ يَسْأَلُ الْفَجْرَ لِماذا تَنْسَخُ الرُّفاتْ
ضَجَّ الْبِلى مِنْ صَيْحَةِ الْإِشْراقِ في تَشَبُّثِ الْمَواتْ
وَانْتَفَضَتْ هَياكِلٌ مَرْصوفَةُ الطُّقوسِ مِنْ تَناسُقِ الْأَشْتاتْ

وَكُلُّ ما فيها قَرابينُ تُقَدِّسُ الرِّمامَ في كُلِّ حَصادِ ماتْ

مَصْلوبَةَ الْجُمودِ وَالرُّكودِ وَالْهُمودِ وَالسُّباتْ

عَلى مَطايا زَمَنٍ مُهَرَّأِ الْأَكْفاتْ

تَحَرَّكَتْ في غَبَشِ الْكُهوفْ

جَنائِزًا في لَحْدِها تَطوفْ

مَشْلولَةَ الْمَسيرِ وَالْحِراكِ وَالْوُقوفْ

كَأَنَّها لِتُرَّهاتِ أَمْسِها رُفوفْ

أَوْ أَنَّها لِكُلِّ نورٍ شَعَّ في زَمانِها حُتوفْ

تُريدُ شَلَّ الْوَهَجِ الْعَصوفْ

بِأَعْيُنٍ ضِياؤُها مَكْفوفْ

وَأَلْسُنٍ نِداؤُها مَعْقوفْ

تَهاتَرَتْ مَخْدورَةً مِنْ سَمْتَةِ الْعُكوفْ

وَراعَها تَمَزُّقُ السُّجوفْ

وَخَيْبَةُ التَّكْرارِ وَالدُّوارِ في الْقيعانْ

فَأَنْشَبَتْ هُذاءَها في الْقَشِّ وَالْعيدانْ

وَالْحَبُّ عَنْ عَمائِها مُغَلَّفٌ نَشْوانْ

وَوَعْيُها مِنْ غَشْيَةٍ غَفْلانْ

وَطَرْفُها مِنْ عَشْيَةٍ ظَمْآنْ

لِكُلِّ ما لَمْ يَبْقَ فيهِ قَبَسٌ لِخُطْوَةِ الْإِنْسانْ

سُبْحانَ رَبِّ النّورِ مِنْ تَحَرُّكِ الْأَكْفانْ

سُبْحانَهُ سُبْحانْ

مَنْ أَيْقَظَ الدّيدانْ

أنغامُ هذا الطَّيْرِ ما لَقَّنَها بُستانْ
وَلا حَداها حارِسٌ يَقْظانْ
وَلا بِغَيْرِ ما تَجيشُ نارُها تَحَرَّكَتْ بَنانْ
مِنْ ذاتِها وَوَحْيِها رَحيقُها الصِّنْيانْ
الرّافِضُ الْإيماءَ لِلْوَراءِ يَمْتَصُّ خُطا الرُّكْبانْ
الرّافِضُ الْقِياسَ في الصَّدى وَفي الْمَدى وَفي اللِّسانْ
وَفي هَوى التَّنْغيمِ وَالتَّفْخيمِ وَالتَّرْنيمِ وَالْإِرْنانْ
تَدَفَّقَتْ لا تَعْرِفُ التَّطْريزَ في تَوَهُّجِ الْأَلْحانْ
وَلا خِداعَ السَّمْعِ في تَبَرُّجِ الْحُروفِ لِلْآذانْ
وَلا لِخَطْوِ اللَّحْنِ قَبْلَ سَكْبِهِ مِنْ نايِها ميزانْ
أَسْكَرَها خالِقُها قَبْلَ انْبِثاقِ اللَّحْنِ بِالْأَوْزانْ
تَحَرَّرَتْ فَما بِها لِلْقالَبِ الْمَصْبوبِ قَبْلَ كَأْسِها إِذْعانْ
زَخارِفٌ مَطارِفٌ مَتاحِفٌ لِقِشْرَةِ الْأَكْوانْ
قَواقِعٌ بَراقِعٌ بَدائِعٌ زَيافَةُ الْأَلْوانْ
جَلَّ عَزيفُ النّايِ أَنْ يَقودَهُ إِنْسانْ
وَجَلَّ روحُ الْفَنِّ عَنْ تَناسُخِ الْأَبْدانْ
فَالشِّعْرُ شَيْءٌ فَوْقَ ما يَصْطَرِعُ الْجيلانْ
روحٌ تَرُجُّ الرّوحَ كَالْإِعْصارِ في الْبُسْتانْ
بِزَفِّها وَحَرْقِها وَنورِها الْمُمَوْسَقِ النَّشْوانْ
وَخَمْرِها الْمَعْصورَةِ الرَّحيقِ مِنْ تَهاوُلِ الْأَزْمانْ
لِكُلِّ جيلٍ كَأْسُهُ لا تَفْرِضوا الدِّنانْ
مَلَّ النَّدامى حَوْلَكُمْ عِبادَةَ الْأَكْفانْ

فَجَنّدوا أرْواحكمْ لا تَظلموا الْميزانْ
فَالشّعْرُ لَحْنٌ منْ يَدِ الرَّحْمنْ
سُبْحانَهُ سُبْحانْ
مُلْهي النّسورِ عَنْ خُطا التّيدانْ

موالِيه : " حاسِب مُزَيِّف الْميقاتْ " ، " سَبابَةٌ تُعَذِّبُ الْهالاتْ " ، " فُضولُ الْمَوْتِ " ، " فُضولُ اللَّيلِ " ، " تَشَبُّثُ الْمواتْ " ، " تَناسُقِ الْأشْتاتْ " ، " تَحَرُّكِ الْأكْفانْ " ، " تَناسُخِ الْأبْدانْ " ، " عِبادَةَ الْأكْفانْ " ، " خُطا التّيدانْ " !

اللهمّ نجاةً ! لقد عَرّاهُ للملأ ، ثم سَلَخَ عليه ! بل لقد زَلْزَلَهُ وأضلّه عن نفسه ثم تركه في بَيْداء ! فأيّةُ مَذَمّةٍ لم يَصُبّها عليه ! وأيّةُ مَحْمَدَةٍ لم يَسْلُبْها منه !

أبو منود : ثم تأملوا – يا مُكمّلي ومَحْيايَ ومَخَلّدي – كيف تَجَلّى قوله :

" فَالشّعْرُ شَيْءٌ فَوْقَ ما يَصْطَرِعُ الْجيلانْ " ،

مَنارَةً يرى بها العالَمُ استيعابَ الفنانين جميعا قَدامِيّينَ وحَداثيّين ومُسْتَقبَليين – مهما تَلاعَنوا بين يديه وتَنافَوا – طَريقًا إلى كمال نظره الذي لن يكون إلا بمزج أعمالهم كلها بعضها ببعض مادةً لعمله .

– وقوله :

" لِكُلِّ جيلٍ كَأْسُهُ لا تَفْرِضوا الدِّنانْ " ،

منارةً أخرى يرى بها العالَمُ كُلّ نَوْعٍ من أنواع الشعر ، وَلَدَ دَواعٍ خاصة من الأسباب والغايات والوسائل وغيرها ، وكلّ داعٍ من هذه الدواعي إنسانيًا باقيًا بَقاءَ الإنسان نفسه ؛ وأننا إن لم تَدْعُنا إلى نوع ما

دواعيه ، ثقّفتنا ثقافتُهُ المتعلقةُ به التي لا خير في اطراحها ؛ فزادت من إنسانيتنا وأخصبت من حياتنا وأنارت من بصيرتنا .

مواليه : اللهم ، لك تُبنا ، وإليك أنبنا ؛ فتقبَّلنا في عبادك الخطّائين التوابين ؛ وكَرِّهْ إلينا جهالَةَ الجُهَلاءِ وسَفاهَةَ السُّفَهاءِ ما أحْيَيْتنا ، فإمّا قَعَدَ بنا العَجزُ عن شأْوِ مولانا أبي منود وتعليمه ، فاقبضنا إليك غيرَ مُحرّفين ولا مُزَيّفينَ ولا مُختَلِفينَ !

تَأمَّلْـــ... تُ في قَهْـــ... وَتي

للن لن... للن لن... للن

خُلودَ... هَوى نَجْـــ... مَتي

للن د... للن لن... للن

بِمَنْزِ... لَةِ الْبَهْـــ... جَةِ

للن د... للن لن... للن

فَلَمْ أصْـــ... حُ مِنْ سَكْـــ... رَتي

للن لن... للن لن... للن

أنا فَـــ... لَكُ الْحُلْـــ... مِ شَحْبَلْ

للن د... للن لن... للن لن

سَيَنْفَـــ... تِحُ الْبا... بُ يَوْمًا... لِأدْخُلْ

للن د... للن لن... للن لن... للن لن

فإذا الصوتُ الواحدُ الغَريبُ يتباعد بالشَّبَحِ المَعْروف عندهم المُنْكَرِ بينهم ، والتَّيّارُ المَوّارُ يَتَدَفّقُ في الصَّبَبِ وراءهم .



دار الهانى للطباعة والنشر
٤٤٤٤٢٠٥٥